

ولف هتلر
كفاحي

ادولف هتلر

كفاحي

منشورات المكتبة الأهلية - بيروت

مقدّمة

من يراقب اليوم الصراع القائم بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي ، يلاحظ مدى الجهود التي يبذلها المعسكر الرأسمالي لصد التيار اليساري الجارف الذي ازداد انتشاره بعد الحرب العالمية الثانية . فهو يقدم المساعدات المالية والاقتصادية والفنية وغيرها آملاً ان يكسب ثقة وعطف الشعوب المتخلفة وبذلك يقطع الطريق امام التقدم الشيوعي الزاحف . وقد بذل هتلر نفس الجهود التي يبذلها الآن المعسكر الديموقراطي . ولكن لكي نتمكن من تفهم جهود هذا الرجل على حقيقتها علينا اولاً تفهم المبادىء التي عرضها في كتابه « كفاحى » الذي اصبح للنازيين كالإنجيل من حيث الأهمية . .

ان المبادىء التي دعا اليها هتلر قد اثارت الإهتمام الشديد حتى للذين حاربوا اشتراكيته الوطنية ، بل وتعاونوا مع الشيوعيه لسحق هتلر والنازية . ولكنهم ادركوا مدى تاثير مبادئه في وقف التيار الشيوعي المتطرف ولو ترتب على هذه المبادىء ان تدعو لقيام الدكتاتورية ومن ثم حكم الحزب الواحد بالعنف والقوة .

لم يكن هتلر بالرجل العادي الذي خسر حرباً وتسبب في مأساة مؤلمة ، فهو رجل دخل التاريخ وبدل وجهه ، مخلفاً وراءه تراثاً « ضخماً » يشمل شتى الميادين والفنون .



هتلر واليهود

الفصل الأوّل

- ١ -

طفولـــتي

ابصرت النور في مدينة صغيرة تدعى برونو ، تقع على الحــدود بين المانيــا والنمسا الدولتين الألمانيتين اللتين يجب ان يتجدد اتحادهما قبل اي هدف مــن الأهداف التي نعمل من اجلها في حياتنا .

فالنمسا الألمانية يجب ان ترجع الى حظيرة الوطن الألمــاني الكبير ، إذ ان دمنا الواحد هو ملك لوطننا الواحد . ولن يتمكن شعبنا الألماني من اي نشاط استعماري ما لم ينصهر ابناؤه جميعهم في دولة واحدة، وحين يحوى الرايخ جميع ابناءه يصبح من حق الشعب في ان يستولي على الأراضي الأجنبية، إذ يمسي الوطن عاجزاً عن إعالة ابناءه .

في عام ١٨٩٠ ابصرت النور وكان والدي موظفاً مثالياً في الجمرك ، وبعدان احيل إلى التقاعد ذهب بنا إلى مدينة لانز مسقط رأسه ثم إلى قرية لامبـــاخ .

حيث انصرف إلى اعمال الزراعة في ارضنا ودخلت انا مدرسة لامباخ . وبالرغم من صغر سني كنت افكر في مستقبلي ، فلم تستهوني مهنة ولم اكـــن اميل إلى الوظيفة التي كانت تبدو لي كالحبل يشد بي الى الأسفل . وكنت اجـد في نفسي موهبة القائد ، في كل مرة احاول فيها إقناع رفاقي في المدرسة بوجهة نظري .

وكنت امضي اوقات الفراغ في مكتبة والدي انكب على مطالعة كتب التاريخ والمجلات المصورة ، وفي ذات يوم عثرت على مجـلة فيها وصف مدهش للحرب بين بروسيا وفرنسا، وكنت اتساءل وانا اقرأ عن معارك الجيش البروسي المظفر ، اين كان المان النمسا يومئذ ؟ ولماذا تخلف النمسويون من النصر ؟ وهـل هناك من فرق بين الألمان الذين قهروا نابوليون الثالث وبين المان النمسا ؟

* * *

لقد كان والدي يعلم ان الدروس الكلاسيكية لا تهمني ، ولكن بالرغم من ذلك ، كان يريد ان ينقلني الى إحدى مـــدارس الفنون ، كي يجعل مني في المستقبل موظفاً . ولكنه لم يشك في أني سأقاوم إرادته ، لذلك كانت مفاجأة رفضي شديدة على نفسه ، وعبثاً حاول إغرائي بمحاسن الوظيفة التي عـاش هو حلوها ومرها . وقد ، لمته صراحتي انا الولد الصغـير باني لـن أصبح كما كان هو موظفاً سجين مكتبه . ولكنني وافقت على الانتقال إلى معهد الفنون الجميلة . وهناك اكتشفت أني املك موهبة في الرسم . ولكن والدي أكد لي مجـدداً ، رغبته في أن أكون موظفاً ،وكان جوابي أني قررت أن أصبح مصوراً أو رساماً فاغضبه جوابي ، ولكني تشبثت برأيي وتشبث هو برأيه.فاخرجني من المعهد واعادني إلى المدرسة ، وهناك ثابرت على دراسة فـــن الرسم واهملت دروسي الأخرى ، ولكني كنت متفوقاً في مادتي التاريخ والجغرافيا .

واليوم وانا استعيد ذكريات الماضي اشعر باني مـدين لوالدي بان اصبحت

وطنياً متطرفاً ، فقد رسخت في ذهني ملاحظات استاذ التاريـــخ الدكتور ليوبولد بوتش ـ إن النمسا جزء لا يتجزأ من المانيا وان زوالها كدولة مستقلة امر ضروري للأمة الألمانية .

توفي والدي فجأة وانا لا ازال في الثالثة عشرة ، وبدأت والدتي تنفذ ما كان والدي يريده وهو ان التحق باحدى الوظائف الحكومية حين اصبح في الثامنة عشرة ، ولم اشأ ان ارفض طلبها هذا ، ولكن شاءت الأقـدار ان اصاب بنزلة شعبية تطورت بشكل خطير مما دعى الطبيب الى توقيفي عاماً كاملا عـن الدراسة .وفي هذه المدة التيقضيتها في البيت حدثت والدتي عن هوايتي الجديدة. وطلبت من الطبيب اقناعها بان تسمح بالتحاقي بمعهد الفنون لأن هذا لا يتطلب مني أي مجهود مضن ، فاقتنعت ..

توفيت والدتي بعد عامين من عودتي إلى معهد الفنون وأصبحت وحدي في معترك الحياة وانا لم ازل فتى مراهقاً لا املك ما يقيني شر العوز بعد ان تبـدد المال الذي خلفه والدي خلال الأربعة اشهر التي قضتها والدتي وهي على فراش المرض .

كان عليّ أن اعمل لأعيش ، فذهبت الى فينا وكان سلاحي الوحيـد الارادة والتصمـيم على مواجهة المصير . لقد شق والدي طريقه في الحياة ووصل الى القمة التي وضع نصب عينيه وصولها، وساشق انا طريقي بنفسي ولكني لن اقف عند حد الوظيفة مهما كلفني ذلك ...

●

- ٢ -

السنوات القاسية

كانت خيبتي كبيرة حين رسبت في امتحان اكاديمية الفنون ، قسم التصوير بالزيت ، ولدى سؤالي عن السبب في رسوبي قال لي عميد الأكاديمية ان الرسوم التي قدمتها تؤهلني الى الدخول لفرع هندسة البناء ، وشجعني على الإلتحاق بهذا القسم .

*

وصلت فينا بعد وفاة والدتي وقلبي عامر بالايمان ، وما استسلمت لليأس ،بل صممت وانا ادخل المدينة الكبيرة على الالتحاق بقسم هندسة العمار مهما يكن الثمن . ولكن كان عليّ ان اعمل لأعيش بالاضافة إلى الدرس والتحصيل ، واني لأشكر اليوم العناية الالهية التي وضعتني امام قسوة الدهر وانا في مستهل عمري، وجعلتني اذوق مرارة العوز في عالم المحرومين مما اتاح لي انا البورجوازي النشأة ان اعيش مع من ناضلت من اجلهم فيما بعد وفي سبيل رفع مستواهم.

في فينا، المدينة اللاهية ، قضيت اشقى ايام العمر : فقد عشت خمس سنوات لم أذق خلالها طعماً للراحة . فقد بدأت عملي كمعاون بناء ثم كدهان لأحصل قوتي اليومي وآمن شر الجوع، هذا الزميل الذي كان يلازمني ويشاطرني في كل شيء ، فاذا اشتريت كتاباً وقف الجوع ببابي يوماً كاملاً ، وإذا حضرت حفلة موسيقية او شاهدت مسرحية لازمني الجوع يومين ، وكان الكتاب صديقي الوفي ، وبفضل المطالعة توسعت معلوماتي وتبلورت آرائي مع مرور

الزمن ، ثم رحت أدون نظرياتي الخاصة التي اتخذت منها في المستقبل أسس العمل .

كانت فينا في مطلع القرن العشرين ، مدينة تمزقها المشاكل الاجتماعية ، فيها يتجاور الثراء والفقر ، العظمة والضعة ، المعرفة والجهل . وكانت فينا البلد الوحيد الذي يمكن للدارس أن يراقب ويدرس المسألة الاجتماعية .

وككل غريب كنت أسعى في طلب العيش بعرق الجبين ، فقد تحررت من الكبرياء ومركبات النقص والخوف من الشامتين ، يقيناً مني بان العمل مهما كان نوعه فانه يشرف العامل . وسرعان ما أدركت ان العثور على عمل اسهل من الاحتفاظ به . وان خيبة الأمل تنتظر الذين يهجرون القرية ويهبطون إلى العاصمة في طلب العيش الهنيء الهين ، فالقروي يترك قريته إلى المدينة ويدخل عالماً مجهولاً ، وليس لديه من المال غير القليل ـ فاذا وجد عملاً فسرعان ما يفقده فيلجأ إلى معونة صندوق النقابة لبضعة ايام او بضعة اسابيع ، ومتى تنتهي المدة لا يبقى امامه إلا العمل بأجر قليل ، أو العودة إلى قريته ، فإذا أبت عليه كبرياؤه أن يعود إلى قريته وسدت بوجهه ابواب العمل، لايلبث ان يألف البطالة ويصبح آلة طيعه بايدي المحرضين المشاغبين ، الداعين إلى الاضراب وتقويض دعائم الاقتصاد القومي ومعالم الدولة والحضارة .

لقد لمست الأخطار التي كانت تتآمر على الأمة الألمانية في النمسا ، وهما خطران كبيران ... الماركسية واليهودية .

*

لقد روعني للبؤس المادي المسيطر على الشعب ، كما روعني انخفاض مستواه الأخلاقي ، فقد لاحظت فقدان الشعور بالواجب بين العمال والصناع ، فرب العائلة يهمل شؤون بيته ولا يعنى بتربية اولاده لينصرف إلى البحث عن قوت

يومه . وكان انعـــدام التربية البيلية في مجتمع متفسخ كالمجتمع النمسوي يؤدي بالتالي إلى تفكك الروابط بين الآباء والابناء والتي تربط بالتالي العائلة إلى الدولة علماً ان الفقر يولد الجهل والمرض ، ومتى اجتمعت هذه العوامل الثلاث يفقـــد الشعب ثقته بالدولة ويموت الشعور الوطني في نفوس الشعب .

ان تحويل الشعب إلى أمة خلاقة يفرض قيام مجتمع سلـيم يعمل على تنشئة المواطن تنشئة وطنية فلا يمكن ان يشعر بالاعتزازبالوطن من لا يتعلم في البيت او المدرسة حب الوطن ويقدرأمجاد وطنه في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد ان الانسان لا يكافح الا من اجل ما يحب ، ولا يحب وطنه ويقدره وهو يجهل تاريخه ولا يشعر بنفس الوقت بالطمأنينة وهناءة العيش .

*

وفي عام ١٩٠٩ طرأ على وضعي بعض التحسن ، فقد اصبحت اعمل لحسابي الخاص كرسام هندسي ، وفي اوقات الفراغ كنت اكب على الدرس والمطالعة وخاصة عـلى دراسة الوضع السياسي في البلاد وما تتركـه التيارات العقائـدية والفكرية من اثر على مقدرات الدولة النمساوية التي كانت مهددة بالانهيار .

- ٣ -

الحزب الاشتراكي الديموقراطي

قبل دراستي للحركة الاشتراكية الديموقراطية ، كان لدي فكرة غامضـة عن هذه الحركة ومنشئها واهدافها واساليبها . وكنت اتابع بعطف كفاحها في

سبيل الدستور يقيناً مني ان تسليم السلطات بهذا المطلب من شأنه ان يضعف من نظام آ ل هابسبورغ ، ذلك النظام الذي أكرهه كرهاً شديدا لأنه يحاول إخماد الروح الجرمانية في صدور عشرة ملايين من النمساويين . وبزوال هـذا النظام يتحرر الشعب النمسوي وتزول العقبات الرئيسية التي تعترض تحقيق الانشلوس وانضمام الشعب الواحد الى الوطن الواحد .

ومما زاد من عطفي على الاشتراكية الديمقراطية اعتقادي بانها تعمل من اجل الطبقة الكادحة كي ترفع من مستواهم . وبقيت على هذا الاعتقاد إلى ان بلغت السابعة عشرة وبدأت اتفهم خطورة الحركة النقابية في البلاد على ضوء التظاهرات الشعبية والاضرابات ، وقد حضرت اكثر من اجتماع واستمعت الى قادة الحركـة يخطبون في الجماهير ، وكان في نيتي الانضمام الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي ولكن سرعان ما تكشفت لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية ومراميها البعيدة ، فهي ضد الأمة لأنها كانت من صنع الطبقات الرأسمالية . وضد الوطن لأنها اداة البورجوازية لاستغلال الطبقة الكادحة ، وضد الشرائع لأنها اداة بيـد السلطة الحاكمة تستخدمها لارهاب البروليتاريا ، وضد المدرسة المعدة لتنشئة الارقاء وضحايا الحروب التي تشنها الرأسمالية ، وضد الدين لأنه وسيلة لتخدير الشعب وإضعافه ليستعبده المستغلين إلى الأبد ...

وكنت أثناء حضوري لهـــذه الاجتماعات احاول ان لا اتكلم ، ولكن استرسال الخطباء في تهديم كل ما هو سام ونبيل اخرجني عن صمتي ، فاصبحت ادخل معهم في جدل طويل لم تتسع له صدورهم ، فحرضوا علي نفر من المتعصبين ، فآثرت عدم الحضور الى اجتماعاتهم وانا اشفق لحال الجمهور الذي يتلاعبون به ويتصرفون بمقدراته حسب ما يتفق مع مصالحهم .

لقد ادركت وانا اتابع الحركة الاشتراكية الديمقراطية ان زمام الأمر هو في متناول القوي وادركت كذلك ان العنف والارهاب هو سلاح الاشتراكيـــة

الديمقراطية وان طريقها في محاربة خصومها تقوم على تشويه سمعتهم بجملة من التشنيع تحطم اعصابهم . وقد عجبت لعدم وجود حزب يتبع نفس الاساليب من العنف والارهاب وبذلك يقطع الطريق على الاشتراكية الديمقراطية .

اما موقف البورجوازية فقد كان موقفا لا مبالياً من مطالب العمال التي كانت مطالب معقولة ومشروعة ، مما جعل الحركة الاشتراكية الديمقراطية تستغل نقمة البروليتاريا على الاوضاع الراهنة ، وتستغله كسلاح ماض تشهره في وجه خصومها . . .

في البداية كانت الحركة النقابية تهدف الى تنظيم جهود العمال للمطالبة بحقوقهم ورفع مستواهم ، وبقيت بعيدة عن السياسة والاحزاب الى ان دفعت بها البورجوازية الى المعترك السياسي برفضها الاستجابة الى مطالب العمال الحق ، وفي هذا الوقت كانت الاشتراكية الديمقراطية بانتظار الفرصة المناسبة ، فتبنت مطالب العمال والنقابات ، بينما كانت البورجوازية على العكس تعمل على حمل السلطات على حل النقابات بحجة عدم شرعيتها وتنافيها مع فكرة الوطن .

كانت افدح اخطاء البورجوازية عندما اعتبرت الحركة النقابية منافية لفكرة الوطن . ان حركة نقابية اهدافها الدفاع عن مصالح العمال لا تكون الا حركة وطنية يجب تشجيعها ما دام هناك ارباب عمل لا يعرفون العدل والانصاف . ولا يجوز ان ننكر على عمالهم ومستخدميهم حق الدفاع عن حقوقهم ، ولا يمكن للعامل منفرداً الوقوف في وجه رب العمل ، فالنقابة هي التي تتولى رعاية مصلحته والدفاع عن حقوقه .

بدأت الحركة النقابية تتحول عن اهدافها الاساسية في اواخر القرن الماضي ، فأحتضنتها الاشتراكية الديمقراطية لتحولها الى اداة ضغط في نضالها الطبقي وبذلك يتم لها تقويض دعائم الاقتصاد وبالتالي تقويض دعائم الدولة ، فلما اصبحت النقابات في قبضة الاشتراكيين زال اهتمامهم برفع مستوى البروليتاريا ، لأنهم

اكتشفوا انهم لو استمروا بذلك فان انتهاء بؤس الطبقة الكادحة لن يكون في مصلحتهم ، لأن زوال اسباب التذمر سيبعدهم عن السياسة ، فيفقد الاشتراكيون بذلك جماهير المناضلين الذين عودوهم الرضوخ والانقياد لهم .

- ٤ -

مفتاح الاشتراكية

بعد أن تكشفت لي حقيقـة الاشتراكية الديمقراطية ، انكببت على درس نظريات قادة هذه الحركة ، فوجدت نفسي امام عقيدة مبنية على الحقد والأنانية ، عقيدة يعني انتصارها هزيمة للبشرية ، وما لبثت ان اكتشفت الصلات الوثيقة بين هذه العقيدة الخطرة والمبادىء التي يدعو اليها اليهود . وأدركت مع الايام ان اهداف الحركة الاشتراكية الديمقراطية هي نفسهـا اهداف اليهود كشعب ، واليهودية كدين ، والصهيونية كحركة سياسية قومية . ففي حداثتي كنت اعتبر يهود بلادي مواطنين . وكنت لا اعتبر الخلاف في الدين ، حتى اني وبخت صديقاً لي لإهانته احد التلاميذ اليهود . وظلت هذه نظرتي الى اليهود الى ان انتقلت الى فينا ، فبرزت امامي المسألة اليهودية في زحمة المسائـل التي كانت تواجه النمسا حكومة وشعباً . وقد تبينت لي هذه المسألة من خـلال حملات الصحف المعادية للسامية ، وكنت اعتقد ان هذه الحملات كانت نتيجة التعصب الأعمى ، وكانت الصحف التي تهاجم اليهود قليلة الانتشار ، والصحف التي تتولى الرد عليها كانت من الصحف الكبرى ، وكان اسلوبها الرصين يلاقي في نفسي وقعاً حسناً . ولكن سرعان ماضايقني تزلفها الشديد للسلطات وحملاتها العنيفة على الرايخ والامبراطور غليوم الثاني الذي كنت معجباً به لتزويده المانيـا بأسطول بحري من الطراز الاول ، كما أمضّني من الصحافة الكبرى عطفها على فرنسا وإعجابها بها ونعتها

إياها « بالأمة المتمدنة » وكنت اتساءل لمصلحة من تعمل هذه الصحف ومن هم موجهيها ؟ فجاء الجواب في الوقت الذي تكشفت لي فيه اليهودية على حقيقتها.

كنت اعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ولكن اختلاطي بأعداء السامية من مفكرين وساسة جعلني اتحفظ في الحكم على اعداء اليهود ،وما لبثت ان أصبحت من المهتمين بالمسألة اليهودية بعدان لمست بنفسي تكتل الاسرائيليين وتجمعهم في حي واحد من احياء فينا،ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم. ومما زاد اهتمامي بمسألتهم ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فينا الى قسمين : قسم يؤيد الحركة الجديدة ويدعو لها ، وقسم يشجبها . وقد أطلق خصوم الصهيونية على انفسهم اسم « اليهود الاحرار » إلا ان انقسامهم هـذا لم يكن إلا من باب التمويه ، فتأكدت ان انقسامهم مصطنع وانهم يلعبون لعبتهم في النمسا وفي العالم كله، وهي لعبة قذرة تعتمد الكذب والرياء مما يتنافى والطهارة الخلقية ، طهارة الذيل التي يدعيها اليهود .

وطهارة الذيل هذه ، وكل طهارة اخرى يدعيها اليهود هي ذات طابـع خاص ، فقذارتهم كانت تصدم النظر منذ ان تقـع العين على يهودي ، وكنت أضطر الى سد أنفي كل مرة ألتقي بأحد لابسي القفطان ، لأن الرائحـة التي تنبعث منهم تبعث على القرف . ولكن قذارتهم الجسدية ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى قذارة نفوسهم ، فقد أثبتت لي الأيام ان ما من عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد . واستطعت ان ألمس مدى تأثير هـذا « الشعب المختار » في تسميم افكار الشعب وتخديره وشل حيويته . فقد امتدت اصابع الأخطبوط اليهودي الى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها . وأصبح هذا التغلغل كالطاعون الاسود بل اشد منه فتكاً ، إذ ان تسعة اعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعو للإباحية المطلقة وللماركسية هي من صنع اليهود . اما الصحف الكبرى التي اعجبت بهـا وبرصانتها فكان معظم محرريها وموجهيها من ابناء هذا « الشعب المختار» . وشعرت بعد معرفتي

بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الرأي العام وذلك بالنظريات التي تتناسب ومصالحهم الشخصية البعيدة الهدف . فالنقـــد المسرحي في الصحف التي كان يهيمن عليها أو حتى يشارك في تحريرهـــا يهود ، يرفع من شأن الممثلين اليهود والمؤلفين المسرحيين ويحط بالتالي من قدر زملائهم الالمان . والمقالات السياسية التي كانت تمجد بآل هابسبورغ وتكيل المديـــح لفرنسا ، كانت بنفس الوقت تهاجم غليوم الثاني وحكومته .

ومما زاد في نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبـل الملتوية ، وقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويـــج سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الأبيض . هذا الدور الذي يؤديه اليهود بمهارة لم ينتبه الى خطورته الشعب الألماني إلا في الحرب العالمية الكبرى . اما انا فقد شعرت بالقرف حين اكتشفت ان اليهودي ، هذا المخلوق الوديع ، هـــو الذي يستثمر البغاء السري والعلني ويحوله الى تجارة رابحة .

انصرفت منذ ذلك الحين الى جمع المعلومات والأدلة على جرائم اليهود بحـق الوطن والمجتمع . وكنت اتابع نشاطاتهم في شتى الميادين، وقد اصطدمت بهم في امكنة لم يخطر لي انهم فيها ، فقد ظهر لي ان اليهود يتزعمون الحركة الاشتراكية الديمقراطية ، ويسيطرون على صحفها ، ويوجهون نقاباتها ، وكان معظم النواب الاشتراكيين الديمقراطيين يهود ورؤساء النقابات جميعهم من اليهود ، بما فيهم قادة ومدبري المؤامرات ورؤساء تحرير الصحف التابعة للحزب .

وهكذا اصبح الحزب الكبير الذي يسيطر على مقدرات البلاد ألعوبة بيدي شعب اجنبي ، لأن اليهودي لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون المانياً .

واخيراً وضعت يدي على الروح الشريرة التي تقعد بشعبنا عن التقدم .

★ ★ ★

كانت الفترة القصيرة التي امضيتها في فينا كافية لإقناعي انـه مهما استبدت الأوهام بالعمال وضللتهم الدعايات المغرضة ، فإنهم سيقتنعون مستقبلاً ، لو قدر لرجل مخلص ان يأخذ على عاتقه مهمة تحريرهم من المستثمرين ، وهذا مـا بدأته ووفقت به الى حد كبير . وعلى العكس لم أوفق ولو مرة واحدة لإقناع يهودي واحد بأنه على خطأ . وقد كنت من السذاجة بحيث رحت احـاول إقناع بني صهيون بسخف المبادىء الماركسية . وسرعان ما ادركت ان اسلوبهم في الجدل يقوم على قواعد خاصة بهم ، وهو اعتمادهم في اول الجدال على بلاهـة خصمهم ، فإذا لم يتمكنوا منه تظاهروا هم بالغباء ، فيستحيل على خصمهم ان يأخذ منهم أجوبة واضحة . اما اذا اضطر احدهم الى التسليم بوجهـــة نظر خصمه بوجود بعض الشهود فإنه يتجاهل في اليوم التالي ما كان من امره ويتظاهر بالدهشة اذا ما جوبه بالشهود ويسترسل بالكذب ويزعم انه افحم خصمه بحججـه الدامغة في اليوم الأسبق .

* * *

لم يكن العمال مسؤولين عن ما تعانيه البلاد من اضطرابات، بل كانت المسؤولية ملقاة على عاتق الحكام الذين لم يكلفوا انفسهم عناء الاهتمام بمشاكل الشعب ووضع الحلول اللازمة لإزالة تلك المسببات . وقد عكفت على درس العقيدة الماركسية والبحث عن مصادرها وجذورها ، وتتبع تطوراتها ، وقد تساءلت مراراً: هل كان اصحاب هذه العقيدة يتوقعون لها هذا النجاح ؟ وهل كانت لديهم فكرة عن نتائج نجاح الماركسية على المدى البعيد ؟ ام كانوا ضحية الخطأ في التقدير ؟ فإذا كان الأمر الثاني فإنه يجب على كل رجل ان يقف في وجه هذه الحركة المخيفة ويمنع تطورها . واذا كان الأمر الأول فلا بد ان يكون زعماء هذا الوباء الذي يهدد الشعوب أبالسة حقيقيين ، لأن العقل الذي تمكن من ان يضع تصميم فكرة لا بد ان يؤدي انتشارها في المستقبل الى تدهور الحضارة وانهيارها وتحويـــل العالم الى قفر ، هذا العقل ليس بعقل انسان ولكن عقل مسخ .

في هذه الحالة يجب ان نكافح كفاحاً مريراً ، وبجميع الاسلحة التي يمكن للعقل البشري ان يصنعها بالإضافة الى الذكاء والارادة الحديدية . وقد توصلت نتيجة دراستي للمسألة اليهودية الى تفهم الحركة الماركسية دون عناء ، ذلك ان اليهود هم الذين وضعوا مبادئها وتولوا الدعاية لها ، وعرفوا كيف يستغلون جهود الذين كانوا ضحيتها ... كذلك رجعت الى تاريخ الشعب اليهودي عبر الأجيال وما كان له من تأثير في توجيه البشر ، فهالتني شدة التأثيرات وتساءلت بقلق : هل يقضي القدر بأن يكون لليهود النصر النهائي ؟

إن العقيدة اليهودية المعبر عنها في التعاليم الماركسية لا تعترف بالمبدأ الارستقراطي وتضع التفوق العددي محل القوة والمقدرة ، وبالتالي تنكر قيمة الانسان الفردية كما تنكر أهمية الكيان القومي والعنصري ، مجردة البشرية من العناصر التي لا بد من وجودها لاستمرارها وبقاء حضاراتها . فإذا اعتمدت هذه العقيدة كأساس للحياة فإنها ستقوض كل نظام وتعود بالجنس البشري الى عهد الفوضى واختلاط العناصر مما سيؤدي الى انقراض البشر . واذا قدر لليهودي من خلال ايمانه الماركسي ان يتغلب على شعوب هذا العالم ، فلن يبقى للبشر من اثر على سطح الارض .

ان الأبدية ستنتقم من الذين يخالفون احكامها ، ولذلك سأتصرف حسب مشيئة الخالق ، لأني بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي إنما أناضل للدفاع عن مشيئة الخالق وعمله .

الفصل الثاني

- ١ -

ملاحظات سياسية

علمتني التجارب انه يجدر بالانسان ألا ينزل معترك السياسة الفعلية قبل أن يبلغ الثلاثين ، فيكون قد تجهز بالسلاح الكامل من معرفة واختبار وحنكة ، تتيح له تكوين رأيه الشخصي في جميع القضايا التي تشغل الرأي العام ، فإن لم يفعل فإنه سيجد نفسه بعد حين مجبرا إلى تبديل مواقفه حيال بعض الامور الجوهرية ،أو سيضطر الى الاستمرار في مواقفه مع اقتناعه بأنها ليست بالمواقف السليمة ، ففي الحالة الاولى سيدفع الثمن نتيجة تسرعه وهو خسارة انصاره الذين سيصبحون حيارى حيال هذا التبدل المفاجىء الذي لم يجدوا له من تعليل . اما الحالة الثانية ، وهي حالة شائعة ، فكلما ضعف إيمان الزعيم بعقيدته ، كلما بدت عقيدته فارغة تافهة ، وكلما استرسل في التمويه على مؤيديه وانصاره ، كلما ازدادت مطالبه منهم ،وينتهي به الحال الى التضحية بما تبقى له من زعامة وينقلب سياسياً محترفاً ، وهذا النوع من الناس ليس له إلا عقيدة واحدة هي انعدام العقيدة مع وقاحة مثيرة للاشمئزاز ، ناهيك عن التفنن في الكذب .

واذا شاءت الظروف ان يصل هذا النوع من الرجال الى البرلمان ، فان اعماله

البطولية ستكون النضال للابقاء على نفسه ، ويصبح عدواً شخصياً لكل رجل يتجه الى العمل السياسي ، ويكافح كل حركة سياسية تبرز شخصية جديدة الى المسرح ، وذلك خوفاً على نفسه من الزوال .

فيا بعد سأحدد وجهة نظري من النظام البرلماني ، وأعود الآن الى الموضوع الذي بدأت به هذا الفصل .

إن الرجل يتعلم كثيراً بعد بلوغه الثلاثين، وان ما يتعلمه يكون مكملاً لعلومه السابقة ، فلا يترتب عليه زعزعة دعائم معتقداته السياسية ، وهكذا لن يضطر انصاره الى كبت الألم في نفوسهم بأن ما تعلموه منه في الماضي كان بعيداً عن الصواب ، فزيادة معارف الزعيم واتساع علومه يقدمان لهم ضمانات جديدة تبعث في نفوسهم الطمأنينة ، فتزداد ثقتهم به .

إن زعيماً يضطر الى التخلي عن معتقداته السابقة ، سيضطر محافظة منه على شرفه وكرامته أن يمتنع عن تعاطي السياسة لأنه قد يقع في نفس الخطأ في نظرته الى الأمور ، ولا يجوز له ان يطمع في كسب ثقة مواطنيه ومؤيديه .

ولكن الناس في ايامنا هذه قلما يفكرون بذلك .

***

بالرغم من ان المنازعات الداخلية قد هزت البلاد، فقد بقي وجه فينا الجميل هو كل ما يراه العالم الخارجي من النمسا بوجه عام والمانيا بوجه خاص . وقد قدر للعاصمة ان يصل اليها محافظ عبقري جدد شبابها هو الدكتور لوجر ، هذا الألماني العظيم أنجبته امة تعرف كيف تبعث الحياة حيثما وجدت.

لم يكن الدكتور لوجر من رجال الدولة العظام ، ومع ذلك فقد استطاع ان يصنع المعجزات في اكثر من حقل من حقول الاقتصاد والسياسة والفن وغيرها

وأثبت بالفعل انه رجل دولة اكثر من اي دبلوماسي يدعي هذه الصفة .

ولئن تكن شبه الأمة التي تدعى النمسا قد انهارت ، فلا يعني هذا ان العنصر الالماني غير كفؤ على صعيد السياسة ، إذ كيف يستطيع عشرة ملايين الماني ان يمنعوا تدهور دولة تضم خمسين مليوناً ؟ لقد كان للنمسوي الالماني افكار واسعة ، فهو قد اعتاد على العيش ضمن امبراطورية كبيرة مما يلقي عليه واجبات معينة ، وما برح يتطلع الى حدود الامبراطورية رغماً عن انفصاله نهائياً عن الوطن الأم ، وعرف كيف يحافظ على المانية ما انتزعه اجداده بعد كفاحهم المرير من الشرق . ولم تقف جهود النمسويين الالمان عند هذا الحد ، بل بقيت النخبة منهم تتجه بأنظارها وافكارها الى الوطن الالماني الكبير .

والنمسوي الالماني يمتاز عن سائر المواطنين بسعة أفقه ، فنشاطه كان يشمل عموم الامبراطورية في ميادين الاقتصاد والتجارة . وكان يستأثر لوحده بالمشاريع الضخمة ، ويقدم ارباب الاختصاص والعمل والمستخدمين ، وكان لوقت ما هو الأول في التعامل مع الخارج ، وكانت الدولة بمعظمها ، سياسياً في قبضة النمسوي الالماني ، وكانت خدمة العلم تبعده عن منطقته ، فيذهب ليؤدي واجبه كجندي في البوسنة والهرسك اوغاليسيا تحت قيادة ضباط المان لأن الملاك كان في معظمه ألمانياً ، ومثله ملاك الموظفين الكبار . وبقي النمسويون الالمان متفوقين في جميع ميادين الفن كالموسيقى والرسم والتصوير والهندسة والنحت . وكان الالماني محور السياسة الخارجية ، عدا قلة من الهنغاريين ، وبالرغم من كل هـذا فقد كانت جميع المحاولات لإنقاذ الامبراطورية تفشل لعدم توفر الشرط الأساسي للنجاح .

كانت الطريقة الوحيدة للتغلب على النزعة الاستقلالية لمختلف الشعوب التي تؤلف الدولة النمساوية ، هي تنظيم البلاد على اساس المركزية ، وقد خطرت هذه الفكرة في أذهان المسؤولين ولكنهم كانوا يعتقدون ان تنفيذها كان مستحيلاً . وكان اعتقادهم مبنياً على اختلاف المعطيات الداخلية للدولة عما كانت عليه

معطيات الرايخ الالماني عندما حققه بسمارك . ففي المانيا لم يكن من عقبات سوى التقاليد السياسية وكان على الداعين للوحدة أن يتغلبوا على تلك التقاليد فقط، إذ ان الرايخ يضم شعباً واحداً باستثناء جماعات صغيرة من الاجانب . على العكس من النمسا حين يتلاشى في الاقطار التي تؤلف المملكة، باستثناء هنغاريا، الحنين الى أمجاد الماضي . غير ان إثارة موضوع القوميات قد تكشف في تلك الاقطار عن نزعة قومية صريحة وجدت من يشجعها في الدول التي ظهرت حول النمسا، والتي تنتمي بشعوبها الى نفس العناصر التي ينتمي اليها اكثر النمسويين، مما جعل تجاذب الشعوب الى جيرانهم يخضع لعدة عوامل كانت غير موجودة بينهم وبين مواطنيهم النمسويين الالمان . وقد تأثرت فينا ايضاً بتلك النزعة الجديدة ، ولم تقدر مع مرور الايام على مواصلة السعي للحفاظ على ميزاتها . لذلك وبعد ان اصبحت بودابست مدينة كبيرة ، وجدت فينا نفسها تجاه منافسة لم تكن للحفاظ على الروابط بين النمسا وهنغاريا ، بل على العكس كانت لتكريس الانفصال ، ولم تلبث براغ ولامبرغ ولايباخ ان حذت حذو بودابست لتصبح عواصم لبلدان ودول تتميز بطابع خاص ومراكز فكرية لشعوب لها طابعها الخاص . وبالتالي كان لا بد من أن يأتي اليوم الذي تعم فيه النزعات الاستقلالية عند شعوب المملكة فتكون بذلك نهاية النمسا .

وبعد وفاة فرنسوا جوزيف الثاني ، بدا هذا التطور جلياً بسبب مما ذكرناه سابقاً وإلى موقف الملكية نفسها وإلى تقلبات الموقف الدولي . وقد كان ممكناً مواجهة هذا التطور لو اعتمد من يعنيهم الأمر المركزية الحازمة . بيد ان تنفيذ المركزية لا بد ان يسبقه تدبير ممهد كفرض مبدأ اللغة الوحيدة للدولة ، وتقوية الشعور الوطني ، وتجهيز الادارة الحكومية بالوسائل الحديثة التي لا يمكن للدولة ان تستمر بدونها ، مع العلم ان خلق الشعور الوطني لا بد له من سنين طويلة لينمو ويزدهر .

لقد اصبح بقاء دولة النمسا الهرمة مرتبطاً بقوة حكامها لأنها كانت تفتقر إلى

الأسس الصحيحة التي تقوم عليها الدولة ، وهي قوة المنشأ القومي ، ذلك ان الدولة القومية تبقى قادرة على الاستمرار رغم مساوىء الحكم والادارة ، وهذا لن يكون شأن دولة تتألف من عدة شعوب لا تربطها ببعضها وحدةالدم بل تشدها القبضة الواحدة ، فإذا تراخت تلك القبضة انهارت الدولة . إذاً لا بد من ان يكون للدولة من طبيعة تكوينها ما يوفر لها عناصر الاستمرار .

وقد كانت غلطة آل هابسبورغ انهم لم يدركوا هذه الحقيقة التاريخية ولكن فرنسوا جوزيف الثاني أدرك الخطر الذي يهدد الامبراطورية وبذل خلال حكمه الذي دام عشر سنين جهده لإصلاح ما أفسده آل هابسبورغ ، ولكنه توفي قبل إتمام مهمته وخلق المعجزة التي كانت ستنقذ الامبراطورية من الانهيار .

* * *

عندما اضطرمت نيران الثورة في اوروبا واجتاحت النمسا ، لم يكن الوضع الاجتماعي او تطاحن الطبقات من مسبباتها ، بل النزعات القومية . وكانت الثورة في النمسا بدء النضال بين القوميات المختلفة . اما بالنسبة للنمسويين الالمان فقد ساهموا في الحركة بكل قواهم وساعدوا على إيقاظ الديمقراطيةالغربية التي انتزعت منهم اسس كيانهم .

وجاء النظام البرلماني قبل إيجاد اللغة الموحدةللدولة فسدد بذلك ضربةقوية للنفوذ الالماني وبدأت الدولة تتفكك وتنهار .

– ٢ –

النظام البرلماني

لقد كان البرلمان او « الريخسترات » من جملة الاسباب التي عجلت بانهيار المملكة النمسوية. فقد اقتبس النمسويون هذا النظام من انكلترا دون ان يعدلوه

مع ما ينسجم مع واقعهم . فقام في فينا مجلسا البرلمان : مجلس النواب ومجلس الأعيان .

كنت في التاسعة عشرة من عمري عندمادخلت لأول مرة دار البرلمان (قصر فرانزنسرغ) ، لأحضر الجلسة النيابية وأستمع الى المناقشات ، وقد تملكني الشعور الغريب بأن هذا النظام فاشل في النمسا ، مع انني لم أكن ضد النظام البرلماني كمؤسسة ، فقد كان هذا النظام من افضل الأنظمة لبلاد كالنمسا التي لم تجن من النظام الملكي سوى الويلات .

لقد كان اقتناعي بأفضلية هذا النظام ، يعود إلى إعجابي الشديد بالبرلمان الإنكليزي الذي كنت أتابع مناقشات مجلس العموم في الصحف . ولكن حضوري لجلسات البرلمان النمسوي جعلني أغيّر نظرتي الى هذه المؤسسة لأن الفرق كان كبيراً بين عقلية الانكليز وعقلية النمسويين . وقد زاد في كرهي للنظام البرلماني النمسوي تضاؤل النفوذ الالماني ، فحتى نظام الانتخاب السري العام كان في البرلمان اكثرية ألمانية بسيطة ، ولم تلبث أن زالت مما أدى الىانعدام الطابع الجرماني للنمسا .

بعد اكتشافي لهذه الحقيقة المرة كرهت هذا المجلس النيابي الذي يكن العداء لكل ما هو ألماني ، فصرت أدخل البرلمان ولا أسمع إلا ما يثير كرهي ونقمتي .

عندما دخلت البرلمان وشاهدت أول جلسة نيابية ، كان هناك بضع مئات من ممثلي الشعب يناقشون إحدى القضايا الاقتصادية ، وقد لاحظت ان الخطب لم تكن ذات قيمة مع انني لم أفهم من أقوالهم شيئاً لأنهم كانوا يتكلمون بالسلافية، ثم رأيت منظراً مضحكاً للغاية ، فقد رأيت العديد من ممثلي الشعب يضربون الطاولات بقبضاتهم ويلوحون بأيديهم مهددين وتعالى الصراخ وانتشرت الفوضى.

وشهدت أيضاً جلسة لاحقة بعد اسابيع، فإذا المجلس لا يضم اكثر من ثلاثين

بالمئة من النواب ، نصفهم يغط في النوم ، والباقي يستمع الى الخطباء وهم يتمطون ويتثاءبون ، والرئيس ينظر الى الجميع بسأم .

وتكررت زيارتي للبرلمان، ومع الأيام تغير رأيي في النظام البرلماني، وانصبت نقمتي على النظام بعد أن كانت منصبة على البرلمان النمسوي بسبب خلوه من الأكثرية الألمانية . وهكذا أصبحت أكوّن الفكرة الصحيحة عن نظام برلماني « أنبل » كمثال للحكم الصالح ، واتخذ هذا النظام في ذهني شكلاً ثابتاً لم يطرأ عليه أي تغيير جوهري .

لقد أدركت أن الديمقراطية في اوروبا الغربية في وضعها الحالي هي بداية الماركسية التي لا يمكن ان تكون بدون النظام البرلماني ، إذ ان الديمقراطية هي الارض الخصبة التي يمكن لجرثومة الماركسية أن تنمو وتعيش عليها وينتشر وباؤها كوباء الطاعون . فتجد هذه الجرثومة صديقاً مخلصاً في النظام البرلماني ، هذا الطرح الذي لا أثر فيه لنفحة من نفحات الله .

شكرت القدر للفرصة التي أتاحها لي من درس لهذه القضية في فينا ، لأني لو كنت في ألمانيا في ذلك الوقت لما كنت صدفت أية صعوبة في اتخاذ أي موقف منها . فلو اكتشفت عيوب هذا النظام البرلماني في برلين قبل ان اكتشفته في فينا لكنت اعتمدت الاتجاه المعاكس ، أي الأخذ بالرأي القائل : إن مصير شعب الرايخ رهن بتقوية مركز الامبراطور .

لم يكن هناك من خطر في أخذ هذه الفكرة وتطبيقها في النمسا ، لأن آل هابسبورغ ليسوا بأحسن من النظام البرلماني ، مع علمي ان إلغاء النظام البرلماني يعني بالتالي إطلاق يد آل هابسبورغ في الحكم وهو يعتبر اكبر كارثة وطنية .

وبالرغم من صغر سني فقد رحت ادرس هذه القضية محاولاً أن أجد الحلول المناسبة ، وقد جعلني اطيل التفكير صعوبة تحديد المسؤولية كلما لزم الأمر

لتحديد المسؤولية عن أي تصرف او تدبير ينافي المصلحة العامة . فالبرلمان يتخذ مقرراته مهما ترتب عليها من نتائج سيئة بدون أن تجد من يتحمل مسؤولية هذه المقررات وبالتالي لا يمكن تحديد المسؤولية ومحاسبة أحد عليها . وهل يعتبر حل البرلمان تحملاً للمسؤولية ؟ وأي معنى يبقى للمسؤولية إذا لم يتحملها شخص معين : وكيف يجوز اعتبار رئيس حكومة مسؤولاً عن مقررات أو أعمال فرضتها إرادة اشخاص عدة ؟

إن مهمة الموجه تقوم على إقناع جمهور رؤوسه خاوية كقطيع الغنم، بفوائد مشروعه ليعود ويطلب موافقتهم عليه، ولا يهتم بوضع المشروع النافع بعد درسه بدقة ..

وإذا فشل رجل الدولة في جذب الاكثرية، هذا الورم الخبيث الذي طغى على النظام البرلماني، فهل معنى ذلك فشله في الحكم ؟

أليست العبقرية الخلاقة كالنصر على جمود الاكثرية ؟ وأي السبل يمكن لرجل الدولة أن يسلكها حين يخفق في جذب الاكثرية الى مشروعه ؟ فهل يجوز له ان يترك القيام بالمهام والمشروعات التي يعتبرها ذات ضرورة ملحة، أمام غباء مواطنيه وجمهوره ؟ وهل يعتزل أم يبقى ؟ وكيف يمكنه أن يجمع بين هذا الوضع الشاذ وبين ما يراه واجباً وطنياً بالإضافة الى كونه عملاً شريفاً ؟ وأين هو الحد الفاصل بين واجب رجل الدوله نحو مواطنيه وبين ما يدعى بموجبات الشرف والكرامة ؟ أليس من واجبه أن يعلو عن الأساليب المتبعة التي تنزل به الى مستوى محترفي السياسة ؟

وحين ينزل الى هذا المستوى يصبح ألعوبة بأيدي فريق من الرجال، ينفذ طلباتهم ويساير مصالحهم . ألا يترتب على مبدأ الأكثرية في النظام البرلماني القضاء على حصر المسؤولية برئيس ؟ وهل هناك من يعتقد أن تقدم العالم يمكن أن يكون نتيجة تفكير الأكثرية أم نتيجة دماغ رجل عبقري واحد ؟

فعندما تتقدم سلطة الاكثرية على سلطة الفرد، ويستعاض عن الرئيس بالعدد، فمعنى ذلك التنكر للمبدأ الارستقراطي الطبيعي الذي يعطي الأمور الى النخبة المختارة . أما المصائب والويلات التي يجرها النظام البرلماني ، فإن قارىء الصحف اليهودية يجد صعوبة في أخذ الفكرة عنها إلا إذا اعتاد التفكير والحكم بدون أية تأثيرات خارجية من سواه .

إن النظام البرلماني يفتح أمام محترفي السياسة المجال لإغراق الحياة السياسية بأحداث صغيرة تافهة . وقد تدعو هذه الحالة الى اكثر من زعيم الى ترك الحياة السياسية التي تصبح عبارة عن مساومات ومتاجرات بين الاكثرية البرلمانية والحاكم ، فهذا الأسلوب يلائم محترفي السياسة من اصحاب الرؤوس الجوفاء فيروق لهم ويأسرهم .

إن سياسياً محترفاً منكوباً بكمية من الغباء ليس عليه أن يحسب كبير الحساب لعبء المسؤوليات نتيجة أعماله ، لأنه يعلم ان أيامه في ميدان السياسه اصبحت معدودة . ومن المعروف ان الاكثرية البرلمانية التي تمثل الثرثرة الفارغة تكره الرجل اللامع ، والمجلس النيابي الخالي من الرجال الأكفاء ليجد العزاء في زعيم عادي يتولى قيادته بحيث لا يكشف هذا الزعيم سخافة المجلس، وبالتالي سيكون الأمل أكبر أمام كل نائب للوصول في يوم من الأيام الى مركز القيادة لهذا المجلس .

وهناك ظاهرة خطيرة في الحياة البرلمانية وهي الجبن الذي تكشفه تصرفات معظم « زعمائنا » المزعومين . ان هذا الزعيم حين يدعى الى اتخاذ مقررات هامة سيجد نفسه محظوظاً حين تكون الأكثرية بجانبه . ويكفي ان ترى ولو مرة واحدة أحد لصوص السياسة يستجدي ، قبل اتخاذه مقرراته ، موافقة الأكثرية على هده المقررات ، وبذلك يكون قد جهز لنفسة « عدداً كافياً من « الشركاء » حتى اذا جاء من يحاسبه على اعماله تهرب من كل مسؤولية .

ان زعيماً يتهرب من المسؤولية بهذا الشكل الفاضح ويبحث عن من يغطيه لا يعتبر رجلاً بل جباناً حقيراً . والامة التي يكون زعماؤها من هذا النوع لا بد وان تعاني اسوأ النتائج . إذ لن تجد من يتقدم ليضحي بنفسه لإنقاذ امته بخطوة جريئة . وهذه الخطوة لن تأتي من الاكثرية ، فهي تمثل الجبناء المغفلين ، وإذا صح ان مئة دماغ اجوف لا تعادل عقلاً واحداً ، فان مئة جبان لن يصدر عنهم أي قرار بطولي .

- ٣ -

الرأي العام

لن اقف عند الطريقة التي يجري بها انتخاب ممثلي الأمة ، او الأساليب التي يلجأون اليها للحصول على المراكز الغالية على قلوبهم ، فالشعب الذي لا يتحلى بوعى سياسي لا يأمل منه حسن اختيار ممثليه في البرلمان .

والرأي العام لا يعتمد على الخبرة الشخصية أو على معرفة الأشخاص ، فهو يخضع للدعايات التي تسيطر عليه بدون ان يشعر ، فالصحافة هي الموجه الوحيد وهي التي تنشىء الجمهور سياسياً بواسطة ما تنشره من اخبار . فهي مدرسة يتلقى فيها الجمهور علومه اليومية . وقد سنحت لي الظروف وانا في فينا ان اختلط مع صانعي الآراء ومع ناشريها . فأدهشتني سهولة الأسلوب الذي يمكن هؤلاء من ان يخلقوا تياراً معيناً يوجهوا بواسطته الجمهور ولو تعارض مع مصالح الشعب وامانيه . ففي ايام قليلة تتمكن الصحف من إسدال الستار على القضايا الهامة التي لا يلبث الجمهور ان ينساها ، والعكس بالعكس .

وهكذا نجد ان الدعايات في اكثر الاحيان يمكنها ان تقدم الى الرأي العام اشخاصاً لا وزن لهم على انهم ابطال الامة واملها فتوفر لهم جمهوراً ضخماً من المؤيدين ، حتى ولو كانت سمعتهم الماضية ملوثة فالدعايات الصحفية تتمكن من محوها . اما اذا ارادت الصحافة محاربـــة رجل شريف ، فاليهود بسفالتهم المعروفة لا يتورعون عن وصمه بكل نقيصة حتى انهم يصلون إلى انتقاد حياته الخاصة وفضح اسرار عائلته ، وبحال لم يجدوا شيئاً يصمونه به ، فانهم يلجأون الى تلفيق الأخبار في الصحف آملين ان يعلق شيء في أذهان الناس .

تلك هي العصابة التي تخلق الاخبار وتوجه الرأي العام ، الذي ينبثق منه البرلمانيون ممثلي الشعب .

ان وصف المؤسسة البرلمانية وصفاً دقيقاً شاملاً يحتاج الى بضعة مجلدات ، ولكن يكفي لتكوين الفكرة عن عقم هذا النظام ان ننظر الى ثمار نشاطاته ونتائج اعماله .

ماذا يجري داخل البرلمان ؟

ينتخب المواطنون عدداً معيناً من الرجال والنساء في بعض البلدان ، مثلاً خمسمائة . وحسب النظام يعود لهم الحق كنواب الأمة أن يتخذوا القرارات الحاسمة في شتى الميادين ، مما يجعل منهم في الحقيقة حكاماً لأنهم يسمون الحكومة التي ستتولى شؤون الدولة ظاهراً ولكنها لا تخطو خطوة واحدة قبل ان تستجدي الموافقة من المجلس . فكيف يجوز ان تتحمل الحكومة مسؤولية اعمالها مـا دامت القرارات النهائية في يد البرلمان ؟

إن الحكومة هي اداة التنفيذ لما يتخذه المجلس من مقررات ولا نقر بكفاءتها إلا حين نلمس تفوقها على الاكثرية البرلمانية ، أو استمالتهم الى رأيها . ومهما يكن الأمر فان استجداءها لموافقة الاكثرية ينزل بها من مستوى الحكومة الحقيقية .

اما اذا كانت أهدافها العمل الصالح فإن الاكثرية ستخذلها ولن تقوى على الصمود بمنطقها السليم وعملها الصالح .

إن مساوىء هذا النظام تبدو واضحة، فالنواب يؤلفون مجموعة من المتناقضات متنافرة الاتجاهات ، متضاربة النزعات ، تقودهم عواطفهم ومصالحهم الشخصية ومصالح القوى التي تحركهم ، وفي نفس الوقت لا يتحملون مسؤولية اعمالهم لأن النظام البرلماني يلقي بتلك المسؤولية على غيرهم .

كيف يمكن للشعب أن يطمئن الى وضع مقدراته الاقتصادية بين يدي مجلس يضم أفراداً قلائل من حملة الشهادات الجامعية؟ وهذا ما ينطبق على سائر القضايا التي يدعى اليها المجلس ، فالاكثرية التي ترجح الكفة مؤلفة من مجموعة من الجهلة تبقى هي نفسها مهما كانت صفة المواضيع المطروحة على المجلس . أليس من المضحك ان يحكم الجهلة في جميع القضايا السياسية لتضيع آراء النخبة في زحمة الصراخ والفوضى ؟

قد يقول قائل ان النائب يتقيد بتوجيه الحزب الذي ينتمي اليه مع العلم ان في الحزب البرلماني لجاناً تضم خبراء في شتى الميادين . ولكن ما هي الفائدة من انتخاب خمسماية نائب طالما ان بضعة عشر منهم فقط يفهمون ويعون ما هو مطروح امامهم من مشاريع .

إن نظامنا البرلماني بوضعه الراهن لا يهمه قيام مجلس من ذوي الكفاءات ، بل يهمه جمع قطيع من الاصفار يسهل تحريكهم من وراء الستار بعيداً عن كل مسؤولية .

إن هذا النظام لا يرضى به إلا من يخشون العمل في وضح النهار ، ولا يمكن أن يثق به كل رجل حر مستقيم يتحمل المسؤولية ويقدرها . فلا عجب إذاً في أن يكون هذا النظام محبوباً من شعب ما برح يضع الخطط السرية والمشروعات

البعيدة المدى ، في الزوايا المظلمة ...

ترى من هو الذي يقدر مؤسسة لا تقل عنه وساخة وخبثاً غير اليهودي الذي يعمل في الظلام ؟

*

ان الفرق لكبير بين النطام البرلماني الديمقراطي في النمسا وبين الديمقراطية الألمانية . ففي المانيا يتحمل الرئيس مسؤولياته ، والديمقراطية الألمانية لا تفسح المجال أمام الأكثرية للبت في الأمور ، بل تترك الأمر إلى رجل واحد يقرر لوحده وينفذ ويتحمل وحده مسؤولية أعماله. وإذا قيل انه من المستحيل وجود شخص يقبل بأن يتحمل أعباء المسؤوليات الجسام ، فالجواب أن الديمقراطية الألمانية ترفض أن يتصرف بمقدارتها السياسي المحترف والوصولي المنتهز ، وقد قطعت الطريق أمام هذا النوع من السياسيين بعد أن حددت المسؤوليات بحيث لا يبقى في الحكم مكان للضعفاء . أما إذا قدر لأحد الوصوليين أن يشق طريقه إلى سدة الحكم فسرعان ما ينكشف القناع عن وجهه ويصرخ في وجهه: اخرج أيها الجبان الصعلوك فقد دنست المكان بوجودك ذلك أنه لا يدخل بانتيون التاريخ إلا الأبطال .

*

هذه هي الفكرة التي كونتها بعد عامين من دراستي للوضع البرلماني في النمسا. لقد كان هذا النظام أحد الأسباب الرئيسية التي ساعدت على انهيار دولة آل هابسبورغ الهرمة . وهو باضعافه مركز العنصر الألماني قد ساعد على ظهور التضامن بين القوميات المختلفة . وهذا التضامن كان ينعكس في البرلمان صراعاً بين النمسويين الألمان وسائر العناصر التي تتحالف ضده ، مما يوازي تحالفها ضد الامبراطورية بالذات ، لأن الملكية لم تكن لتقوى على الوقوف في وجه النزعات الانفصالية في البلاد بدون مساعدة النمسويين الألمان .

لقد أصبح ضعف الدولة واضحاً ، مما أثلج قلوب الهنغاريين والولايات السلافية ، لأن هذا الضعف يقربها من أهدافها القومية .

وقد حاول البرلمان تأخير النهاية بتنازلات معيبة ، كان العنصر الألماني يدفع ثمنها منفرداً ، لأن ترضية العناصر الناقمة كانت تتم على حساب الألمان .

وبعد أن سمي الارشيدوق فرنسوا فردينان ولياً للعهد وأصبح في مركز يمكنه من التدخل ، بدأت حملة « ايثـار التشيك » ونسقت بشكل صحيح مما حدا بولي العهد أن يشارك في القضاء على الطابع الجرماني للدولة ، وذلك باقصاء الألمان عن المراكز والوظائف الحساسة ، وبالحاق القرى الألمانية بمناطق تقطنها عناصر مختلطة . وسرعان ما طغى العنصر السلافي في النمسا السفلى وفي فينا التي أصبحت بالنسبة للتشيك مدينتهم الكبرى .

كانت تخطر في رأس فرانسوا فردينان فكرة مستوحاة من زوجته التشيكية وهي إنشاء دولة سلافية في اوروبا الوسطى ،تقوم على أسس المبادىء الكاثوليكية لتتمكن من الوقوف أمام روسيا الارثوذكسية . وهكذا أراد آل هابسبورغ تسخير الدين لخدمة أغراضهم السياسية . ولكن الفكرة فشلت ، وكانت النتيجة أن ضاع عرش آل هابسبورغ وخسرت الكنيسة الكاثوليكية دولة كبرى . ذلك أن التاج بتسخيره الاعتبارات الدينية لخدمة أهدافة السياسية قد أثار نعرات كان يتجاهلها في السابق . وترتب على محاولة القضاء على الطابع الجرماني نمـو الحركة الجرمانية في النمسا واشتداد المطالبة بالوحدة بين البلدين الألمانيين .

عندما سحق جيش الرايخ الجيش الفرنسي في سيدان عام ١٨٧٠ — ١٨٧١ بدا على آل هابسبورغ الخوف من السير الا في الاتجاه الصحيح المؤدي الى بعث أمجاد العنصر الجرماني . ولكنهم تناسوا معركة سيدان وعادوا الى سيرتهم الاولى ، بينما زاد انتصار سيدان من نشاط النمساويين الالمان وزاد في املهم في المستقبل الافضل تحت لواء امبراطورية موحـدة في رعاية « تاج الراين » الذي

يجب ان يزين الرأس الذي يستحقه .

لقد تناسى آل هابسبورغ عبرة معركة سيدان فاندفعوا في إبادة العنصر الجرماني من النمسا ، ولكن ردة الفعل كانت قوية ومفاجئة إذ سرعان ما ثار الألمان النمساويين على من يريد القضاء عليهم .

وكان من مميزات حركة الوحدة الجرمانية في النمسا عام ١٨٩٠ — ١٩٠٠ انها اظهرت بوضوح عمق الهوة الفاصلة بين الشعب وحكامه ، واظهرت بوضوح انه لا يجوز للدولة ان تفرض احترامها على الشعب عندما تريد ان تلحق الأذى بهذا الشعب عامدة متعمدة . وان سلطة الدولة لا يمكن ان تصبح غاية بحد ذاتها ، ولا اصبح كل طغيان مقدساً .

ولكن عندما تريد الدولة الخراب لشعبها ، ساعتئذٍ يصبح العصيان حقاً من حقوق الشعب بل واجباً وطنياً . اما كيف يمكن للشعب ان ينصف نفسه فان القوة هي الطريقة الوحيدة للفصل بين حكام طغاة وشعب مضطهد .

وما دامت الحكومة تعتبر نفسها مسؤولة عن السلطة ، فيجب ان تقر وتعترف ان المناضلين بدافع من غريزة حب البقاء سيجدون انفسهم مضطرين الى اللجوء لنفس الأسلحة التي تلجأ اليها الحكومة للدفاع عن سلطتها .

يجب ان يعمل المناضلون المضطهدون ضمن نطاق الشرعية ، ما دامت السلطة المتهدمة تعمل في نفس النطاق . أما إذا عمدت إلى طرق غير مشروعة لتدعم سلطانها المتداعي فمعنى ذلك ان النضال الشعبي لو بقي ضمن النطاق الشرعي فمعناه الانتحار .

ان نضال البشر من اجل البقاء ، معناه بقاء الجنس البشري لا بقاء الدولة فاذا وجد شعب او عنصر نفسه مهدداً بالزوال ، فان الدفاع عن النفس وعن مقومات الوجود يجيز له اللجوء الى كل الوسائل الممكنة . إذ ان حق الانسان قبل حق الدولة . وإذا غلب الشعب فمعنى هذا أن القدر قد وجده اضعف من

أن يستحق العيش على هذه الأرض .

ان العالم على سعته ليضيق بالشعوب الضعيفة .

*

ان الدليل على الاستمرار في الطغيان تحت ستار « الشرعية » موجود في النمسا ، فبينما كانت الملكية الهابسبورغية تحاول التضييق على الألمان بكافة الوسائل ، عمدوا هم بدورهم الى الهجوم وكانوا اول من اظهر مكان الداء في جسم الدولة المعلول ، وبذلك كشفوا لآلاف المواطنين حقيقة الوضع الراهن . ويعود هذا الفضل الى الألمان النمسويين في تحرير مبدأ حب الوطن من براثن الملكية التي جعلت الاخلاص لها مقياساً للوطنية . وقد اجتذب الحزب الألماني منذ تأسيسه عشرات الألوف ، ولكن سرعان ما قبض الحزب المسيحي الاشتراكي على زمام الحكم ، مما أدى إلى انكماش حركة الوحدة الجرمانية في البلاد .

بدأت دراستي لهذه المسألة كي اتوصل الى الاسباب التي اخمدت الحركة الجرمانية بينما فتحت الطريق امام الحزب المسيحي الاشتراكي للوصول الى سدة الحكم بهذه السرعة المدهشة . وقد بدأت بتحليل شخصية الرجلين اللذين تزعما الحزبين وهما جورج فون شوفرر والدكتور كارل لوجر . فقد كانا من النوع النظيف لا تشوب حياتها شائبة . وكنت في اول الأمر من أشد المعجبين بشخصية فون شوفرر زعيم الحركة الجرمانية ، ولكن شخصية الدكتور لوجر ما لبثت ان طغت علي وفرضت احترامها ، وقد تبين لي من مقارنة مواهب الزعيمين أن فون شوفرر أعمق تفكيراً ، وهو أول من تنبأ بزوال الدولة النمساوية . ولو انهم في الرايخ اعاروا إنذاراته الاهتمام البالغ بشأن آل هابسبورغ ، لما جازفت المانيا بحمل السلاح في وجه اوروبا كلها .

ولكن إذا كان فون شوفرر ممن يتنبأون للمستقبل ، فقد أثبتت الأحداث مع الأسف أن يجهل طبيعة البشر .

وكانت معرفة طبيعة البشر سر قوة الدكتور لوجر .

كان لوجر يدقق في اختيار أصدقائه ، ولا يتمادى في حسن الظن بحيث لا

يرى أصدقاءه بأحسن مما هم عليه ، وبفضل هذا التحفظ كانت تقديراته صائبـة وصحيحة ، على العكس من شوفرر الذي كان يرى كل شيء على ما يرام بفضل ثقته ومبادئه المثالية . فقد كانت نظريات الزعيم الجرماني صحيحة وصادقة ، ولكن كان ينقصه المنطق وقوة الاقناع فلم يكن ليستطيع إقناع الجماهيرذوي العقول المحدودة بوجهة نظره ، لذلك لم تقترن نظرياته بالتنفيذ العملي .

وقد أدرك شوفرر أنه ينبغي له ان يجعل تفكيره ينسجم والمفهوم العام ، ولكنه لم يدرك أن غالبية الشعب وحدها يمكنها الدفاع عن هذه المفاهيم ، وأن مقدرة الطبقة البورجوازية على الكفاح محـــدودة جداً ، إذ أنالبورجوازي يحتفظ لنفسه بخط الرجعة ،ولا يذهب إلى حد بعيد في نضاله خوفاً على مصالحه الاقتصادية .

إن أية عقيدة أو فكرة لن يكتب لها النجاح ما لم يعتنقها أكثرية الشعب ويبدي استعداده للنضال من أجلها .

لم يخفى على الدكتور لوجر أن مقدرة البورجوازيين على النضال السياسي ليست من القوة بحيث يمكنه الاعتماد عليها ، ولا يمكن أن تضمن نجـاح الحركة التي يترأسها هو ، لذلك أوقف مجهوده السياسي على جذب الطبقات الضعيفـــة المهددة في أرزاقها ، وفي نفس الوقت سعىللتقرب من المؤسسات الكبيرة وذلك لاستغلال صداقاتها واستخدامها في تنشيط حركته .

وهكذا قامت حركة الدكتور لوجر على الطبقات المتوسطة والضعيفـة فكان له أنصار عديدون مستعدون للتضحية والكفاح ، كما استطاع بموقفـــه الواعي من الكنيسة الكاثوليكية أن يستميل الأكليروس الناشىء ، مما اضطر الحزب الأكليركي الهرم إلى الانسحاب أو إلى الانصهـــار في بوتقة الحزب الجديـد .

لقد أراد لوجر كسب قلوب سكان العاصمة فينا ، لأنها هي قلب المملكة ، ومنها يمكن الاحساس بالنبضات الأخيرة لجسم الامبراطورية المحتضر . وكان باعتقاده أن إنقاذ القلب يعني إنقاذ سائر الجسم ولكن حساباته لم تطابـــق .

وبالتالي لم يتمكن من إنقاذ المملكة المنهارة .

لقد نجح لوجر كمحافظ للمدينة نجاحاً كبيراً .. ولكنه فشل في الابقاء على المملكة المتداعية . أما شوفرر فقد فشل أيضاً في بلوغ هدفه . فكلا الرجلين لم يتمكن من الوصول إلى النهاية ، فلا لوجر استطاع انقاذ المملكة ولا شوفرر استطاع أن يبعد الكارثة عن الشعب الألماني .

– ٤ –

عوامل الإخفاق

إن إخفاق حركة شوفرر ترتكز على ثلاثة أسباب :

أولاً : سوء تقدير شوفرر للقضايا الاجتماعية الهامة ،خاصة بالنسبة إلىحزب ثوري جديد . فقد كان يعتمد بصورة خاصة على الطبقات البورجوازية التي لا أمل منها فالبورجوازية الألمانيـــة تبقى مسالمة لدرجة نكران الذات ، عندما تتعلق الأوضاع بمصير الأمةالداخلي ،فعندما تكونالحكومة متباعدة عن الشعب ومطالبه الحقة فمسالمة الطبقة البورجوازية ، في هذه الأوقات بالذات ، لا يعتبر الا تواطوءاً مـــع الحكومة ضد مصلحة الشعب .

لقد كان من واجب الحركة الجرمانية أن تستمر وتسعى لجـذب الجماهير ، ولكنها لم تفعل ، بل بدأت باستمالة البورجوازيين المعتدلين الذين وسموا الحزب الجديد بطابعهم الخاص ، مما أدى إلى فتور همة الحزب ومع الأيام جنح نحو التعاون مع السلطات على أساس الاعتراف بالوضع الحالي ووقف حركة النضال وعقد صلح أعرج .

إن فشل حركة الوحدة الجرمانية كان سببه إذن إغفال قوة الجماهير ممـــا جعل الحزب بورجوازياً راديكالياً معتدلاً ، ومن ثم تولد الخطأ الثاني .

عند ابتداء الحركة كانت حالة الألمانفي النمسا تدعو إلى الأسف ،فقد أصبح البرلمان العوبة في يد الحكام يستخدمونها للقضاء على العنصر الجرماني . وكانت كل محاولة لاسترداد هيبة هذا العنصر تفشل بصورة أكيدة. وقد شعرت الحركة الجرمانية بحراجة الموقف ، فهل تدخل البرلمان وتعمل على استرداد نفوذها من

الداخل أم تبقى لتعمل في الخارج . ولم تلبث أن فضلت العمل داخل البرلمان، وبالطبع خرجت من المعركة بالفشل الذريع .

لم تكن الحركة الجرمانية بوضع يسمح لها بالاختيار ، فقد اضطرت لدخول البرلمان بسبب عجزها عن النضال خارج البرلمان لأن هـــذا يتطلب التضحيات الكثيرة والشجاعة والعزم . فالتضحيات وحدها الـــتي توفر للقضية أبطالاً لا يتورعون عن البذل ولا يهابون العقبات التي تعترض سبيلهم .

ان الأبطال نجدهم بل يجب أن نبحث عنهم بين أفراد الشعب فالشعب هـو العنصر المناضـــل القوي الذي يستمر في المعركة إلى نهاية الطريق ، وهـــذا العنصر المناضل كان ما ينقص الحركة الجرمانية ، فلم يبقَ أمامها والحالة هذه إلا دخول البرلمان والعمل على لغمه من الداخل .

لقد خيل اليهم ان في إمكانهم مخاطبة الجماهير وتنويرهم من خلال خطبهـم النارية داخل البرلمان ، وباعتقادهم أن المجلس سيصبح كمنبر عام يتوجهون منه إلى الأمة جميعها . ولم يعلموا أن الجمهور لا يمكنه الاستماع اليهم إلا عن طريق الصحافة التي تطالعه كل يوم بأخبار الندوة البرلمانية إما بطريقة محرفة أو ممسوخة .

ان الحمـــل الذي يمكن أن نخاطبه مباشرة هو الآلاف من المستمعين في الساحات والميادين العامة أو القاعات المعدة للاجتماعات . وانـــه من البساطة الاعتقاد أن العقائد السليمة كفيلة باجتذاب النواب إلى الاستماع .

إن الخطب التي ألقاها النواب الألمان في البرلمان النمسوي كانت كالدرر الملقاة إلى الحيوانات ، فذهبت جميعها كالهباء المنثور . أما الصحافـــة فكانت تحرف أقوال النواب الألمان وتنشر ما تراه مناسباً بعد أن تشوهها وتبدل في معانيهـا لتلقي ظلاً من الشك على مقاصد الحزب .

لقد كان على الحزب أن يعلم أن قيامه بشكله الجديد سيباعد بينه وبـــين النجاح إلا إذا بنى عقائده على الفلسفة ، إذ أن كل حركة قومية بحاجـــة إلى الدعامة الكافية التي تتيح لها قوة الاستمرار وهذه القوة تستمدها من المفاهيم الفلسفية للحركة .

إن العقائد الفلسفية بحاجة إلى زعماء شجعان قادرين على البذل والتضحيـة ، وبذلك يتقدم لخدمتها والدفاع عنها مناضلون يقتحمون الموت بخطى ثابتة ، لا يطمعون بوظائف ومراكز سهلة التناول . بل يجب على الزعماء أن يفهموا جماهيرهم ومؤيديهم أن طريق الكفاح طويل وشائك ولكن المستقبل سيحمل للجيل المقبل السعادة والازدهار ، ولن تعطي ثمارها في الوقت الحاضر . وإذا لوح الزعماء بالوظائف والمراكز فسرعان ما يجتاحها الوصوليون والانتهازيون ، ويأتي اليوم الذي يتسلط فيه هؤلاء على الحزب فيصبح المناضل الشريف دخيلاً على الحركة التي قامت على ساعده .

بانتصار نشاط حركة الوحدة الجرمانية داخل البرلمان توفر لديها عوضاً عن الزعماء المكافحين ، بضعة من النواب البرلمانيين ، فهبطت الحركة الجرمانية إلى مستوى الأحزاب السياسية ، ولم تعـد قادرة على الصمود بوجـه التيارات المعادية ، وبدلاً من أن تستمر في النضال العنيف تعلمت القاء الخطب وفـن المساومة ، وما لبث نواب الحزب أن اقتنعوا أن طريقتهم هذه أفضل وانفع ، فهي أخف خطراً عليهم وأقل مشقة وإجهاد .

وقد علق أنصار الحزب الآمال الكبيرة على رجاله في البرلمـان وانتظروا المعجزه الكبرى ، ولكن سرعان ما خابت آمالهم ولم يتحقق شيء من الوعود الكثيرة ، وعملت الصحافة على توسيع الخلاف فكانت تغفل إظهـار مواقف النواب الألمان المشرفة ، وفي نفس الوقت انقطعت الصلات التي كانت تربـط أنصار الحزب بعضهم لبعض ، فقد اجتذب البرلمان الخطباء الذين توقفوا عـن الاجتماعات ومخاطبة الجماهير وجهاً لوجه مما يقوي حماسة النفوس ويثبت الايمان بقضيتهم وعدالتها .

لقد اضاعت الحركة طابعها الشعبي فانقلبت إلى ناد للجدال والنقاش منذ أن انتقل خطباؤها وزعماؤها من الساحات العامة إلى المجلس النيابي . وإذا كانت الصحافة قد لعبت دورها في تقوية مواقف النواب الألمان داخل البرلمان ، فان غيابهم عن ساحة النضال الفعلي وانقطاعهم عن ناخبيهم كانا من أهم العوامل التي فتحت المجال أمام الصحافة لتنجح في إثارة نقمة الشعب على الحركة الجرمانية .

إن اي حركة ترقب أهدافاً بعيدة المدى ينبغي لها ان تحافظ على الصلات الوثيقة بينها وبين الجمهور ، وان تدرس كل قضية على ضوء هذه الحقيقة وتنفذ مخططاتها حسب هذا الاتجاه ، وان تبتعد عن كل ما من شأنه أن يخفف من تأثيرها على الجماهير الشعبية لأن أي مشروع كبير لن يتحقق بدون مساعدة ومساهمة الجماهير .

*

اما العامل الثالث الذي كان مسبباً لإخفاق حركة الوحدة الجرمانية هو جهل زعماء الحركة لنفسية الشعب . وأكبر مثال على هذا الجهل هو محاربة الحزب للكنيسة الكاثوليكية . ولكن كان هناك بعض المسببات التي حدث بالحركة الجرمانية لمعاداة الكنيسة . فقد شرع آل هابسبورغ بوسم النمسا بالطابع السلافي حتى انهم ورطوا المؤسسات الدينية في ذلك.فقدتحالفت معهم الأبرشيات التشيكيه في تطبيق الفكرة الجديدة بعد ان عينت السلطات كهنة من العنصر التشيكي في مناطق المانية وأطلقت أيدي عملاء الكنيسة في محاربة النزعة الجرمانية والتبشير بالفكرة الجديدة .

وقد وقف رجال الأكليروس الألمان موقف المتفرج من تلك الأحداث .وقد آلم فون شوفرر أن يرى التحيز الفاضح من قبل الكنيسة الكاثوليكية فأعلن عليها الحرب وطالب « بالانفصال عن روما » باعتبار ان أصل البلاء هو في أن رأس الكنيسة مقيم خارج المانيا ، لذلك وجب على الألمان ، كهنة وعلمانيين ، أن يعملوا على إيجاد كنيسة وطنية خاصة بهم .

لم يكتب النجاح لحملة فون شوفرر ، لأنها اعتمدت مقاييس خاطئة ، فقد انحصر اعتمادها على إخلاص رجال الأكليروس للفكرة الجرمانية . ولكن الأكليروس كان يدين بالولاء المطلق للكنيسة ، أما إخلاصه للوطن فكان موضوعياً .

لقد كان على الحركة الجرمانية قبل أن تعلن الحرب على الكنيسة أن تنظر إذا كان بقاء الألمان في النمسا يتمشى مع مصلحة الكنيسة الكاثوليكية أم لا ،

فاما أن يترفعوا عن التدخل في القضايا الطائفية وإلا وجب عليهم البـــدء في تحقيق الاصلاح الديني لا قيام حزب سياسي .

إن من يرى في نفسه المقدرة على تحقيق الاصلاح الديـــني بواسطة حزب سياسي ، هو جاهل ومتهور ، وعندي ان تأسيس دين من الأديان أو تقويضه هو أعظم شأناً من تأسيس دولة او تقويضها .

قد يقول قائل أن حملة الألمان على الكنيسة لم تكن إلا لصد الهجمات المعاديه عليهم . ولكن يجب أن لا نحمل الدين أو الطائفة تبعة الأعمال التي قام بهـــا اشخاص لم يتورعوا عن استخدام الدين والطائفية لنيل مآربهم . وكانت الحرب التي شنها الألمان على الكنيسه بمثابه سلاح وضعوه في أيدي خصومهم لا سيما النواب الذين جعلت منهم تلك الحملة ابطالاً يدافعون عن الدين والكنيسه ، وفي بلاد اشتهر أهلها بالتعصب .

لذلك ابتعد عن الحركة جميع الكاثوليك الذين يدينون بالولاء لروما ، فكان ذلك مدعاة لتضاؤل شأنها في جميع الأوساط.

وهناك خطأ آخر وقعت فيه الحركة ، وهو انهم اضطروا لمحاربة أكثر من خصم . فالشعب من اتباعهم توهم أنه يواجه أكثر منعدو وانه مضطر إلى الحرب على جبهات متعددة فارتبك بأمره واعتراه مركب نقص في حقيقة وعـــدالة قضيته ، إذ أن الجمهور بدأ يتساءل هل يكون جميع خصومه على خطأ وهـــو وحده على صواب ؟؟؟

إن الحزب الألماني النمساوي قد اختار الهدف ولكنه اختار طريقاً أعوجاً وسلكه لبلوغ هدفه السامي فكانت النتيجة الاخفاق والفشل الذريع .

*

أما الجزب المسيحي الاشتراكي فلم يقع في الأخطاء التي وقع فيهـــا حزب الحركة الجرمانية ، فقد اختار الطريق القويم قبل أن يمضي نحو الهدف . فقـد وعى أهمية الحركات الشعبية،فاجتذب نحوه انصاراً مخلصين مستعدين للتضحية، وذلك بمجرد إعلانه عن أن عمله هو رفع مستوى الصناع اليدويـــين . وبنفس

الوقت تجنب الاصطدام مع المؤسسات الدينية مما ضمن له مؤازرة الكنيسة الكاثوليكية .

ان الحركة التي تزعمها الحزب الجديد وهي معاداة السامية قد قامت على أساس ديني لا على أساس عنصري بحجة ان المبادىء العنصرية لا تصلح كأساس للعمل على إنقاذ البلاد بل سيعجل في انهيار الدولة .

كانت فينا في ذلك الوقت قد اجتذبت من سكان الألوية العديد من السكان ذوي الطابع القومي الخاص ، وأخذ كل فريق منهم يتكتل سياسياً ، وخوفاً من أن تصبح هذه التكتلات قوة معادية للألمان ، جعل الدكتور لوجرينادي بشعار « إنقاذ النمسا من المفسدين اليهود » ودعا جميع النمسويين من جميع الفئات إلى صد هذا التيار الذي يروج له اليهود ، لا بصفتهم غرباء بل كونهم طائفة دينية .

ومن الواضح أن أي حملة تشن ضد اليهود على أساس ديني لن تلحق بهم أي ضرر ، فمنهم على استعداد لانقاذ أنفسهم وتجارتهم بقليل من ماء العماد ...

وسرعان ما ظهرت سطحية الأسس التي قام عليها العداء للسامية . وخيل إلى الكثيرين أن القصد من هذه الحملة هو حمل اليهود على اعتناق المسيحية ، وبدت لهم ان هذه المحاولة هي محاولة صبيانية لا تستحق أي تشجيع .

لقد ضحى الحزب بفكرة قيام الأدلة على القومية ، حين وقفوا لمحاربة اليهود على أساس ديني ، وحتى بعد فشل الحركة المعادية للسامية فقد تجنب الحزب إثارة مبدأ القوميات آملين أن يتمكنوا من إنقاذ دولة آل هابسبورغ بتجاهلهم المرض الذي ينهشها . وقد فاتهم أن إثارة مسألة القوميات كفيل بجلاء الغموض الذي يكتنف بعض الولايات .

*

كنت مع الألوف الذين شيعوا جنازة الدكتور لوجر من دار البلدية إلى « الرانغستراس » ، وقد شعرت بأن أعمال هذا الرجل قد ذهبت سدى ، لأن القدر كان يأبى على الدولة النمسوية أن تستمر . ولو عاش لوجر في ألمانيا لكان

٩

احتل المرتبة الأولى ولكن سوء حظه جعله يعيش في هذه الـدولة الغير قابـلة للاصلاح .

عند موت الدكتور لوجر ، بدأ البلقان بالاشتعال ، وكان القدر رفيقاً به فما رأى الكارثة التي عمل على تفاديها .

بدأت أكره النمسا بعد أن أصبحت معرضاً للقوميات المتنافرة ، وتنكرت لتاريخها المجيد بعد أن سمحت لجموع البولونيين والتشيكيين والهنغاريين وغيرهم لغزوها والاستيطان فيها . وخيل إلي في هذا الوقت أني أصبحت غريباً في تلك العاصمة الجميلة فينا .

قررت الانتقال إلى ألمانيا لأعود إلى مهنتي في هندسة البناء تاركاً المساهمة في تحقيق أغلى أماني القومية وأماني الألمان المخلصين وهي الحـــاق وطني النمسا بالوطن الكبير الرايخ الألماني ...

ان الحنين إلى الوطن يتقد في قلوب جميع الذين يعيشون بعيدين عنه ، ولن يعرفوا معنى الطمأنينة إلا حين تفتح أمامهم أبواب الوطن وينعم الدم المشترك بالسلام والطمأنينة في الامبراطورية الموحدة .

★

كانت فينا المدرسة التي علمتني دروس الحياة ، فقد دخلتها صبياً يافعـــاً وغادرتها رجلاً رصيناً . وفيها تبلورت نظرتي إلى الحياة ، وفيها تعلمت الأسس التي نعمل من أجلها اليوم كحزب بدأ حركه متواضعة منذ خمس سنوات وهو الآن ينمو بشكل كبير ليصبح حركه شعبيه ذات شأن عظيم .

★ ★ ★

الفصل الثالث

- ١ -

ميونيخ

غادرت فينا في ربيع عام ١٩١٢ قاصداً ميونيخ . فقد كنت أعرف تلك المدينة كما لو كنت ساكناً فيها ، وذلك بسبب دراستي للفن الالماني . إن من يزور المانيا ولا يرى ميونيخ لن يعرف شيئاً عن الفن الالماني ، فقد كانت الفترة التي أمضيتها في ميونيخ من اسعد أيام حياتي مع ان تحصيلي من عملي كان متواضعاً ، ولكن ما كنت أعمل لأعيش بل لأتابع دراستي وتحصيلي وانا متأكد من بلوغي الهدف الذي رسمته لنفسي.

لقد تعلقت كثيراً بهذه البلدة الجميلة وشعرت بالفرق العظيم بينها وبين فينا ، ومما زادني تعلقاً بها ما رأيته من مظاهر الحيوية الدافقة في جميع الميادين ومن روائع الفن الناطقة بعظمة الفن الالماني ، ولا شك ان تعلقي بميونيخ هو أنها مرتبطة بتطوري ونمو مداركي ارتباطاً شديداً لا يمكن فصله، بالاضافة الى تأثير جمالها في كل رجل مرهف الحس محب للجمال.

لم يصرفني انكبابي على الدرس عن متابعة الأحداث السياسية ، وكنت ألمس من سياسة المانيا الخارجية انها مبنية على أسس غير سليمة ، وذلك من خلال المحالفات التي أنشأتها ، ولكني كنت أظن أن الساسة في برلين على علم بحالة

الضعف التي وصلت اليهـــا النمسا ، وبنفس الوقت يكتمون هذه الحقيقة عن الشعب تجنباً لنقمته ، وبنفس الوقت كانوا يحرصون على الحفـــاظ على سياسة المحالفات التي رسمها ووضع أسسها بسمارك .

ولكن مع الأسف فقد كانت الفكرة لدى الألمان عـــن النمسا خاطئة ، والوهم كان سائداً بأن النمسا لا تزال قوية يمكن الاعـتماد عليها كحليف قوي. أما انا فكنت على علم تام بمشاكل النمسا ، بينما كانت الدبلوماسية الرسمية تجهل تلك المشاكل الخطيرة ، حتى ان الرأي العام ظل على اعتقـــاده الخاطىء بقوة النمسا وجيشها وخاصة أنها لا تزال ألمانية . وبلغ بهم حسن الظن حدا أصبحت فيه ادعاءات فينا من أمانة للتحالف الثلاثي مثاراً للسخرية من الصحف في عواصم الولايات السلافية لا سيما براغ التي كانت تعتبر هذا التحالف مسرحية مضحكة ومبكية معاً . وكان الرأي السائد في ايام السلم أن هذه المحالفات ستنقض عند أول تجربة قاسية ..

وقد صدق الحدس ورأينا إيطاليا وفي الوقت الذي كان التحالف يمـــر في تجربته القاسية الأولى ، تتنكر لحلفاءها ألمانيا والنمسا وتقف مع أعدائها .

عندما كنت في فينا لاحظت الحماس البالغ من قبل أنصار الوحدة الجرمانية للتحالف الثلاثي بسبب اعتقادهم أن هذا التحالف سيدعم موقف ألمانيا في حال نشوب الحرب ، وبذلك يرتبط مصير النمسا بمصير الرايخ . وقد فاتهم أن هذا الحلف سيحمل الرايخ حملاً ثقيلاً ويؤدي بالدولتين إلى الهاوية . كما أن تفاؤلهم بالحلف سيضمن تحقيق أمانيهم القومية ، ولكن هذا الحلف كان ستاراً استخدمته فينا لتغطية تدابيرها الرامية إلى إبادة العناصر الجرمانية في البلاد .

لقد أصبح موقف ألمان النمسا حرجاً نتيجة لسياسة الأحلاف ، لأنهـم لو استمروا في نضالهم لاعتبروا خائنين ، ولم يفت المطلعين منهم أن الحلف الثلاثي قيمته في إبقاء العنصر الألماني متفوقاً ، وبالتالي يوم يتغلب الطابـع السلافي على البلاد سيصبح لا قيمة له . وقد آلم هذا الفريق من الألمان النمسويين أن تسقط هذه الاعتبارات من حساب الدبلوماسية والرأي العام الألماني ، وأن يقفا موقفاً

من مسألة القوميات مجازفين بمقدرات شعب من سبعين مليوناً ، وذلك بجعل مستقبله مرتبطاً بمعاهدات مع سلطة لا تتورع عن إبادة رعاياها الألمان . أي العنصر الأساسي الذي ستعتمد عليه هذه المعاهدة .

ولو رجع المسؤولون إلى التاريخ لوجدوا أنه لا يمكن للكيرينال والقصر الامبراطوري أن يحاربا جنباً إلى جنب . فالشعب الايطالي لم ينسَ موقف الهابسبورغيين من وحدة بلاده واستقلالها . ولن تجرؤ الحكومة الايطالية إلى إرسال جندي واحد إلى الحرب ما لم تتأكد من أنه سيحارب آل هابسبورغ بالذات . ولئن تكن إيطاليا قد دخلت الحلف الثلاثي فلرغبتها في كسب الوقت والتضليل ، بحيث يركن حلفاءها إلى المعاهدات بينما تستعد هي للحرب .

إن سياسة المحالفات التي اعتمدتها ألمانيا منذ أن ساءت علاقات النمسا مع روسيا ، قد بنيت على افتراضات خاطئة .

لقد كانت الرغبة في عقد المحالفات هو الحاجة الملحة إلى أصدقاء يمكن الاعتماد عليهم في حالة نشوب حرب لا بد منها . فقد كان على ألمانيا أن تواجه مشكلة تكاثر عدد السكان ففي كل سنة كان يزداد عدد سكان ألمانيا ٩٠٠ ألف شخص ، وهذا التزايد يهدد البلاد بكارثة إذا لم تفكر السلطات بتدابير سريعة تقطع الطريق على المجاعة . وكان هناك أربع حلول يمكن اعتبارها :

اولاً : تحديد النسل منعاً لازدياد عدد السكان ، كما هو جار في فرنسا ، ففي الأقطار ذات المناخ الرديء تتولى الطبيعة مهمة الحد من تضخم عدد السكان ، فهي تعترض نمو السكان وتخضعهم إلى تجارب قاسية فتزيل العناصر الضعيفة وتبقي على الأصلح ، وبذلك يتوصل خفض العدد إلى تقوية الفرد وبالتالي النوع . . . وعلى العكس من ذلك إذا تولى الانسان بنفسه تحديد النسل ، فهو غير الطبيعة ، لا يعترض نمو الفرد ولكنه يتولى الحد من التناسل ،وبذلك يرضي إنسانيته لأنه لا يرى من الكون إلا نفسه ولا يعتبر وزناً للعرق الذي ينتمي اليه .

إن طريقة الانسان وعواقبها هي عكس طريقه وعواقب الطبيعة .فالطبيعة

لا تتعرف إلى الحدود السياسية، وهي وضعت المخلوقات الحية على وجه البسيطة، وبدأت تراقب صراع القوى المختلفة وتنظر بعين العطف إلى من هو جـــدير بالحياة والبقاء . وقد تركت الطبيعة أراضٍ شاسعة لا تزال بكراً ، وهي لـم تحتفظ بها لجنس من الأجناس ، بل تركتها للشعب الذي يتمكن من امتلاكهـــا ويضع يده عليها .

فالشعب الذي ينصرف إلى الاستعمار الداخلي ، بينما تحاول الشعوب الأخرى الامتداد إلى مناطق واسعة من الارض ، سيضطر هذا الشعب أن عاجـــلاً أو آجلاً إلى تحديد نسله . ومن الملاحظ أن أفضل الأمم هي الـــتي لا تطمح إلى التوسع وتكتفي بالاستعمار الداخلي ، تاركة التوسع لأمم أقـــل منها جدارة ولكن أكثر منها عزيمة وقوة وحيوية . وفي نفس الوقت نجـــد الأمم الأولى مضطرة إلى تحديد النسل لتفادي المجاعة ، بينما نجد الثانية تنمو وتزدهر وتزداد قوة تباعاً لازدياد إمكاناتها .

إن فكرة الاستعمار الداخلي ستكون وبالاً على شعبنا ، فليس أقتل لحيويـــة شعبنا من القناعة التي لا يبررها الواقع ، فالقناعة ستقعد بنا عن الجهاد في سبيل المستقبل اللائق . ومتى قلنا لشعبنا ان ألمانيا تكفي نفسها بنفسها ، فلنقل عـلى المانيا السلام .

إن من سخرية القدر ان يكون اليهودي هو الموجه لهـذا التوجيه الخطر ، وهو المدخل في روعنا ان في إمكاننا توفير ما نحتاجه جميعاً باستدرار عطف الارض الألمانية .

لن ينقذ ألمانيا من خطر الجوع إلا الاستيلاء على أرض جديدة . والبـــلاد الصغيرة في مساحتها تبقى معرضة للمفاجآت العسكرية والسياسية ، فالمساحـة الكبيرة هي بحد نفسها عاملاً أساسياً من عوامل الاستقرار ، فكلما امتـدت اراضي شعب سهل الدفاع عنه ، فقد رأينا أن الانتصارات السريعة كانت على أراضي شعوب مجالها الحيوي ضيق ، بينما كان على العكس من ذلـــك بالنسبة للبلدان ذات المساحات الشاسعة ، إذ أن قوة المهاجم تنهار قبـــل وصوله إلى هدفه البعيد .

تفسح المجال للتناسل ولكنها تخضع هذه السلالة إلى امتحان قاس فتختار الأصلح للحياة وتحتفظ به وتوكله بمهمة حفظ النوع . أما الانسان فإنه يحد من نسله ويحاول الحفاظ على سلالته سواء كانت صالحة للحياة أم لا . وبذلك يتمكن من الحد من العدد ولكن قيمة الفرد تتضاءل كما تتضاءل جودة النوع .

ان سنة الطبيعة تفسح مجال البقاء للأقوى ، أما الحد من التناسل فلا يستبعد السلالات الضعيفة الغير جديرة بالحياة ، فتؤلف سلالة جديدة أشد ضعفاً ، مما يشكل تحدياً لسنة الطبيعة . ولكن الطبيعة تثأر لنفسها من هذا التحدي ، فتسلط الأقوياء الجديرين بالحياة على الضعفاء الخاملين . وليعلم الذين يدرسون مشكلة تزايد عدد السكان أن الطريقة المتبعة في فرنسا أي تحديد النسل ، لو اتبعت في ألمانيا فإنها تعني القضاء على مستقبل الشعب الألماني .

ثانياً : الاستعمار الداخلي ، هذه الطريقة التي يدافع عنها الذين لا يدركون عواقبها .

إن الاعتماد على زيادة محصول الأرض كوسيلة لإنقاذ الشعب الألماني من المجاعة ، ممكن كحل مؤقت ، ولكن هذه الطريقة لن تحل المشكلة من أساسها حلاً نهائياً . باعتبار أن عدد السكان سيزداد بينما قدرة الارض على الانتاج ستتضاءل ، ولأن متطلبات السكان تأخذ بالتنوع فمثلاً كانت متطلبات أجدادنا منذ مئة عام أقل من متطلبات جيلنا الحاضر بنسبة كبيرة جداً . فالارض ، كما قدمنا، لن تتمكن من العطاء إلى الأبد ولا بد أن يأتي اليوم الذي ستجف الارض وتصبح عاجزة عن الانتاج والعطاء ، وقدلا تجف الارض إلا في سنوات القحط ، ولكنها ومع الاستمرار في ازدياد عدد السكان ستصبح الارض عاجزة تماماً ، فتطل المجاعة بوجهها القبيح،ولا ينقذ الموقف إلا تدخل الطبيعة بما تملكه من قوة على اختيار من هم صالحين للبقاء ، وتترك سائر السكان إلى مصيرهم المحتوم .

قد يقول قائل ان هذه الاحتمالات ستحصل يوماً من الأيام وستطال المجاعة البشرية كلها ولن يسلم من خطرها شعب من الشعوب . وهذا القول يبدو وكأنه صحيحاً . ولكن هذا لا يمنع من النظر إلى الأمور على حالتها الراهنة . فالطبيعة

ان الموجهين الألمان قد رفضوا فكرة الاستعمار الداخلي لأسباب غير التي ذكرناها سابقاً فقد اعتبروا الاستعمار الداخلي كهجوم على الاقطاعيات الكبيرة بشكل عام وعلى الملكية الخاصة بشكل خاص. كما رفضوا فكرة تحديد النسل لأسباب دينية بحته.

ثالثاً : تأمين الطعام والإسكان والعمل للسكان الآخذين بالازدياد وذلك بالاستيلاء على اراض جديدة وإسكان الألمان فيها.

رابعاً : إغراق الأسواق الخارجية بالبضائع الألمانية لتوفير أرباحاً كافية تمنع عنا شبح المجاعة.

لقد اصبح على المانيا ان تختار بين الاعتماد على التوسع او الاعتماد على التجارة. وقد اختارت التجارة بعد تردد طويل، وكان عليها ان تختار التوسع لأنها اصلح واسلم. إذ ان كسب اراض جديدة ينتقل اليها الفائض من السكان له ميزات عديدة، اهمها وجود طبقة سليمة من الفلاحين تعتمد عليهم الأمة كلها. فإن ما نشكو منه اليوم سببه فقدان التوازن بين ما تقدمه المدن وبين ما تقدمه الأرياف، وقد كان وجود المزارعين الصغار المتوسطي الحال كالدرع الواقي للشعب ضد مشاكله الاجتماعية التي يواجهها الآن. باعتبار ان نشاط المزارعين ضمن مجالات الاقتصاد المقفل يجعل نشاطهم يسير جنباً إلى جنب مع باقي النشاطات الاقتصادية وبذلك يؤمن التوازن المطلوب بين حاجات السكان وحالة الانتاج.

لكن سياسة التوسع لا يمكن أن تستهدف بلاداً بعيدة كالكاميرون مثلاً، إذ أن مكانها الوحيد هو اوروبا. وعلينا كألمان أن نعتنق النظرية القائلة أن الله لا يمكن أن يقضي بأن يحصل شعب على خمسين ضعف مالشعب آخر من الارض، وانه إذا كانت الارض قادرة على إكفاء الجميع، فليس من العدالة بشيء أن يفصل بيننا وبين الحصول على المدى الحيوي لنمونا وبقاءنا. لذلك يجب على كل فرد أن يكافح ليؤمن ما يكفل له البقاء، وان لم يتمكن بالمسالمة واللين فعليه

بالقوة . ولو ان أجدادنا استسلموا وتخاذلوا ، كما هي عقلية جيلنا اليوم ، لما كان لنا الآن ثلث أراضي وطننا الألماني ، ولولا نضالهم لما قامت للرايـخ أيـة قائمـة .

وهنـاك اعتبار آخر يجعل من التوسع طريقه مثلى : تشغل بعض الدول الأوروبية مساحة صغيرة جداً بينما تشغل ممتلكاتها خارج القارة مساحات شاسعة فتكون قمة هذه الدولة في اوروبا وقواعدها تمتد إلى جميع انحاء العالم ، كالشكل الهندسي للهرم . وهذا عكس ما هو في الولايات المتحدة الأميركية فقاعدتها على أرضها ولا يوجد ارتباط بينها وبين العالم الخارجي إلا بواسطة القمة ، وهذا مما يجعل للبـلاد مركزاً داخلياً منيعـاً بينما يسبب العكس ضعف معظم الدول الاستعمارية في القارة الأوروبية .

أما بالنسبة لألمانيا فالطريقة المثالية التي يمكنها اتباعهـا تقوم على إحراز مدى حيوي لها في القارة الأوروبية بالذات ، لأن المستعمرات لا تصلح هدفـاً للتوسع ما لم تكن قادرة على استيعاب أكبر عدد ممكن من السكان الأوروبيين، علماً انه ليس بالإمكان الاستيلاء على مستعمرات تحوي هذه الميزة إلا بواسطة الحروب ، التي يمكن خوضها في اوروبا عوضاً عن المجازفة خارجها .

ومتى تقبل شعبنا فكرة الحرب عليه أن يكرس لهـا جهوده . ولا يمكن بانصاف التدابير والـتردد القيام بمهمة تفرض على كل منا أقصى ما يمكن من الجهد والحزم . ولا بد من جعل سياسة الرايخ منسجمة مع هذا الهـدف ، لذلك يجب إعادة النظر في جميع المحالفات المعقوده وقيمة كل منها . ولا يغربن عن بالنا أن توسع ألمانيا في اوروبا يجب أن يتم على حساب روسيا .

ان انكلترا هي التي كان على ألمانيا أن تحالفهـا قبل الشروع في نهجهـا التوسعي . فبعد ان تضمن سلامة مؤخرتها كان بإمكان المانيا شن الحملة الصليبية الجرمانية الجديدة ، إذ أن حقنا في حملتنا الصليبية واضح كما كان واضحاً حتى اجدادنا .

كان على المانيا ان تكسب ود انكلترا مهما كلفها ذلك من تضحيات فمثلاً

كان علينا أن نكف عن المطالبة بمستعمرات، وان نتخلى عن فكرة جعل ألمانيا أكبر دولة بحرية ، وان نكف عن مزاحمة بريطانيا في ميدان الصناعة . وبدلاً من ذلك يمكننا تعزيز قوة جيشنا البرية ، ولو ترتب على هذا النهج الاقلال من طموحنا مؤقتاً ، مقابل ضمان المستقبل المزدهر لشعبنا الألماني العزيز .

إن حاجة ألمانيا التي كانت تواجه ازدياداً في عدد السكان ، لم يكن خافياً على انكلترا،فقد كان على المانيا أن تستفيد من هذه المعرفة وتمد يدها إلى انكلترا التي كانت ترغب في التقرب منا . ولكن ساستنا لم يقدموا على هذه الخطوة ، مع أن كل محالفة تقوم وتضمن مصلحة الطرفين المشتركين .

لو اعتمدت ألمانيا في ذلك الوقت النهج السياسي الذي اعتمدته اليابان عام ١٩٠٤ ، لو فعلت ذلك لما كانت الحرب العالمية ، ولما منينا بتلك الهزيمة المنكرة الشنعاء .

ومهما يكن ، فتحالف المانيا والنمسا كان سخيفاً . فقد كانت هذه الدولة المومياء حريصة على التحالف معنا ليتيح لساستها فرصة المضي في إبادة العنصر الجرماني . ولو كان ساستنا أبعد إدراكاً لعلموا أن قيمة التحالف النمسوي الألماني يكمن في استمرار نفوذ العنصر الجرماني في النمسا ، ومتى زال هذا النفوذ أو ضعف لمصلحة السلاف ، زالت بالتالي قيمة التحالف .

لقد كانوا في برلين يخافون النضال، ولما فرضت عليهم الحرب كانت الظروف غير مناسبة . وقد حاولوا تفادي المقدر ، وحلموا بسلم دائم ولكنهم استيقظوا على أصوات المدافع ...

ان التعلق بالسلام بهذا الشكل أقعد الساسة الألمان عن الأخذ بفكرة التوسع في اوروبا . فقد كانوا يعلمون ان هناك أراضٍ يمكن الاستيلاء عليها في الشرق ، وانهم بحاجة ماسة إليها ، ولكنهم أحجموا عن ذلك لأنهم يريدون السلام بأي ثمن ، بدلاً من أن يضعوا نصب عيونهم توفير أسباب البقاء ومقوماته للشعب الألماني بأي ثمن ! وكانت النتيجة حرب عام ١٩١٤ — ١٩١٨ .

ولم يبق إلا سلوك نهج السياسة الاستعمارية والتجارية .

إن طريقة الاستعمار تستلزم وقتاً طويلاً ، فالاستعمار ليس بالقفزة الفورية ،

إنه دفعة تدريجية عميقة ولكنها مستمرة . فعندما سلكت ألمانيا هذا السبيل كان عليها أن تدرك أن هذه السياسة ستقودهم في النهاية إلى الحرب التي أرادوا تجنبها ، مع أنهم كانوا يؤكدون نياتهم السلمية .

وقد أدى هذا السلوك المتناقض إلى توتر العلاقات مع انكلترا التي وقفت ضدنا في جميع الميادين . وقد سهى عن بال زعمائنا ان التوسع في أوروبا يفرض التحالف مع انكلترا ضد روسيا ، فالتوسع خارج أوروبا يفرض محاربة روسيا ضد انكلترا . وفي هذه الحاله لا بد من تبديل المحالفات وذلك بالتخلي عن النمسا. ولكن برلين لم تفكر بالتحالف مع روسيا ، ضد انكلترا ولا العكس بالعكس ، لاعتقادها أن هذا سيؤدي إلى الحرب، ولتلافي النزاعات المسلحة لجأت إلى سياسة الانتاج كطريقة مثلى لاستعمار العالم بطريقة سلمية .

لقد كان باعتقاد ساستنا أن استعمار العالم اقتصادياً وسلمياً سيضع حداً لسياسة العنف ، وما أن شعروا بعداء انكلترا الصريح حتى قرروا بناء أسطول لم يكن الغرض منه الهجوم على انكلترا وسحقها ، بل كان الغرض منه الدفاع عن « السلم العالمي » وقد حرصت المانيا على أن يكون هذا الأسطول متواضعاً من حيث السلاح ، وبذلك تؤكد رغبتها في السلام والمحافظة عليه .

كانت سياسة الفتح الاقتصادي السلمي سياسة سخيفة لا تليق بدول عظمى. فقد بلغ الهوس ببعض المتعصبين لهذه السياسة حداً جعلهم يزعمون ان انكلترا سبقت ألمانيا في هذا الميدان وأصابت نجاحاً باهراً . حقاً إن بعض الناس يقرأون التاريخ ولا يعرفون منه شيئاً .

لم تنشىء الامبراطورية البريطانية بالاستعمار السلمي،فالوحشية التي اعتمدها الانكليز كانت مضرب الأمثال. إن السر في السياسة الانكليزية هو فياستخدام القوة السياسية لتحقيق الفتوحات الاقتصادية ، كما أنها تعرف كيف تحول نجاحها الاقتصادي إلى قوة سياسية . وانه لمن السخف أن نعتقد أن انكلترا كانت لا تهرق دماء ابناءها في سبيل التوسع الاقتصادي . فقد كانت انكلترا تستخدم المرتزقة لكسب الحروب وبذل الدماء ، ولكنها في نفس الوقت كانت تجود

بدم ابناءها في الحالات التي لم يكن فيها بدأ من التضحية .

ولكنا في المانيا ، كنا نعتقد أن الرجل الانكليزي رجل أعمال وتجارة ، واسع الحيلة،بليد وجبان. ولم يخطرفي بالنا أن امبراطورية واسعة كالامبراطورية البريطانية لا يمكن أن تكتسب بالخداع واللين. أما الألمان القلائل الذين وقفوا ليحذروا مواطنيهم من قوة الانكليز كشعب مقاتل ، فقد اعتبروهم انهزاميين ولم يأخذ برأيهم .

ما زلت أذكر الدهشة التي كانت تستحوذ على رفاقي في جبهة الفلاندر ، عندما جابهنا الانكليز في إحدى الملاحم القاسية ، فقد أدركنا جميعاً أن هؤلاء الاسكتلنديين محاربون أقوياء . وان الصحف والبلاغات كانت تخدعنا حين صورتهم لنا بصورة الجبناء .

*

ان تسرع ألمانيا بالتحالف مع النمسا قد قعد بها عن التوسع في اوروبا معتمدة على صداقتها مع روسيا . وان الاعتماد على دوله مهترئه مفككه كالنمسا للاقدام على التوسع هو ضرب من الجنون .

فقد كان اندلاع الحرب العالمية بسبب النمسا ، من حسن حظ ألمانيا . فقد حالت الحرب بين آل هابسبورغ وبين التهرب من التزاماتها تجاه المحالفة المعقودة ولو كان الأمر على عكس ذلك لما عتمت فينا أن وجدت وسيلة لتتهرب من التزامها وتقف على الحياد . وما كان السلاف ليقبلوا بإرسال الجيش النمسوي ليحارب إكراماً لألمانيا التي تحمي العنصر الجرماني في النمسا .

لقد كان للنمسا أعداء كثيرون يطمعون باقتسامها ، وبالتالي سيناصبوا ألمانيا العداء باعتبارها تقف حجر عثرة في سبيل مطامعهم . ومن اجل النمسا أبغض الايطاليون المانيا . وقد كان بالامكان التفاهم مع روسيا ما دام الالمان يريدون التوسع اقتصادياً، ولكن اليهود والماركسيين جعلوا الحرب محتمة . ولولا الحلف الثلاثي لما تمكن أعداء المانيا من حمل دول اوروبا الشرقية وروسيا وايطاليا على خوض الحرب ضد المانيا ، فقد كان امل الطامعين هو اقتسام النمسا بعد تصفية

حسابها . وزاد رغبتهم في دخول الحرب هو وجود تركيا في عداد حلفاء المانيا باعتبار ان تركة السلطنة كانت مما يغري ويسيل اللعاب .

ان الرساميل اليهودية كانت وراء هذه الاغراءات التي لوحت بها للطامعين ، على أمل الوصول الى هدفهـــا وهو القضاء على المانيا التي لم تكن خاضعة للنفوذ اليهودي المالي والاقتصادي.

* *

لنرجع الى السياسة الاقتصادية لألمانيا خـــلال السنوات التي سبقت نشوب الحرب . فقد كان النجاح الذي أصابته المانيا في ميادين التجارة باهراً لدرجة ان البعض ذهب في غروره للاعتقاد ان وجود الدولة مرهون باستمرار الازدهـار الاقتصادي والتجاري ، والدولة هي قبل كل شيء مؤسسة اقتصادية كبرى. علماً ان استمرار الازدهار هو رهن بقيام دولة قوية تدعمه. ان الاقتصاد وسيلة من الوسائل الضرورية لتحقيق الغرض من وجود الدولة، ولكنه ليس سبب وجودها ، فالدولة التي تجعل من الاقتصاد سبباً لوجودها ليس لها ما لبقية الدول من مقومات البقاء .

ان في تاريخ المانيا اكثر من دليل على ان المستوى الاقتصادي لالمانيـــا كان يرتفع بارتفاع وازدياد نفوذها السياسي في المجال الدولي .

ان العقل والادارة والتضحية والمثل العليـــا هي القوى التي تنشىء الدولة وتصونها . فالانسان لا يقدم على التضحية بنفسه من أجـل صفقة تجارية ولكنه يفعل من أجل فكرة او مثل أعلى .

لقد حاربنا في الحرب العالمية من اجل لقمة الخـــبز ، بينما حاربت انكلترا دفاعاً عن الحرية . وقد حارب الانكليز حتى النهاية بقوة واخلاص . أمـا نحن فقد استبسلنا في بداية الحرب ولم نلبث ان تخاذلنا وانهارت معنوياتنا حين علمنا اننا نحارب من اجل اللقمة .

ان الدول تبقى وليدة غريزة حب البقاء ، بقاء العرق ، سواء كانت هـــذه الغريزة في ميدان البطولة أو ميدان الدسائس . فإذا تجلت في الميـــدان الاول نشأت دولاً آرية يسودها العمل الجدي . اما اذا تجلت في الثاني فإنهـــا تنشىء

مستعمرات فضولية لليهود .

لقد أدركت خلال مشاهداتي في فينا والمانيا نفسهـا ان الجمود المميت الذي سيطر على امتنا كان بسبب جرثومة الماركسية الرهيبة، والسموم التي كان ينفثها اليهود اساتذة الماركسية وحماتها .

وانكببت، للمرة الثانية ، على دراسة هذه العقيدةالهدامة على ضوءالاحداث السياسية الجديدة . وقد اطلعت على المحاولات التي حاولها بعض الرجال العظام للحد منانتشار هذا الوباء العالميالفتاك ،وقد أعجبت بمحاولةبسمارك والتشريعات التي سنها والتي قطعت ذيل الأفعى ولكنها لم تقضِ على رأسها . فقـد حارب بسمارك ضحايا الماركسية ولكنه لم يحارب الماركسيين بالذات . فقـد حاول ان يقضي على الوباء بقتل المصاب وأغفل عن ناشر الجرثومة .

ومرة ثانية درست العلاقة بين الماركسية واليهودية ، وتأكدت لي حقيقـة اليهود ومراميهم في إشاعة الفوضى والخراب في العالم ليتمكن هذا الشعب المختار من استغلال الفوضى ويفرض مشيئته في كل مكان .

كنت انظر الى المانيا حين كنت في فينا نظري الى عملاق جبار، ولكن بعد انتقالي الى ميونيخ تغيرت نظرتي وصرتأشك في مقدرة هذا العملاق علىالصمود في وجه الأعاصير . وصرت أنتقد سياسة المانيا الخارجية بشكل ظاهر وعلني وخاصة بما يتعلق بموقفها من خطر الماركسية الذي اخذ بالتفاقم . وقـد أدهشني عدم الاكتراث من قبل المسؤولين لهذا الخطر الهدام الذي يوجهه اليهود ، وممـا زاد في نقمتي ان فئة من المفكرين قاموا بحملة تحذير للحـكام الذين شعروا بخطر الماركسية ، زاعمين ان هذه العقيدة لن تعيش في المانيا لأن لشعبنا مناعة طبيعية ضد هذا المرض الفتاك . وقد سها عن بالهم ان هذه العقلية المريضة قـد أودت بحياة امبراطورية ضخمة .

وأخـذت على نفسي منذ عام ١٩١٣ مهمة تحذير الشعب من هذا الخطر ، وأوضحت اكثر من مرة ان مستقبل المانيا يتوقف عليه القضاء على الماركسية

قبل انتشارها . وقد كان لهذا التحذير صداه المستحب عند المواطنين الذي هم الآن جنود الحركة القومية الاشتراكية .

وقد تأكد لي مع الأيام أن الأخطاء السياسية التي ارتكبها المسؤولون الألمان منذ أواخر القرن الماضي حتى نشوب الحرب العالمية كان نتيجة الأخذ بنصائح عملاء الماركسية من يهود ومفكرين عديمي الاخلاص لوطنهم . فعندما أقامت المانيا اقتصادها على تلك الأسس الواهية كان اليهود أول المهللين لها ، يقيناً منهم أن الاقتصاد الأعوج سيؤدي بألمانيا إلى الانهيار ، فتقوم على أنقاضها الدولة التي يحلمون بها . دولة تحكمها في الظاهر البروليتاريا وتخضع في نفس الوقت لسيطرة شرذمة من رجال المال اليهود .

وقد لاحظت في الصحف الاشتراكية الديمقراطية المقالات المسمومة والتي كان يحررها يهود جبناء يذيلون مقالاتهم المحشوة بالسموم بتواقيع مستعارة . وهذا لم يكن له وجود في النمسا .

★★

هتلر والشيوعية

الفصل الرابع

- ١ -

الحرب العالمية

في عام ١٩١٤ انقضت صاعقة عظمى على الارض ، وأصم الآذان صوت مدافع الحرب العالمية .

عندما أعلن في ميونيخ نبأ مقتل الأرشيدوق فرنسوا فرديناند أصابني قلق شديد، وكنت اتساءل عند وصول الخبر المشؤوم، هل قتل الأرشيدوق برصاص طلبة ألمان عز عليهم أن يعمل ولي العهد على إكساب النمسا الطابع السلافي ، فقرروا التخلص منه وإنقاذ الشعب الألماني من عدو داخلي ؟ وإذا كان إفتراضي صحيحاً فمعنى ذلك أن فينا ستجد مبرراً لزيادة اضطهادها للألمان تجاه العالم كله . ولكن عندما علمت أن الصرب هم المتهمين الرئيسيين بالقتل ، دهشت لسخرية القدر ، فقد سقط أوفى أصدقاء السلاف برصاص أشد المتعصبين للسلاف .

ان من اتيح لهم تفهم موقف النمسا من صربيا علموا انه لا بد للصخرة التي ابتدأت بالتدحرج من ان تستقر في قعر الهاوية ..

لا يسعنا مؤاخذة الحكومة النمسوية على الانذار الذي وجهته عقب الاعتداء فقد كان تصرفها سليماً . فقد كان على حدود النمسا الجنوبية الشرقية عدواً

لدوداً ، ما برح يتربص بها . ويتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليها . ولكن خصوم المملكة كانوا يعتقدون أن زوالها قد أصبح محتوماً بعد تواري الامبراطور فرانسوا جوزيف ، فهو الوحيد الذي كان يجسد الامبراطورية في نظر غالبية الشعب وقد عمل الساسة السلاف على ترسيخ هذا الوهم في نفوس الشعب مدخلين في روعهم أن الدولة مدينة بوجودها لعبقرية الامبراطور وحسن سياسته . وكان هذا المديح يلاقي وقعاً حسناً في نفس الامبراطور فرانسوا جوزيف ورجال حاشيته ، ولكنه في نفس الوقت يحوي في طياته خنجراً مسموماً ليكون أداة لتمزيق فريستهم .

لقد أدى مصرع ولي العهد إلى دفع عجلة الحرب إلى الأمام ، وبالرغم من ان الناقدين قد اتهموا فينا في تسبب الحرب ، إلا ان الحرب كانت واقعة لا محاله . فلو عملت حكومتي المانيا والنمسا على تفادي الحرب بعد مقتل الأرشيدوق لأدى هذا إلى تأجيل الكارثة إلى ظرف أكثر ملائمة لخصومها فقط .

ان من يتبجحون بلوم الذين ايقظوا إله الحرب من نومه ، ويسدون النصائح السخيفة ، يجب ان يحملوا وقبل سواهم وزر الحرب وجرنا اليها . فمنذ عشرات السنين والاشتراكية الديمقراطية الألمانية تحرض على الحرب ضد روسيا ، اما بالنسبة لأحزاب الوسط فقد ساهمت في جعل النمسا حجر الزاوية في محور السياسة الألمانية ، وذلك لاعتبارات دينية بحتة . وقد جنت البلاد ما زرعته الأحزاب السياسية وتحملت أخطاء هذه الأحزاب . أما بالنسبة لألمانيا فقد كان خطأها الوحيد هو حرصها على السلام ، فقد تركت الظروف الملائمة للهجوم تفوتها للحفاظ على السلام التي ذهبت هي ضحيته ، بل ضحية التحالف العالمي لإشعال الحرب العالمية .

إن الإنذار الذي صاغته فينا في قالب معتدل قد أثار نقمة الشعب واعتبره إنذاراً ضعيفاً . فالحرب عام ١٩١٤ لم تُفرض على الشعب ، فقد أرادها الشعب برمته ، إذ تقدم للجهاد مليوني ألماني بين رجل وفتى متأهبين جميعهم للدفاع عن الوطن وبذل دمائهم في سبيله .

أما بالنسبة لي شخصياً فقد حررتني الحرب من جو الكآبة المسيطر علي ، إذ سرعان ما دب فيّ الحمـــاس فجثوت أشكر السماء لأنني ولدت في هذا العهد بالذات .

بدأ النضال المرير من أجل الحرية ، فقد أدرك الشعب أنه مدعو إلى الكفاح والبـذل لا من اجل النمسا بل من أجل الأمة الألمانية ذات التاريخ المجيد . وهكذا بدأ الشعب يتبين مستقبله بعد سنين من التعامي .

لقد مرت بذاكرتي فكرتان بعد صدور البلاغ الرسمي حول مقتل الأرشيدوق ان الحرب باتت محتمة ، وان الظروف ستفرض على النمسا احترام اتفاقاتهـــا المعقودة . فقد كنت أخشى أن تضطر المـــانيا إلى دخول الحرب باسم الحلف الثلاثي دون ان تكون النمسا السبب الرئيسي للحرب، وربما لاعتبارات سياسية داخلية ستجبن فينا عن القيام بواجباتها كحليفة لألمانيا ، ولكن وبما ان الواقعة وقعت بسبب النمسا (في الظاهر على الأقل) فلم يبقَ أمام النمسا إلا أن تضع يدها في يدنا لنواجه الموقف سوية متحملين جميع النتائج .

ان موقفي من النزاع كان واضحاً ، فقد علمت منذ اللحظة الأولى ان المسألة بالنسبة لألمانيا كانت أخطر من تأديب صربيا . فقد كانت كفاح الأمة الألمانية بأسرها في سبيل وجودها وحريتها . ادركت ان المانيا التي حقق لها بسمارك وحدتها ، مدعوة مرة اخرى إلى البذل والتضحية ، وان ما قام به اجدادنا من تضحيات وبذل في ميدان المعارك الرهيبة من فيسمبورغ إلى سيدان وباريس ، يفرض على الجيل الحاضر ان يحرزه من جديد ، فإذا تمكنا من الكفاح حتى النهاية ، نكون قـد حققنا النصر وأصبحنا في مصاف الأمم الكبرى ، فتصبح الامبراطورية الألمانية من جديد موئلا للسلام دون ان تضطر إلى حرمان أبنائها من قوتهم اليومي إكراماً للسلام .

ما ان نشبت الحرب ، حتى سارعت لتلبية نداء الواجب فوضعت كتبي على الرف بعد أن قررت أن أحمل السلاح لأدافع عن وطني ، وفي الثالث من شهر آب عام ١٩١٤ وجهت رسالة إلى جلالة الملك لويس الثالث أطلب قبولي في إحدى القطعات العسكرية البافارية ، وكم كان سروري عظيماً عندما وصلني

في اليوم التالي القبول والموافقة على تطوعي بفيلق بافاري معين . وأقمت أنتظر بزوغ فجر اليوم التالي لأسافر إلى الجبهة ، وقد كان همي الوحيد أن أصل إلى ساحة القتال قبل أن تنتهي الحرب ، لأن الأخبار كانت تجمع على أن الحرب ستكون قصيرة .

وأخيراً سافرنا إلى الجبهة ، وأبصرت لأول مرة نهر الراين عندما اتجهنا غرباً لنسهم في الدفاع عن النهر الألماني العظيم .. وعندما شاهدت تمثال جرمانيا رمز السيطرة الألمانية على رينانيا ، امتلأت صدورنا بالفخر والاعتزاز ونشدنا نشيد « الراين » وكلنا حماس وأمل بالنصر الكبير ...

وصلنا سهول الفلاندر ، وشرعنا بالزحف تحت ستار الظلام دون أن نلقى أية مقاومة من العدو ، ولكن ما ان بزغ الفجر حتى بدأ الرصاص ينهمر علينا ، فتعالى هتافنا ترحيباً بالموت والتحمنا مع العدو وسط حقول الملفوف ، وعلت أصواتنا بالأناشيد الحماسية ، ومشينا إلى الموت ننشد « ألمانيا فوق الجميع » .

بعد أربعة أيام تراجعنا إلى حيث بدأنا الهجوم ، لكن المدة القصيرة كانت كافية لنصبح رجالاً مجربين مكتملي الرجولة . فقد كان فيلقنا ، فيلق « ليست » غير مدرب على القتال كما يجب ، ولكنا على استعداد تام للموت ميتة الأبطال العريقين في فنون الجندية والقتال .

توالت السنون ، وانطفأت جذوة الحماسة في صدورنا ليدخل مكانها الرعب والخوف من الموت ، وقام في داخلنا صراع عنيف بين الواجب وحب البقاء . فقد كان الجبن يسيطر علينا محاولاً إقناعنا بضرورة التوقف والتمرد والثورة على قادتنا ، ولكن ثباتنا وعنادنا كان يقوى على هذا الشعور المتخاذل إلى أن انتهى هذا الصراع الداخلي ،فاستعدت رباطة جأشي خاصة في معارك عام ١٩١٥ ولم يعد يراودني هذا الشعور منذ ذلك الحين . وكان هذا ينطبق على بقية رجالنا ، فقد تمكن الجيش كله من التغلب على الخوف والضعف وجعلته المعارك المتواصلة صلباً فولاذي الأعصاب . فقد أثبت الجيش الألماني ، باعتراف المؤرخين ، أنه فريد عصره بما أظهره من شجاعة وجلد في مقارعة خصومه الذين يفوقونه عدداً

وعدة . ولن ينسى العالم كله أن الجيش الألماني الباسل ضرب أروع الأمثلة في التفاني ونكران الذات .

لم يكن لدي الوقت ، في ذلك الحين ، للاهتمام بالسياسة إلا أن بعض الصحف المعينة منذ إحرازنا أولى انتصاراتنا ، بدأت في تعكير صفو الابتهاج العام باسلوب بارع خبيث استحال معه تبين خطر هذه الألاعيب وأهدافها الحقيقية . فقد عارضت الاحتفالات التي كانت تقام ابتهاجاً بالانتصارات العسكرية ،بحجة عدم لياقتها بأمة عظيمة كالأمة الألمانية . فالشجاعة والأعمال البطولية ، لا يبرران هذا الاسراف في الابتهاج بل على العكس قد يسيء إلى المانيا باعتبارها دولة محبة للسلام وهي لم ترد الحرب في الاصل ، بل هي راغبة في التعاون مع الدول على قدم المساواة .

نتيجة لهذه الحملات الخبيثة ، قامت السلطات باتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من الابتهاج العام الغير لائق ، بدلاً من أن تأخذ بهؤلاء الثرثارين إلى ساحة الإعدام وتريح الشعب من فلسفتهم . ولكن السلطات شاءت أن تكبت الحماس وتخنقه في صدور المواطنين ، بدلاً من أن تدعهم يواصلون النضال وهم زاخرين بالقوة والحماس .

والشيء الثاني الذي كان يقض مضجعي منذ اشتعال نار الحرب الكبرى ، هو التغاضي التام عن نشاط الماركسيين ، وكانت حجة السلطات أن المصلحة تقتضي تكاثف جميع الاحزاب ، ولا يجوز استثناء الماركسيين . ولكن الماركسية لم تكن حزباً بل عقيدة يقضي انتشارها إلى تغيير المقاييس التي حفظت الكائنات ويترتب على نجاحها القضاء على البشرية قضاء تاماً .... وقد صرح وزير الداخلية بأن حزب الماركسيين قد دلل على صدق وطنيته وعاد إلى حظيرة الوطن ... وهذا هو الجهل بعينه ...

لقد كان على السلطات أن تحزم أمرها وتتخذ جميع التدابير الكفيلة بالقضاء على المضللين والماركسيين ومن وراءهم اليهود . كان على الحكومة أن تقضي على أعداء المانيا ، على تلك الحثالة الباقية في المؤخرة بينما كانت النخبة في الامام

تجود بدمائها في ساحة القتال . لكن جلالة الامبراطور شاء أن يمد يده إلى المجرمين ، فعفا عن مصاصي دماء الشعب ،متيحاً لهم فرصة العمل بحذر وحكمة ممهدين الطريق أمام الثورة ..

لقد زادت نقمتي على الأوضاع وكنت أتساءل عن السبب الذي دعا المسؤولين إلى هذا التسامح بدلاً من استعمال الشدة والعنف لتأديبهم ؛ وهل تتمكن القوة من القضاء على العقيدة ؟ ورجعت إلى التاريخ أستقرأه ، وخرجت بالمبدأ الأساسي التالي :

تصبح العقائد والمبادىء المرتكزة على الفكرة الفلسفية، بعد أن تبلغ مرحلة معينة ، أمتن وأقوى من أن يقضى عليها بالقوة المادية إلا إذا وجدت هذه القوة المادية لتقديم فكرة أو عقيدة جديدة . وإلا لا يمكن القضاء عليها أو منع انتشارها ، اللهم إذا أبيد جميع أنصارها ومؤيديها من الوجود ، وهذا يؤدي إلى الإطاحة بالدولة لأن مذبحة كهذه ستقضي على الفريق الصالح من المواطنين مع غيرهم . فإن كل حركة اضطهاد لا ترتكز على أساس فكري تظهر للعالم وكأنها حركة ظالمة ، وتدفعهم إلى العطف على المضطهدين ، وبذلك يزداد قوة الأنصار تبعاً لاتساع حركة الاضطهاد .

إن الشبه لكبير بين العقيدة المحصورة في نطاقها الضيق وبين الكائن الحي وهو لا يزال طفلاً . فهو يتعرض للامراض في مرحلة الطفولة ،إنما السنين تكسبه مناعة كافية . وهكذا الفكرة أو العقيدة يسهل القضاء عليها قبل أن تنمو وتنتشر ، أما إذا جاء التدبير بعد انتشارها ، فإن النتائج ستكون مخيبة للآمال للاسباب الآتية :

إن الشرط الأساسي لنجاح فكرة القوة لمكافحة عقيدة ما ، هو الاستمرار في محاربتها بدون هوادة ، أما إذا كان هناك قليلاً من التسامح ، فالعقيدة لا تلبث أن تستجمع قواها وتعود إلى نشاطها من جديد . لكن الاستمرار في المكافحة يجب أن يقوم على أساس عقيدة أخرى ، وإلا كان الاستمرار بالقمع يبدو متردداً لافتقاره إلى الركائز التي تدعمه ... لهذا نجد أن جميع المحاولات

التي بذلت لقمع فكرة الماركسية قد باءت بالفشل .

إن مـا اتخذه بسمارك من تدابير ضد الاشتراكيين لم يؤدي إلى نتيجـة مرضية ، وذلك لعدم وجود فكرة أو عقيدة مضادة . وقد اضطر في النهاية لا سيا بعد أن جنح الاشتراكيون نحـو الماركسية اضطر بسمارك إلى الاستعانـة بالديمقراطية البورجوازية ، أي بكلمة ثانية بالاشتراكيين المعتدلين لمكافحـة الماركسيين ، وكان بعمله هذا كالذي يوصي القط بقطعة الجبنة ...

الفصل الخامس

الحرب والدعاية

كانت الدعاية على جانب عظيم من الأهمية ، فهي أداة لتنوير الأذهان من جهة والخداع من يراد خداعهم من جهة ثانية . وقد لفت نظري أن الأحزاب الاشتراكية والماركسية كانت تتقن هذا الفن الذي لم يتعلمه سواهم من الأحزاب المناوئة عدا الحزب المسيحي الاشتراكي الذي كانت لديه دعايات منظمة في عهد الدكتور لوجر .

وقد لعبت الدعايات دوراً بارزاً في الحرب ، وكنت وأنا أراقب نشاط العدو في هذا الميدان ، أكاد أتفجر غيظاً لإغفالنا خطر هذا الفن الفعال . والأدهى من ذلك أن قادتنا لم يفكروا باللجوء إلى هذا السلاح ، مع انهم لمسوا مدى تأثيره في معنويات الشعب والجيش .

نعم لم تكن لنا دعايات منظمة ، وكانت الدعايات الممسوخة التي نوجهها تعطي نتائج عكسية ، لأن الذين أوكل إليهم تنظيمها لم يحملوا أنفسهم عناء تحديد الغرض منها ومعرفة ما إذا كانت وسيلة أم غاية . .

لقد كانت غايتنا من أنبل الغايات وأشرفها . فقد كنا ندافع عن حرية شعبنا واستقلاله وتوفير طعامه وضمان مستقبله . لذلك كان المفروض في الدعايات أن تركز على هذا الهدف لتذكي روح النضال في شعبنا لبلوغ النصر .

عندما نكافح من أجل كياننا ، لا يبقى هناك مجالاً للاعتبارات الانسانية ، لأن هذه الاعتبارات هي من صنع مخيلة الانسان ، فمتى زال هو زالت معه الاعتبارات الانسانية لأن الطبيعة لا تعترف بها .

قال مولكته :.« ان أساليب القتال العنيفة هي أكثر الأساليب إنسانية

لأنها تعجل في وضع حد للحرب ، والنضال من أجل الكيان ينفي كل اعتبار جمالي ، لأنه ليس هناك أقبح من ظلم الاستعباد . »

نعم لقد كان مولكته محقاً ، وقوله هذا ينطبق على القتال وعلى الدعاية . فالشعب قد حمل السلاح ليدافع عن كيانه ، والدعاية التي تهدف إلى إذكاء حماسته الوطنية هي غاية يجب الوصول اليها مهما كانت الوسائل .فكل سلاح ، مهما يكن منافياً لمبادىء الانسانية ، يصبح وسيلة إنسانية ما دام الغرض من استعماله الدفاع عن حريتها .

هل توجه الدعاية إلى المتعلمين أم إلى العوام ؟

يجب توجيه الاعلان إلى عامة الشعب فالمتعلمين يوجه لهم التفسير العلمي للدعايات . لأن الدعاية لا تحوي من العلم أكثر مما يحويه الاعلان من عناصر فنية . ففن الاعلان يقوم على براعة الرسام في لفت النظر إلى إعلانه المرسوم . فمثلاً الاعلان عن معرض فني ، يطلب أولاً إبراز الفن في المعرض المعلن عنه ، وإعطاء فكرة عن معنى هذا المعرض ، أما الفن فلا يمكن للرسام أن يعطي أي فكرة عنه إلا بزيارة المعرض والنظر إلى كل لوحة على انفراد .

إن الدعايات تهدف إلى لفت نظر الجمهور إلى وقائع وأحداث ، لا على تنوير الشعب على أساس علمي . لذلك وجب التوجه إلى قلوب الشعب لا عقله .

يجب أن تكون الدعاية شعبية لتكون في مستوى تفكيره . وكلما كان عدد الذين تنقل لهم الدعاية كبيراً ، كلما وجب خفض مستواها العلمي ، ليتسنى لجميع الطبقات تفهمها واستيعاب القصد منها . فالدعاية التي تتوجه إلى قلب الجمهور وحواسه قبل عقله هي التي تكون أشد تأثيراً به ، شرط أن لا تعتمد التضليل وقلب الحقائق .

لقد ركزت الصحافة الالمانية والنمساوية على السخرية من العدو ، وإظهاره بمظهر الجبان . ولكن هذه الدعاية كانت تعطي نتائج معكوسة ، لأن قراء هذه الصحف كانوا يجدون في ساحات القتال جنوداً من الأعداء شجعاناً وأقوياء لذلك عوضا عن تقوية روح المقاومة في الجنود ، أضعفت من معنوياتهم وأثارت نقمتهم . بعكس الدعاية الانكليزية التي كانت تبدو معقولة بارعة ، فقد كانت

تصور الألمان كقبائل « الهون » البرابرة . فهي كانت تعد الجندي الانكليزي للثبات واليقظة . وعندما يجد في الألمان الشدة في القتال ، يتأكد من أن الدعاية التي زودته بها حكومته لم تكن مضللة ، فيقتنع أن الألمان برابرة ...

لذلك كسبت الحكومة ثقـــة جنودها ، فأيقنوا أن حكوماتهم تصارحهم بالحقيقة مهما كانت جارحة . بعكس الجندي الألماني فقد انتهى بـــه العدو إلى اعتبار جميع ما تعلنه حكومته تضليلاً ونفاقاً . وكان فشل الدعاية الألمانيـــة يعود إلى إهمال الاعتبارات السيكولوجية ، وعدم إبراز موقف المـانيا في شتى الميادين دون اللجوء إلى المقارنة بين ألمانيا والدول الأخرى . اليس من السذاجة أن يعلن أحد معامل الصابون عن إنتاجه الجيد ذاكراً أن الصابون الذي تنتجه المعامل الأخرى جيد أيضاً ؟ فقد كانت دعاياتنا تقوم على هذا المنطق الأعوج . فالدعاية لا تكون إلا لمصلحة الفريق الذي تعمل له .

لقد وقعت الدعاية الألمانية في هذا الخطأ الكبير حينا أكدت أنه لا يجوز أن تتحمل ألمانيا وحدها مسؤولية جرالعالم إلى الحرب، وأن العدو يجب أن يتحمل قسماً من هذه المسؤولية . فهي قد اعترفت ببعض الحـق للعدو ،أمام شعبها الذي يسوده الشك والارتياب في حكومته ، فما لبث هذا الشعب أن وقع في دوامـة القلق وأصبح عاجزاً عن التمييز بين مسؤولية العدو ومسؤولية وطنه ، وزاده تردداً وتشكيكاً دعاية العدو المضادة التي كانت تضع كل المسؤولية على ألمانيا وحدها وتحملها جميع التبعات ، فانتهى به الأمر إلى الوقوع في حبائل الدعاية المضللة .

لقد أدرك الانكليز أن أكثرية الشعوب في الازمات تأتي آراؤها وتصرفاتها نتيجة المؤثرات لا نتيجة التفكـير المجرد . فالتأثـير الذي يسيطر على الشعب ليس إلا الشعور بالحب أو البغض ،بالصدق أو الكذب ،بالقوة أو الضعف .

لقد اكتشف الانكليز سر الدعاية ، وعرفوا كيف يستخدمونهـا كسلاح أساسي . فجندوا لها رجالاً أكفاء ، فنجحوا نجاحاً باهراً .

أما نحن فقد اعتبرنا الدعاية كسلاح ثانوي ، وعهدنا بهـا إلى نفر من حمـلة الاقلام البعيدين عن الجمهور ، فكانت النتيجة الفشل ...

الفصلُ السادسُ

الثورة

بدأت حملة العدو الدعائية عام ١٩١٥، وخلال عام ١٩١٨ تدفقت الاشاعات والأكاذيب على المانيا بشكل ظاهر مما أثر تأثيراً مباشراً على الجيش ، وبـــدأ يحول تفكيره نحو تصديق ما كان يقوله العدو . وفي الصيف وبعد إخلاء الضفــة الجنوبية لنهر المارن ،وقفت صحافتنا الألمانية موقفاً مخزياً إن لم نقـل مجرماً ، وقد رحت أساءل نفسي بألم : ماذا تنتظر السلطات لوقف هذه الحملات المسعورة المضعفه لمعنوياتنا .

ماذا صنعت فرنسا عام ١٩١٤ عندما اجتاحت جيوشنا اراضيها ؟ وما هو الموقف الذي وقفته عام ١٩١٨ عندما أوشكت جيوشنا على دخول باريس ؟لقد قامت الدعاية لتلعب دورها المنظم في إلهاب صدور الشعب بالحماس مدخلة في عقولهم أن النصر النهائي سيكون لهم .

كم تألمت لأنني لم أكن مكان المسؤولين عن الدعاية الألمانية ، وهم العاجزين أو المقصرين . ولكن شاءت الظروف أن أكون في وضع يسمح لأي زنجي أن يصرعني برصاصة ، مع العلم انني لو كلفت بمهمة أخرى لأسديت لبلادي خدمات كثيرة ، ولكن ما حيلتي أنا الجندي البسيط بين ثمانية ملايين رجل !

في أحد أيام الصيف من عام ١٩١٥ وقعت على إحدى النشرات الدعائية التي كان يوجهها العدو ، فقرأت فيها أن المجاعة بدأت تنتشر في المانيا ، وان الحرب

طويلة ولم يعد هناك من أمل لألمانيا في كسب الحرب ، لذلك فإن الشعب الألماني يريد السلم لكن العسكريين والقيصر لا يريـدون له السلم بل الحرب ، وإذا كان العالم قد حمل السلاح ، فليس معنى هذا أنـه يحارب شعب المـانيا ، ولكن غاية الحلفاء هي معاقبة المسؤول الوحيد ! القيصر غليوم ، ولـن تنتهي الخلافات إلا بعـــد إقصاء القيصر عدو البشرية . ومتى انتهت الحرب ستفتح الشعوب الحرة والديمقراطية ذراعيها للشعب الألماني كي تتعاون وإياه تحت جنـاح السلم العالمي الدائم ، هذا السلم الذي ستقوم دعائمه على انقاض الروح العسكرية البروسية ...

كانت هذه النشرات تقابل بالسخرية التامة ، ولكن العدو استمر في إرسالها بواسطة الطائرات . وقد لاحظنا ان النشرات الـتي كانت تلقى فوق الاراضي التي يسكنها بافاريون تتضمن هجوماً عنيفاً على بروسيا ، زاعمة انها المسؤولة عن نشوب الحرب ، مع أن الحلفاء لا يريدون الحرب مع بافاريا ، ولكن لا يسعهم ان يساعدوها طالما هي مع البروسيين . ولم تلبث هذه الدعاية المسمومة أن أثرت تأثيراً كبيراً ، فازدادت النقمة على بروسيا خاصة في الجيش دون ان تكترث لها السلطات ، ولما قررت التدخل كان الوضع قد أصبح خطيراً وأفلت زمامه من يدها ، ودفع ثمن تهاونها الشعب الألماني كله ....

وقد ساهم في إضعاف معنويات الجنود ، الرسائل التي كانت ترسلها النساء إلى أزواجهن يشكون فيها ما يقاسونه من عذاب وحرمان ... وقـد حصل العدو على بعض الرسائل مع الاسرى فاستغلها في دعاياته أحسن استغلال ... وهكذا بدأت الأزمة تتفاقم ، ولكن بقيت هناك معنويات طيبة بـين الجنود ، بحيث أنهم كانوا يؤدون واجبهم على أكمل وجه ويـــدافعوا عن كل شبر من ارض الوطن .

في شهر ايلول عام ١٩١٦ تلقينا الأوامر للالتحاق بالفيالق المقاتلة قرب نهر « السوم » حيث شاركنا في قتال رهيب مع العدو ، وكان سلاحنا جديداً جعل من المعركة جحيماً . وفي السابع من تشرين الأول اصبت بشظيـة ، فنقلت إلى المؤخرة حيث أقلني القطار إلى المانيا ، وادخلت إلى مستشفى بيليتز في ضواحي

برلين . وهناك قـدر لي ان ألمس الفرق بين الروح الوطنية المسيطرة في الجبهة وبين المؤخرة . فقد سمعت ما لم اسمعه في ميدان القتال . سمعت جريحاً يتحدث ويفاخر بفشله وجبنه ، وسمعت آخراً يقول انه جرح يديه بالاسلاك الشائكة كي ينقـلوه إلى المستشفى ، وقد لاحظت أن بعض المستمعين كان يصغي إليـه مستحسنين ما يقوله ....

ما انتمكنت من المشي دون تعب ،حتى طلبت الاذن باخراجي من المستشفى حيث انتقلت لبرلين التي كانت في حالـة غليان شديد ، فالمجاعـة متفشية والأمراض تفتك بالناس والنقمة على الاوضاع ظاهرة على وجوه الجميع .

بعد شفائي التام الحقت بفوج الاستيداع في ميونيخ . وهناك كانت الحالـة أسوأ من برلين . وقد اذهلتني الروح الانهزامية المستسلمة الـتي سيطرت على مدينة الفن. وكانت معنويات الجنود في الفوج الذي الحقت به أسوأ من معنويات السكان ، فقد كان مدربي الفوج من الضباط المستجدين الذين لم يـذهبوا إلى الجبهة قط ، لذلك لم يتمكنوا من تفهم نفسية الجنود الذين قاتـلوا وأصيبوا ودفعوا ضريبة الدم .

ومن جملة ما لاحظته ان الحالة الروحية إجمالاً لم تكن مرضية .فاليهود كانوا يشغلون معظم الوظائف المدنية ،والحياة الاقتصادية اصبحت معلقة بيدي اليهود الذين بدأوا بامتصاص دم الشعب الألماني باسلوبهم الناعم ، فقد وجد اليهود ان حصر الانتاج الحربي هو الأداة الأساسية لضرب الاقتصاد القومي ،وهكذا كان ، إذ لم يأت شتاء ١٩١٧ حتى أصبح الانتاج الحربي بأسره خاضعاً للرساميـل اليهودية .

وكان الشعب الألماني ، في هذه الأثناء ، يغذي الأحقاد في صدوره . فقـد كانت الدعايات تحرض الناس على معاداة البروسيين ، بيـنما بقيت السلطات على الحياد من هذه الدعايات ، مع العلم انه لو انهارت بروسيا فهذا لن يدعم موقف بافاريا ، بل على العكس فإن سقوط أحدهما سيؤدي إلى سقوط الاثنين معاً. وكان اليهود ، كعادتهم ، وراء هذه الدسائس ، فقد شغلوا بروسيا وبافاريا بالخلافات ،

بينا راحوا يمتصون دماء الشعب وموارد رزقه . وبينا كان البافاريون يشتمون روسيا ، كان اليهود يهيئون الثورة فيقوضون دعائم بروسيا وبافاريا معاً .

لم اعد أحتمل هذه الحالة، لذلك قررت العودة إلى الجبهة،وغادرت ميونيخ في آذار عام ١٩١٧ . وقد لاحظت ارتفاع معنويات الجيش الألماني ، فقد انعش الأمل في نفسه انهيار المقاومة في روسيا ، وانهزام الايطاليين في خريف عام ١٩١٧ ، فشدد هذا من عزائمهم وزاد من ثقتهم بانفسهم ، ومر الشتاء عام ١٩١٨ هادئاً ، ولكن الهدوء الذي يسبق العاصفة .

فبينا كانت استعدادات الجيش الألماني قائمة على قدم وساق ، استعداداً للهجوم الكبير في الربيع المقبل ، حدثت المفاجأة الغير منتظرة ... فقد لجأ أعداء الأمة إلى طريقة بدت لهم انها ستوقف هجوم الربيع المنتظر .

فقد هيئوا لاضراب عمال مصانع الذخيرة ...

قدروا أن الاضراب سيترتب عليه شل حركة الجيش في هجومه المنتظر ، مما سيدفع بالحلفاء إلى الهجوم وفتح ثغرات عديدة في الجبهة الألمانية . وبذلك يتفادى أعداء المانيا الهزيمة ، وتسيطر الرساميل الدولية على المانيا وتبلغ الماركسية الخداعة هدفها الرئيسي .

لكن هذا الاضراب المصطنع لم يعط النتائج التي أرادها الأعداء ، لأن الاضراب لم يستمر إلا وقتاً قصيراً ولم تفتقر الجبهة إلى الذخيرة. إلا أن الاضرار المعنوية كانت كبيرة . فقد بدأ الجنود يفكرون كيف يمكنهم القتال ولأجل من يقاتلون ، طالما أن بلادهم تضرب لتمنع عنهم الذخيرة ؟

ولكن ما كان صدى هذا الاضراب عند اليهود ؟

في شتاء عام ١٩١٨ خيم التشاؤم على صفوف الحلفاء . فمنذ أربع سنوات والجيوش الحليفة تهاجم العملاق الألماني بدون طائل ، مع العلم أن الجيش الألماني كان يحارب على ثلاث جبهات . أما الآن وبعد أن قضى على الحليف الروسي واطمئن إلى موخرته ، تفرغ نهائياً لمنازلة اعدائه الباقين. وبذلك أصبح من المتوقع أن يبدأ الجيش الألماني بشن هجومه الكبير .

ساد الصمت الرهيب على طول الجبهة، وكف العدو عن ثرثرته في إيهام الرأي العام عن انهزام المانيا .

لقد مرت ثلاث سنوات وجنودنا يقـــارعون العملاق الروسي وكان الرأي السائد في عواصم الدول الحليفة أن النصر سيكون للعملاق الروسي الذي كان يتميز بالتفوق العددي .

بعد معركة تاننبرغ بدأت قوافل الأسرى من الروس تصل إلى المانيا ، ولكن كثرة عدد الروس بدت كأنها لن تنفد ، فكل جيش نسحقه كنا نجد مكانـه جيشاً آخراً يحل محله . ولكن الجبار الروسي سقط ، ولم يبق أمامنا إلا الهجوم الصاعق بعد توحد شطري جيشنا الباسل .

لقد كان الحلفاء في موقف حرج . فبينما كانوا يقفون بانتظار مصيرهم المحتوم، وبينما كانت القيادة الألمانية تستعد لإصـــدار تعليماتها للهجوم ، اعلن الاضراب العام في المانيـــا . وتنفس العدو الصعداء ، وبدأت دعاياته تنصب على رفـــع معنويات جيوشهم . محاولة إقناعهم أن مصير الحرب لن يقرره الهجوم الألماني ، بل النصر سيكون حليف الذي يثبت للنهاية .

*

كان لي شرف المشاركة في الهجوم الأول والهجوم الأخير ، ولـــن يمكنني نسيان تلك التظاهرات الحماسية التي رافقت انتقالنا من الدفـــاع إلى الهجوم ، فعادت كتائبنا المظفرة تهز الويتها وتنشد أناشيدها ، متأكدة أن النصر سيكون حليفها في الغرب كما كان لها في الشرق .

لكن القدر كان يعد مفاجأة لشعبنا . ففي الصيف من عام ١٩١٨ ، ظهرت علامات الإعياء في الجبهة ، بينما بـــدأ الشقاق يدب بين صفوف المواطنين في المؤخرة ، ولم تلبث الأخبار والاشاعات أن وصلت إلى الجبهة ، فمن قائل ان الشعب يرفض القتال ومن قائل أن النصر قد افلت من يد المانيا ، وان الرأسماليين والقيصر غليوم هم أصحاب المصلحة في استمرار الحرب .

في ليل ١٤ تشرين الأول من العام نفسه انصبت المـــدافع الانكليزية على

خطوطنا بامطار من قنابل الغاز المعروف باسم « الغاز ذي الصليب الأصفر »ومن ميزاته ان المرء لا يشعر بوجوده كي يتجنبه . وكانت فرقتنا تعمل على الجبهة جنوب نهر « الايبر » عندما فوجئنا بالغاز ، وفي الليل بـدأ نقل المصابين إلى المؤخرة وكنت واحداً منهم فنقلت إلى مستشفى « باسفلك » حيث شاء سوء حظي ان اشهد هناك الثورة .

لم تكن الثورة مفاجئة لكثيرين منا،فقد كان منتظراً نشوبها بين يوم وآخر. وفي تشرين الثاني عام ١٩١٨ انطلقت الشرارة الأولى فوصل ذات صبـاح جمهور من رجال البحرية في كميونات للجيش وبدأوا يحرضون الشعب على التظـاهر ، تحت راية العمل من اجل حرية شعبنا وكرامته ، وقد لاحظت ان زعماء هـذه الحركة كانوا من الشبان اليهود الذين لم يسبق لهم ان حملوا السلاح .

امتدت العدوى إلى ميونيخ ، وكنت لا أزال اعتبرها ثورة ضيقة النطـاق يقوم بها نفر من رجال البحرية . لكن الأيام أظهرت لي أن الثورة قد تفاقمت وعمت البلاد ، حتى أنها وصلت إلى الجبهة حيث بدأت الاشاعات عن إلقـاء السلاح .

وحدث أن جاء إلى المستشفى أحد رجال الدين ليلقي فينا موعظة ، ومنـه علمت كل شيء . فقد كان يتكلم بصوت متهدج ويقول أن آل هوهنزولرن قـد فقدوا حقهم بالعرش ، وان المانيا قـد بدلت النظام الملكي بالنظام الجمهوري ، ودعانا إلى الصلاة للنظام الجديد ، ثم اخبرنا أن بلادنا خسرت الحرب،واصبحنا الآن تحت رحمة العدو، وعلينا أن نقبل بالأمر الواقع ونستسلم للشروط المفروضة دون أن نقنط من رحمة العدو وتسامحه .

عندما وصل القسيس إلى هذا الحد ، لم اتمالك نفسي فخرجت مـن الغرفـة أتلمس طريقي إلى السرير حيث ارتميت عليه ودفنت رأسي تحت الغطاء .

لقد خسرنا كل شيء وأكثر من ذلك خسرنا مليوني شهيد قتلوا في ساحـة الشرف .

كيف سنبرر موقفنا للأجيال المقبلة؟وكيف سنكتب غداً تاريخ هذا الحدث؟ ان الذين تسببوا في وقوع الكارثة ، ولطخوا بالعار تاريخ شعبنا المجيد ، قد

جنوا على هذا الشعب دون أن يشعروا .

إن الحقد يغـلي في صدري على اولئك الذين سببوا الكارثة . ومرت الأيام وأيقنت ان الاعتماد على سخاء العدو هو تسامحه ونوع من الجنون بل هو الخيانة بالذات .

قررت الاشتغال بالسياسة واضعاً أمامي إنقاذ ألمانيا من عدوين : الماركسية واليهودية . إن غليوم الثاني كان أول امبراطور ألماني مد يـده إلى الماركسيين الذين صافحوه وبيدهم الأخرى يخفون الخنجر المسموم ...

●

الفصل السابع

نشاطي السياسي

في شهر تشرين الثاني عام ١٩١٨ رجعت إلى ميونيخ لكي أنضم إلى البقية الباقية من أفراد فيلقي في الاستيداع ، وقد وجدت الفيلق تحت عهدة « المجلس العسكري » الذي سرعان ما برمت به وبأساليبه ، فانتقلت إلى « ترونشتين » مع صديقي ارنست شميت ، ولم أعد إلى ميونيخ بعد ذلك إلا عام ١٩١٩ .

كانت الحالة في المدينة غير مستقرة ، فبعد وفاة « إيرنز » سادت الدكتاتورية السوفياتية وخفت سيطرة اليهود الذين بذروا بذرة الثورة .

لم تمنعني الحوادث الجارية من الجهر بآرائي ، مما حدا بالسوفييت المركزي في ميونيخ على وضع اسمي في اللائحة السوداء، لائحة اعداء الثورة. وقد اضطررت إلى شهر السلاح في وجه ثلاثة رجال جاؤوا لاعتقالي ، فعادوا من حيث أتوا ولم يعاودوا الكرة .

بعـــد إنقاذ ميونيخ انتخبت عضواً في لجنة للتحقيق في حوادث العصيان والثورة التي شطرت فيلق المشاة الثاني إلى قسمين . ثم تلقيت أمراً بمتابعة دروس خاصة في التنشئة الوطنية التي كانت تلقى على أفراد القوى المسلحة. وهناك تعرفت إلى رفاق كثيرين يوافقوني الرأي عن الحالة السياسية وكانوا جميعهم مقتنعين أن الذين ارتكبوا جريمة تشرين الثاني لن يتمكنوا من إنقاذ ألمانيا ، أمـا بالنسبة للأحزاب البورجوازية القومية فهي عاجزة عن إصلاح ما أفسده المفسدون .

وقمنا بوضع الخطوط الاولىلتأليف حزب جديد.يقوم على مبادىء تقدمية . وقدقررنا أن نعطي الحزب إسماً يروق للجماهير الشعبية كي تلتحق فيه ، فسميناه « الحزب الاجتماعي الثوري » باعتبار المبادىء الاجتماعية لحزبنا الجديد كانت ذات طابع تقدمي ثوري . وقد كان هناك سبباً هاماً دفعني على اختيار هذا الاسم ، ذلك ان اهتمامي بالمسألة الاقتصادية لم يتح لي دراسة المشاكل الاجتماعية، فلما تعمقت بدراستي اتضح لي أن سياسة المحالفات الألمانية كانت نتيجة لتقدير خاطىء لأسس الحياة الاقتصادية . كما اتضح لي أن معرفة المسؤولين عن رأس المال كانت ضعيفة وسطحية . فما هو رأس المال ؟

انه نتيجة العمل ، وهو غير ثابت لأنه خاضع كالعمل نفسه إلى العوامل المؤاتية لنشاط البشر أو المعرقلة لها . وعلى هذا تبقى أهمية رأس المال مرتبطة بقوة الدولة وحريتها . فتوجيه رأس المال تمليه مصلحة حرية الدولة واستقلالها يجره بالتالي إلى خدمة حرية الدولة وعظمتها . وبذلك يجب على الدولة إبقاء رأس المال خاضعاً لها بدلاً من أن تتركه يطغي على الأمة . وهذا لا يتم إلا إذا أصبح الاقتصاد القومي مستقلاً ، وأصبحت حقوق العامل الاجتماعية مضمونة.

لم يكن هناك فرق كبير بين رأس المال الذي هو ثمرة العمل المنتج ، وبين رأس المال الذي يقوم على المضاربات . وكان الفضل يعود إلى الأستاذ فيدرالذي لفت نظري الى أهمية رأس المال الذيوجدت فيه الأساسالذي يمكن أن يقوم عليه الحزب الجديد .

كان الاستاذ فيدر يشدد على ضرورة التمييز بين رأس المال الدولي الخاضع لسياسة المضاربات ، ورأس المال المرتبط بالاقتصاد الشعبي . وقد حاول النقاد إيجاد ثغرات في نظريته لكنهم اعترفوا أخيراً بصحتها ولكن لم يثقوا بإمكانية تطبيقها عملياً .

إن ما ظهر للناقدين ضعيفاً في نظرية الأستاذ فيدر ، يشكل بنظري موطناً للقوة . إذ ان ما يجب على صاحب مشروع ما ان يهتم به كفاية قبل الواسطة . وبالتالي ينبغي على من يضع مشروعاً لحركة ما ، ان يحدد الغاية منها ، أما تحقيق هذه الغاية فيسلم إلى رجل السياسة. فتتجلى عظمة الأول في صحة نظرياته

وآرائه ، وتظهر عظمة الآخر في تقديره للأمور ومعالجته لها واستخدامهـا على ضوء التشريعات التي حددها رجل الفكر .

إن فكرة مثالية ذات أهداف كبيرة لا يمكن تحقيقها بالطرق والوسائـل البشرية المعروفة كما صورها عقل صاحبهـا . لذلك لا يجوز أن نقيس عظمـة صاحبها بمقدار ما تحقق من فكرته ، ولكن بمدى تأثير هـذه الفكرة في تقدم البشرية . أمـا إذا افترضنا أن نجاح الفكرة نجاحاً كلياً هو المقياس لعظمـة موجدها ، فإننا لن نجد مكاناً بين العظماء لمؤسسي الأديان السماوية ، لأن تطبيق تعاليمهم الروحية بشكل عملي لهو من الأمور المستحيلة . وإنما أهميته تقوم على الفكرة الموجهة التي أراد مؤسسها أن يصقل الاخلاق والعادات البشرية .

وهذا الفرق الكبير بين مؤسس الفكرة وبين رجل السياسة يجعل من النادر جداً أن يجتمع كلاهما في شخص واحد . وهذا ينطبق على رجـال السياسة العاديين الذين مارسوا نشاطهم ضمن نطاق الممكن . وقد أشار بسمارك إلى هؤلاء عندما حدد السياسة بقوله انها « فن العمل في حدود الممكن » .

من المؤسف ان نرى مشاريع رجال السياسة البعيدة عن الأفكار السامية والواضحة ، تصادف نجاحاً كبيراً وبوقت قصير لكن هـذه المشاريع تكون قصيرة الأجل ، فإنها تموت بموت صاحبها فهي لا تعود بأي نفع على الأجيال المقبلة لان نجاحها يقوم على إهمال المشاريع البناءة البعيدة الاثر ، ومن الغريب أن نرى أن متابعة هذا النوع من الاهداف السامية لا يرى تشجيعاً من جانب المواطنين فهم يهتمون بالزعماء الذين يؤمنون لهم بطاقات الحليب والبيرة وطعامهم اليومي ، تاركين الذين يفكرون بالمشاريع البعيدة الهدف التي لا يستفيد منها إلا الاجيال القادمـة .

لهذه الاسباب نرى معظم رجـال السياسة ينصرفون عن المشاريع ذات الهدف البعيد ، حرصاً منهم على ترضية جمهورهم الذي يهمه الوقت الحاضر .

*

لقد ادركت على ضوء نظريات الاستاذ « فيدر » أن جهودنا يجب أن توجه

ضد فكرة رأس المال الدولي ، وقد اثبتت الحوادث صحة هذا الرأي ، فحتى نوابغ الساسة البورجوازيين في هذه الايام أدركوا مدى خطورة رأس المال الدولي ، فهو لم يكتف بإثارة الحرب العالمية ، بل جعل من السلم جحيماً لا يطاق . ولم يبق شخص مخلص واحد إلا وادرك ان محاربة رأس المال المعد للقروض أصبح واجباً وطنياً لإنقاذ الامة وإنقاذ حريتها واقتصادها .

فإلى الذين يتخوفون من هذا الاتجاه ، اطمئنهم أن مخاوفهم ليست في محلها، فقد جربت المانيا عدة تجارب اقتصادية على غير طائل . ويذكرني تحفظ هؤلاء بتلك الآراء السخيفة التي طلع بها مؤتمر الاطباء البافاريين عندما تنادوا ضد مشروع إنشاء السكك الحديدية ، وكانت حجتهم أن المسافرين سيصابون بالدوار وكذلك السكان الذين سيمر بهم القطار ، وأوصى المؤتمرون بإقامة حواجز من الخشب أو غيره يحول دون رؤية الجمهور للقطار وهو يمر بسرعة كي لا يؤثر هذا المشهد على أعصابهم .

فنصيحتي للذين يريدون التطور التدريجي أن يدعوا هذا العمل لغيرهم من المخلصين الذين يقدمون لعرقنا وشعبنا أسباب النمو ، بحيث يمكنه أن يغذي ابناءه ويحفظ دمه نقياً .

عدت إلى دراسة نظريات اليهودي كارل ماركس ، فتوضحت لي هذه المرة أهداف رأس المال كما حدده هو ، وتبينت بوضوح ما تهدف اليه الاشتراكية الديمقراطية من جراء محاربتها للاقتصاد القومي ، فهي تهدف إلى تسخير مالية البلاد واقتصادياتها لخدمة وسيطرة الرأسمال اليهودي .... وقد اشتركت في عدة مناقشات حول هذا الموضوع . وفي أحد الايام وقف احدهم ليدافع عن اليهودوالماركسية بشكل لفت نظر المستمعين ، وقد رددت عليه بشكل عنيف مقنع مما حمل الكثيرين على تبني وجهة نظري .

بعد أيام ألحقت بإحدى الثكنات العسكرية في ميونيخ بصفة مربي عسكري.

بدأت مهمتي الجديدة بحماس شديد ، مع أن روح الانضباط كانت ضعيفة فكان علي أن أدرب الجنود على التفكير قومياً ووطنياً مما فتح أمامي فرصة

صقل موهبتي في الخطابة والتحدث في حفل كبير ، وسرعان ما أصبحت محدثاً بارعاً وخطيباً قوي الصوت .

لقد تكللت جهودي بالنجاح ، فتمكنت من إعادة مئات من الجنود ضحايا الماركسية ، إلى فكرة الوطن والشعب ، كما تمكنت من إعادة الانضباط إلى عهده السابق .

وخلال هذه الفترة تعرفت إلى رفاق تمكنت وإياهم فيما بعد من وضع اسس الحركة الجديدة .

*

الفصل الثامن

حزب الفلاح الالماني

وصلني في احد الايام الامر من رؤسائي ان أتعرف الى حقيقة منظمة جديدة سياسية المظهر تدعى « حزب الفلاح الالماني » وكان من المقرر ان يعقد هـذا الحزب اجتماعاً يلقي فيه الاستاذ فيدر خطاباً هاماً .

لقد اعترفت الثورة للجيش بحقه بالاشتغال بالسياسة ، وقد استهوته هـذه الخطوة الجديدة التيخاضها دون ان يكون مهيأً لها .ولم تلبث أحزاب الوسط، والحزب الاشتراكي الديمقراطي ان سعت الى إعادته الى عزلته السابقة بجردينه من حق الاقتراع وحق العمل في الحقـل السياسي . وكان السبب هو أن الجيش قد ابتعد عن الاحزاب اليسارية واتجه نحو الحركة القومية والانعاش القومي .

لقد أراد اليساريون بالاشتراك مع حكومة تشرين الثاني ، ان يبقوا على حالة الخزي والعار ، فقد كان الجيش يسلك طريق الخلاص ، خلاص الامة من الذين كانوا يمتصون دمها خدمة للحلفاء . والأغرب من ذلك ان الاحزاب القومية قد ساعدتهم لإبعـاد الجيش عن السياسة مفوتين على حركة الانعاش القومي فرصة الاستفادة من أداة فعالة للانعاش ...

والظاهر أن هذه البورجوازية العقيمة قد تبعت الماركسيين وحلفاءهم ، ظناً منها ان إعادة الجيش الى عزلته السابقة ستكون درعاً قوياً للوطن ، مع ان هدف الماركسيين هو منع الجيش من مناصرة الاحزاب ذات النزعـة القومية ،

ومنع نهوض العسكريين بالبلاد لتسترد مكانتها السابقة .

أبرزت هذا الموضوع بسبب صدور الأمر إليّ للسعي لمعرفة حقيقة الحركة الجديدة ، أي حركة حزب الفلاح الألماني . وقد حرصت على حضور الاجتماع المقرر كي أسمع وأدون الملاحظات التي تمكنني من وضع التقرير .

عندما وصلت إلى حانة « سترنكر » في ميونيخ ، وجدت أن الاجتماع لم يكن يحوي إلا عشرين رجلاً ينتمي معظمهم إلى الطبقة الكادحة . أما محاضرة « فيدر » فكانت عبارة عن إعادة لأقواله السابقة ، لذلك حصرت اهتمامي بمراقبة المستمعين اليه . وقد تنبأت قبل دخولي الاجتماع أن الحزب الجديد لن يكون مختلفاً عن بقية الأحزاب التي نشأت مباشرة بعد الكارثة . وكان رأيي في محله . فقد كانت المانيا في فترة من الارتباك وكان كل ألماني يعتقد أنه هو المنقذ الوحيد للشعب من الفوضى التي كان يتخبط فيها . فكانت الأحزاب تقوم وتختفي دون أية ضجة ، لأنها كانت تقوم على أسس واهية ضعيفة .

وحين هممت بالخروج ، سمعت المشرف على الاجتماع يقدم « أستاذاً » لم أعد أذكر اسمه يريد مناقشة آراء فيدر وينقض حججه . وبدأ الأستاذ خطابه بأن أوصى الحزب الجديد بوجوب العمل على فصل بافاريا عن بروسيا ، وشدد على أهمية هذا العمل مدعياً أن النمسا الالمانية ستنضم إلى بافاريا بعد الانفصال . فاستفزني بكلامه واندفعت لأرد عليه وأفحمه ، ولكنه لم يلبث أن انسحب يجر أذيال الخيبة قبل الانتهاء من كلمتي . وقد بقي معظم الأعضاء يصغون إلى كلمتي باهتمام كبير ، وصافحني معظمهم مهنئاً . وقبل أن أغادر المكان قدم لي أحدهم كراساً وطلب مني أن أقرأه . فقبلت الكراس لأنه سيوفر علي مشقة الحضور إلى اجتماعات الحزب لمعرفة حقيقة مراميه ...

وفي غرفتي في الثكنة جلست أطالع صفحات الكراس، وقد حسبته ميثاق الحزب الجديد ، فإذا هو عبارة عن اعتراف عامل ألماني ربما كان الرجل الذي أعطاني الكراس ، يسرد فيه ببساطة عما دعاه « يقظتي السياسية » . وسرعان ما شعرت بالاهتمام فانكببت على مطالعته بشغف لان الكاتب قد مرّ بالمراحل

التي سبق لي أن مررت بها ، وتطورت نفسيته كما تطورت نفسيتي ، فقد التحق الرجل في الحركة النقابية وضحى في سبيلها ، ولكنه أدرك أن الماركسية هي عدوة الوطن وعدوة الفضائل والقيم ؛ وان الألماني الصميم هو الذي يضع مصلحة الأمة فوق جميع المصالح ...

بعد اسبوعين وصلتني في البريدرسالة تعلمني أنني قد أصبحت عضواً فيحزب الفلاح الالماني ، وتدعوني إلى حضور اجتماع اللجنة .

في الموعد المحدد ذهبت إلى نزل روزنباء ، مكان الاجتماع ، بعد أنترددت كثيراً في الذهاب . فأدخلت الى قاعة فسيحة في وسطها طاولة يجلس حولها أربعة شبان ، عرفت منهم صاحب الكراس الذي صافحني وقدمني الى رفاقه ، ثم دعيت الى الجلوس . بعد دقائق وصل رئيس الحزب فعرفت أنه هو الذي ترأس الاجتماع في الحانة .وقبلالابتداء علمت أن الرئيسالأعلى يدعى هاريردان وان رئيس فرع ميونيخ يدعى انطوان دركسلر .

تلي محضر الاجتماع السابق ، ثم تكلم أمين الصندوق وقال ان مجموع ما في الصندوق هو سبعة ماركات ونصف ، وأنه يأمل أن يتضاعف المبلغ في وقت قريب ... وقبل الانتقال الى جدول الأعمال تلا الرئيس ثلاث رسائل أعدها جواباً على رسائل جاءته من برلين وكيبل ودوسلدورف ، ثم تلا ثلاث رسائل جديدة وصلت من المدن الثلاث، فأبدى المجتمعون اهتماماً بالغاً لتبادل الرسائل لأن هذا يعتبر دليلاً على نمو الحزب وانتشاره .

بعد ذلك وصل المجتمعون الى جدول الاعمال، وبدأوا بحث مسألة المرشحين للدخول في الحزب . فسألني الرئيس : هل أنت مصمم على أن تتعاون معنا في حزب الفلاح الالماني ؟ فلم أجبه على السؤال بل بدأت اسأله عن حزبه وعن مبادئه وأهدافه وأسسه الفلسفية وطريقته في العمل . ولكن الاجوبة كانت مبهمة غامضة . ففهمت بعد جهد أن الحزب يعمل وليس لديه من أساليب الاحزاب المنظمة سوى الرغبة الاكيدة في العمل .وقد ظهرت لي الارادة الحسنة بعد أن اعترف ليالرئيس والاعضاء انهم لم يضعوا منهجاً واضحاً للحزب. ولكن

غاية الحزب هي النهوض بألمانيا واعادة أمجادها السابقة .

لقد أدرك هؤلاء الشباب أن وطنهم يقف على حافة الهاوية وان الاحزاب الموجودة ليست مؤهلة لانقاذه ، فعقدوا النيه على إنشاء الحزب لدعم التفكك في الداخل ، ومحاولة تحرير ألمانيا من ذل العبودية . والخلاصه كانت حسن النية السبب الوحيد المبرر لوجوده .

عندما رجعت الى الثكنة وجدت نفسي في حالة من القلق النفسي فهل انضم الى الحزب الجديد أم لا ؟ فكان تفكيري وعقلي ينصحاني بعدم الانضمام اليه ، وكانت عاطفتي تشدني الى حزب الفلاح الالماني الجديد ...

بعد صراع مع نفسي دام اسبوعين قررت الانضمام الى الحزب الجديد ، فقد كان الحزب بحاجة ماسة الى شخص يخطط له طريق العمل ويقوده نحو أهدافه السامية ، وان انضمامي اليه وهو لا يزال في أول الطريق يمكنني بالتالي من تلقيحه بالمبادىء التي اؤمن بها . ولكن هل أنا مؤهل لذلك ؟

لقد كنت على مفترق الطريق لأخرج من دائرة المواطنين المغمورين وان افتقاري الى الشهرة لن يمنعني من تقدم الصفوف وقيادة الحركات السياسية في البلاد التي كانت تغص بالقادة والزعماء . أما تحصيلي فيمكن زيادته بانكبابي على الدرس والمطالعة دون حاجة الى الشهادات العالية . لذلك يجب علي ان أحزم رأيي وأنضم الى الحزب...

وهكذا أصبحت عضواً مؤقتاً في حزب الفلاح الالماني أحمل الرقم ٧ .

*

الفصل التاسع

أسباب الانهيار

إن مقياس عمق سقطة جسم ما تقاس بالمسافة بين مكان سقطته والمكان الذي سقط منه ، وهذه النظرية يمكن تطبيقها على سقوط الشعوب والدول ...

لقد كان سقوط الامبراطورية من ارتفاع شاهق ، فكان الانهيار هائلاً ، فالامبراطورية لم تبنى على ثرثرة البرلمانيين ، بل على سواعد جنودها واعمالهم البطولية الخارقة . ففي الحرب السبعينية وبينما كانت المدافع تقصف باريس ، اختمرت فكرة تأسيس الامبراطورية وجعل التاج الامبراطوري من جديد رمزاً للوحدة المقدسة .

لقد نشأت دولة بسمارك على سواعد جنودنا في ساحات القتال وأحيطت ولادتها الامبراطورية بهالة من المجد التاريخي ، وعندما بدأت تتسلق درج التقدم ، أيقن العالم أنها ستبلغ ذروة المجد ... وينعم شعبها بالحرية والطمأنينة والبحبوحة .

من هذة القمة العالية سقطت الامبراطورية .. وانتاب الذهول شعبها فباتوا عاجزين عن تكوين فكرة صحيحة عما كانت عليه بلادهم قبيل انهيارها،فكيف يمكنهم أن يلمسوا العوامل التي أدت إلى هذا الانهيار .

ما أقل الذين شعروا باعراض الانحلال، فالذين كشفوا موطن الداء حاولوا علاجه ، لكن المخلصين منهم خلطوا بين أعراض المرض وعلته . فاليوم نعتبر

أن ضعف الجهاز الاقتصادي،هو السبب المنطقي للهزيمة ، فالمثقفين يعتبرون ان الهزيمة كانت هزيمة اقتصادية قبل أن تكون عسكرية. لذلك يحاولون بناء الأمة على أساس اقتصادي سليم .. لكن العامل الاقتصادي يأتي في المرتبة الثانية لأن أهم سبب أدى إلى الانهيار هو عامل السياسة والمعنويات وعامل الدم . وانطلاقاً من هذه الحقيقة يمكننا تشخيص المرض وإيجاد الدواء الشافي .

ان من الاقوال المنتشرة لتعليل انهيار الامبراطورية: «يجب علينا ان نتحمل نتائج الحرب ، أي الأزمة التي نعانيها من جراء الحرب الخاسرة» . وبلا شك هناك من يأخذ بهذا التعليل عن حسن نية .. ولكن هناك من يتعمد تضليل الناس بهذا التعليل ، فنجد قسماً كبيراً من هؤلاء الخبثاء في أوساط الحكومة بالذات .

لم ينس المواطنون عتاب دعاة الثورة من ماركسيين ويهود على الشعب لأنه لم يلجأ إلى العصيان حين كانت الحرب في بدايتها ليفوت على الرأسماليين لذة النصر وفوائده. ألم يؤكد هؤلاء الخونة على وجوب القضاء على الروح العسكرية البروسية ، لأن هذا باعتقادهم هو الضمان الوحيد للاستقرار وللحرية ؟ أما بعد الكارثة فقد رأيناهم يلقون تبعة الانهزام على الجيش . وفي نفس الوقت يعللوا متاعب البلاد ومشاكلها الخانقة إلى هزيمة الجيش العسكرية ...

لا أنكر أن تأثير الهزيمة كان سيئاً على مستقبلنا ، ولكن هذه الهزيمة لم تكن عاملاً مسبباً، بل كانت نتيجة عوامل اخرى يعرفها الخونة الذين يتجاهلونها اليوم ، لأن الهزيمة كانت نتيجة تآمرهم ودسائسهم. ولم تكن الهزيمة كما يدعون بسبب سوء تصرف القيادة العامة . فالكل يعلم اننا جابهنا جيوشا تفوقنا بالعدد والعتاد ومع ذلك انتصرنا عليها طوال أربع سنوات ، بفضل قيادتنا العسكرية الحكيمة .

ان المحنة الحالية لم يسببها تداعي الجبهة ، بل كانت نتيجة لجرائم اقترفها الذين جعلوا من الجيش كبش الفداء في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات المطالبة بتحد[illegible] المسؤوليات ومحاكمة المسؤولين . متى كانت الهزيمة العسكرية تسبب

انهياراً كاملاً للدولة والأمة ؟ ومتى كانت خسارة الحرب تحتم هلاك الشعب ؟

ان الشعب الذي يصل إلى هذا الدرك هو شعب فاسد وجبان ونذل . أما الشعب الذي يتمتع بمعنويات وفضائل سليمة فإن خسارة الحرب تصبح بالنسبة له كالدواء المقوي ليدفع به إلى الأمام .

كانت الهزيمة العسكرية قصاصاً أنزلته بنا العدالة السماوية. وهي تشكل ظاهرة ملموسة تنم عن وجود التشقق والتصدع الذي تعامى الشعب عن رؤية عوارضه ، وقد افتضح امره وظهر للعيان بصورته البشعة بالطريقة التي تقبل بها شعبنا الألماني الهزيمة الشنعاء .

ألم يتلق الماركسيون واليهود ومن لف حولهم نبأ الهزيمة بالفرح والابتهاج ؟ ألم نسمع تشدق البعض بأنهم أصحاب الفضل في هذا الانهيار ، وان العدو لم يفعل سوى الاجهاز علينا ؟ ألم يحمل فريق منا المانيا تبعة الحرب وما سببته من ويلات ؟ لقد تقبل الشعب الألماني نبأ الهزيمة بطريقة لا تشرفه ،وبذلك يكون قد استحق القصاص الذي أنزل به . فلو كانت الأقدار مسؤولة عن الهزيمة لما وجد بيننا من يبتهج للمحنة ، ولما تشدق المتشدقون بأنهم أصحاب الفضل في إضعاف الجبهة ، ولما راح الماركسيون يكرسون الهزيمة ويهينوا الجيش المهزوم ويدوسوا الأعلام بأرجلهم . ولما كان لضابط إنكليزي أن يقول « بين كل ثلاثة ألمان تجد واحداً خائناً » .

إن الهزيمة التي لحقت بنا كانت نتيجة الداء الذي أصاب الأمة في زمن السلم ، فقضى على مناعتها وأضعف معنوياتها وشل منها غريزة حب البقاء . لكن اليهود وأتباعهم الماركسيين الذين ينفذوا لهم خططهم أرادوا أن يحددوا المسؤوليات ويحصروها ويلقوا بتبعة الهزيمة على شخص واحد هو لودندورف... هذا القائد الفذ الذي عمل جاهداً ليجنب الأمة الانهيار الكامل .

لقد جردوه من سلاحه المعنوي الوحيد الذي يستطيع أن يشهره في وجه الخونة ، لأن « المتهم » لا يصلح كشاهد إثبات يوم يأتي يوم الحساب ويصار إلى تحديد المسؤوليات ...

فالماركسيون وأساتذتهم اليهود عندما أطلقوا كذبتهم الجديدة، كانوا يعلمون أن الشعب لن يتبين ما وراء هذه اللعبة ، وهذا كاف لخلق جو من البلبلة يحول الانظار عن المسؤولين الحقيقيين ... ان اتقان الكذب هو فن يجيده اليهود ، لأن كيانهم من أساسه يقوم على كذبة ضخمة ألا وهي زعمهم أنهم طائفة دينية، مع أنهم في الواقع جنس وأي جنس ؟

لقد وصف شوبنهور اليهود بأنهم أساتذة عظام في فن الكذب . ولا شك أن الرجل لم يظلمهم ...

عندما بدأ ازدياد عدد السكان يشكل خطراً على ألمانيا ، اهتم المسؤولون بمسألة تأمين القوت اليومي للمواطنين ، فبدلاً من أن ينشدوا الخبز مثلاً من اوروبا بالذات بسياسة التوسع ، اعتمدوا سياسة غزو العالم اقتصادياً . فترتب على هذه السياسة توسع في الانتاج . وكان من نتيجة هذا التوسع ، انخفاض مستوى الفلاحين ، وازدياد عدد العمال في المدن الكبرى بشكل كبير أدى إلى اختلال التوازن بين عنصري الأمة المجيدين . وانقسمت الأمة إلى قسمين : الأغنياء والفقراء .وقد لفت هذا الانقسام نظر الماركسيين إلى ضرورة استغلال الضائقة المسيطرة على العمال ، واستطاعوا بالتالي أن يوسعوا الهوّة بين الطبقات .

في الوقت الذي أصبح الاقتصاد فيه كالعمود الفقري للدولة ، ارتكبت غلطة فظيعة ، فقد شجع الامبراطور غليوم النبلاء إلى الانصراف للشؤون المالية . فاستهوت الصفقات المالية الضخمة النبلاء ، فانصرفوا عن الاهتمام بالمعارك الحربية ، وبدأت المؤامرات تحاك من الداخل والخارج ، بينما ظل النبلاء الذين كانوا خدام الامبراطورية وحراسها في شاغل عنها لأن المال أخرجهم من مركزهم النبيل وجعلهم عبيداً لليهود في حقل الصفقات المالية .

وكان من مظاهر انحلال الاقتصاد القومي ، اختفاء الثروة العامة أو الدخل الفردي بسبب الاحتكارات الدولية ودسائس الماركسيين . وقد حاولت الصناعة الثقيلة مقاومة هذه الظاهرة لكن الماركسيين وقفوا بوجه محاولاتها هذه خاصة وان ثورتهم نجحت عقب الهزيمة العسكرية ، فاستطاع أعداء الوطن أن

يدولوا الاقتصاد الألماني . وكان انتقال الخطوط الحديدية من ملكية الدولة إلى ملكية حاملي الأسهم أول نجاح لهم في هذا الحقل .

ولما تم لليهود والماركسيين تقويض الاقتصاد القومي ، وقفوا بعد انتهاء الحرب يزعمون أن الاقتصاد سينهض بالبلاد وينعشها من جديد . وقد تبنى هذه المزاعم الذين قدر لهم أن يكونوا في سدة الحكم .

*

من أعراض التفسخ التي ظهرت على الدولة الألمانية قبيل الحرب انعدام الحزم والشجاعة الأدبية التي كانت من شيم آباءنا وأجدادنا ، وحل محلها التراخي والميوعة والتردد والتزلف . ولا شك أن مناهج التربية كانت المسؤولة عن هذا التفسخ الخلقي لأنها أهملت تقوية شخصية الفرد. ... وكانت هذه النقائص والعيوب تظهر بشكل واضح في مسلك رجالاتنا تجاه الامبراطور . فكانوا يتقبلون كل شيء يقوله لهم ويعتبرونه مقدساً ،ولم يكن بينهم رجلاً واحداً لديه من الشجاعة بأن يقول له لا .. فهذا التزلف هو الذي أوصلنا إلى هذا الدرك .

ان الذين يحيطون بالعرش ويستأثرون بعطايا صاحبه ويتظاهروا بالولاء له ويدعوا أنفسهم ملكيين ، هم الذين ينقمون عليه بعد أن تحل به كارثة ما ، فنجدهم أول المطالبين بالاقتصاص منه . فهل يرجى من هؤلاء المتزلفين أن يفتدوا ولي نعمتهم بأرواحهم ؟

إن المخلص الحقيقي للعرش هو الذي يقدم النصح لجلالته ويلفت نظره إلى مواطن الزلل فينهيه عنها بحكمته وبعد نظره .

فمن تزلف الساسة إلى سوء التربية المدنية تولد مركب النقص في عند أوساط المهتمين بالشؤون العامة ، فصاروا يتهربون من تحمل المسؤولية ويخافون الاقدام حيث تدعو الحاجة لذلك . وقد ساهم النظام البرلماني على تقوية نزعة التهرب من المسؤولية ، فقامت في البلاد حكومات ضعيفة لم تتمكن من معالجة المشاكل المسيطرة .

وقد لعبت الصحافة دوراً بارزاً في إبعاد التربية المدنية عن أهدافها السامية .

فالصحافة هي مدرسة الشعب ومهمتها توجيه الرأي العام . أما قراء الصحف فكانوا ثلاثة أقسام :

١ – الذين يصدقون جميع ما تنشره الصحف .

٢ – الذين لا يصدقون شيئاً مما تنشره الصحف .

٣ – الذين يفكروا بما يقرأون .

فالقسم الأول من القراء هم الأغلبية الساحقة ، وهم الفئة الغير متعلمة من الشعب التي تعتمد على طبقة المثقفين بالتفكير وإعطاءهم الخلاصة ، باعتقادهم أن الذي يقرأ ويفكر ويدون آراءه لا بد أن يكون مدركاً إدراكاً تاماً للأمور .

إن هذه الفئة التي لا تفكر هي فريسة سهلة للصحافة التي تعتمد تضليل الشعب بحجة تنويره .

والقسم الثاني يضم بعض العناصر من القسم الأول، انتقلت مع مرور الإيام من الايمان المطلق الى الشك المطلق فأصبحت لا تصدق شيئاً من ما تكتبه الصحف. وهذا الفريق لا يصلح لأي عمل ايجابي .

أما القسم الثالث فيضم عدداً محدوداً من المواطنين المؤهلين لان يفكروا تفكيراً صحيحاً فيميزوا بين الصالح والطالح . ولكنهم مع الاسف لا شأن لهم أو تأثير في مقدرات البلاد .

فالاكثرية الجاهلة هي التي تتحكم بالبلاد وذلك بفضل ما يدعى بنظام الاقتراع العام، وهذه الاكثرية أرسلت الى البرلمان رجالاً مغمورين جعلت منهم الدعايات الصحفيه نجوماً لامعة . وقد رأينا هؤلاء الممثلين للأمة يحشون جيوبهم بالمال بينما كان شبابنا يضحي بأرواحه في ساحات القتال .

أليس من واجب الدولة أن تراقب الصحافة نظراً لتأثيرهـــا القوي على الجمهور . ان حرية الصحافة شيء جميل ، ولكن هذه الحرية تصبح عاملاً من عوامل الفساد اذا لم تمارس حريتها في الحدود الـــتي ترسمها مصلحة الـــدولة والامة ...

ان الموقف المخزي الذي وقفته الصحافة قبل الحرب لا يمكننا نسيانه .

وقد شددت الصحافة اليسارية إلى وجوب إنقاذ السلام بأي ثمن، بينما كانت الدول المعادية جادة في إعداد عدة الحرب . ألم تدعو صحافتنا الى الديمقراطية الغربية وتمجدها وتطالب بتقوية شخصية الفرد وتدعو الى اضعاف الدولة ؟ ألم تسهم في محاربة تقاليد شعبنا العريق مزينة له الانغماس في الملذات التي أضعفت مناعتـه الخلقية ؟ ألم تحارب الصحافة مشروع التجنيد الاجباري ، وتحرض النواب على عدم منح الاعتمادات للجيش ، بينما كانت رائحة الحرب تنتشر في الأجواء ؟ ألم تكن مهمة الصحافة الماركسية الكاذبة اضعاف الشعب اجتماعياً وقومياً ليسهل اخضاعه للرساميل الدولية ولليهود أسياد الماركسية ؟

ماذا أعدت الدولة لدفع الخطر عن الأمة ؟

ان الدولة لم تفعل شيئاً يذكر ، مع أن معاول المفسدين من اليهـود كانت تعمل في هدم صرح الدولة فقضوا على حيويتها وأخضعوا اقتصادها لرقابـة أجنبية ... نعم لم تفعل الدولة شيئاً حيال الصحافة الماركسية اليهودية التي كانت تخدر الاعصاب بالدعاية للسلام فتشل حيوية الأمة بالدعاية الاباحية الرذيلة . ولم يكن تغاضي الدولة يرجع الى جهلها لخطر هذه الدعايات وضررها بقدر ما كان هذا راجعاً الى جبن المسؤولين واحجامهم عن التصدي لها .

لا بد لنا من القول ان اليهود قد اعتمدوا طرقاً بارعة تبعد عنهم الشبهات ، فبينما كانت صحفهم الماركسية تمعن في تسميم أفكار الشعب وتعمل على استفزاز الطبقات بعضها ضد بعض ، كانت صحافتهم البورجوازية الديمقراطية تعالج القضايا بأسلوب رصين هادىء . ذلك أن اليهود كانوا يعلمون أن العقول الفارغة تحكم على المظاهر ، هذه العقول التي انخدعت بنعومة الشعب المختـار وميوله المسالمة ، لن تأخذه بجريرة الآخرين ، لعجزها عن كشف اللعبه المزدوجه . فقـد كانت مثلاً صحيفه « لاغازيت دو فرانكفورت » نموذجاً للاعتـدال اليهودي . وشعارهـا باعتماد المنطق ونبذ العنف أكبر دليل على رصانتهـا واعتدالها . حتى أنها كانت تسدي النصح الى الزميلات الماركسيات بوجوب وقف الحملات العنيفه ، وبنفس الوقت كانت تدافع عنها باسم الحريه ، حريه

التعبير عن الرأي حين تلجأ السلطات الى استعمال حقها في محاكمة الصحافيين وتعطيل صحفهم .

وكانت السلطات تعفي عنهم كي لا تغضب الصحافة الطيبة ، فتعود الى نفث سمومها من جديد في جسم الدولة الآخذ بالانحلال . وهكذا نجــد أن تفسخ الامبراطورية يرجع الى الاهمال باتخاذ التدابير الكفيلة بصيانتها ، والانهيار الخارجي كان نتيجة حتمية للانحلال الداخلي ...

ان الشواهد على ضعف الحكومة الألمانية كثيرة، فبعد أن اغفلت أمر اليهود والماركسيين وتقاعست عن الاضطلاع بالمهام المنوطه بها ،رأيناها تقف حيال الأمراض مكتوفة الأيدي ، فتفشى داء الزهري وداء السل بين المواطنين تفشياً هائلاً بسبب سوء التغذية ، ووقف الشعب والحكومة من داء الزهري موقف من لا يستطيع شيئاً . وقد حاولت الحكومة مكافحـــة المرض بحصر الداء أولاً ولكنها أغفلت مسببات المرض وهو البغاء الذي ما ان ينتشر في بلد مـــا الا ويكون مصير الشعب الفناء .... إذ أن البغاء يعني تحويل الحب والعلاقـــات الجسدية إلى صفقات تجارية ، وانتشار البغاء يعني تراخي العلاقات والروابط التي تجمع بين المحبين ، فتسود الاباحية ويكثر اللقطاء وابناء الزنى . ويكفي أن نلقي نظرة على أبناء النبلاء والبورجوازيين لنفهم خطورة الخطوة التي خطتها أمتنا نحو الانهيار .. فقد انتقلت عدوى هذا الداء الوبيل اليهم عـــن طريق علاقاتهم الجنسية مع الموظفات اليهوديات في المحلات التجارية والأندية ،وكانت النتيجة أولاداً ضعفاء مشوهين .

فبدلاً من أن تتخذ الحكومة الاجراءات الكفيلة بالقضاء على البغاء ، هـذه التجارة اليهودية الرائجة ، عمدت إلى تشجيع المؤتمرات الطبيـة لدرس هـذه الظاهرة الخطيرة .

إن القضاء على هذه الظاهرة الخطرة تتطلب خطوات عملية وجريئة. فالزواج المبكر في مقدمة الأسباب التي تحد من انتشار البغاء . فالزواج يهدف إلى غاية سامية : هي حفظ النوع والجنس ،ومن حسنات الزواج المبكر أنه يعطي الأمة

أولاداً أقوياء البنية ، فيجب على الدولة قبل أن تشجع هذه الخطوة ، أن تعمد إلى تأمين المستوى الاجتماعي اللائق للمواطنين .

أما الخطوة التالية فيجب ان تعمد الدولة إلى تغيير مناهج التربية والتعليم ، ففي نظامنا الحالي لا نجد اهتماماً للرياضة البدنية التي لمس آباؤنا أهميتها في تنشئة جيل قوي روحياً وجسدياً ، فالعقل السليم هو في الجسم السليم . ففي الفترة التي سبقت نشوب الحرب عمدت الدولة إلى رعايه العقل الذي يدعم نهضة الأمة . فلما انتشرت البلشفية في لأوساط التي لا تملك المناعة الخلقية ، تبين أن هذه المبادىء ما كانت لتلقى رواجاً لو القيت إلى عقول سليمة في أجسام سليمة .

ان عدم اهتمامنا بالتربية البدنية قد فتح الطريق أمام النزوات والغرائز الجنسيه ، فالشاب الذي يمارس الالعاب الرياضية يصبح أكثر قوة ومقدرة على كبح جماح غرائزه الجنسية ، فالنظام التربوي يجب أن يتعهد العقل والجسد معاً بالاضافة الى الاخلاق . كذلك يجب القضاء على مظاهر الخلاعة التي تثير الغرائزالجنسية وذلك بتطهير الحضارة الألمانية تطهيراً كاملاًيشمل المسرح والفن والسينما والصحافة ، فصحة شعبنا تتطلب محافظتنا أيضاً على عرقنا ولو على حساب الحرية الفردية التي يتشدق بها اليهود المسؤولون أولاً وآخراً عن الاباحية .

ان التدابير السابقة ليست كافية ، اذا تم تنفيذها ، للقضاء على داء الزهري قضاء مبرماً . بل هناك تدابير أخرى يجب اتخاذها على نطاق واسع وحاسم . أليس إجراماً بحق الأمة والعرق أن نترك المصابين بالزهري الذين لا أمل في إنقاذهم أن يمارسوا العلاقات الجنسية ، وبذلك ينقلوا العدوى إلى الأصحاء ؟ ألا يعادل هذا التسامح الشعور الانساني السخيف الذي يجعلنا نسمح بهلاك مئةشخص لندفع الاساءة غن واحد !

إن منع المصابين بالزهري ، الذين لا أمل في شفاءهم ، من ممارسة العلاقات الجنسية هو إجراء إنساني حكيم يهدف إلى التضحية بالبعض في سبيل المجموع . ولكن يجب أن يكون المنع أكثر جدوى ، أي بعزل المصاب والقضاء على طاقته التناسلية . ان هذا الاجراء الذي يبدو وحشياً كفيل بانقاذ الأجيال المقبلة

وصون حيوية الأمة ...

* * *

من أعراض الانحلال التي بدت على الامبراطورية قبل الحرب تدهور المستوى الثقافي بفعل المؤثرات الغريبة ، لا سيما تلك التي كانت خاضعة لتوجيهات اليهود. فمنذ ابتداء القرن العشرين طرأ تحول كبير على الفن أبعده عن القواعد المدرسية وأخضعه لأهواء قلة من المنحرفين فكرياً . فقد قام الفنانون اليهود والبلاشفة بفكرة التجديد والابتكار وذلك بالحط من قدر التراث الالماني الفكري والهزء بمقدسات الأمة ،فقد هزئوا من شيلر وغوته وشوبنهور وهيغل وغيرهم . لقد أرادوا،أن يقطعوا كل صلة بين الماضي والحاضر ، فجعلوا من الادب الرخيص والفن الإباحي بضاعة سهلة التناول ، فامتلأت واجهات المكتبات وجدران المتاحف بإنتاج هزيل لا أثر فيه للفكر أو الفن .

ولم يكتف اليهود بهذا ، فشنوا الحملات على الدين ورجاله بحجة تقديس حرية المعتقدات . وقد قاموا بترجمة المؤلفات الاجنبية التي لا يجوز ان توضع بين ايدي المثقفين ، فكيف بعامة الشعب ، اما رجال الكنائس فكانوا منصرفين عن هذه الاعمال التخريبية داخل البلاد ، للتسابق الى هدي زنوج افريقيا ، هذا التسابق الذي لم يؤد الى اية نتيجة بالنسبة الى النتائج الباهرة التي حققها الاسلام هناك ...

لقد ترك رجال الكنيستين نعاجهم الى الذئاب ، وكانت النتيجة تزعزع الايمان وتقلص شأن الوازع الديني ...

* *

وفي الحقل السياسي تجلى التفكك والانحلال ، فالحكومات كانت ترتجل مشروعاتها في الداخل والخارج دون ان ترسم اهدافاً معينة . ولعل المسؤولين قد اتخذوا من كلمة بسمارك شعاراً لهم . ألم يقل المستشار الحديدي ان السياسة هي « فن العمل في حدود الممكن » ؟ ولكن هذا لا يعني ان السياسة هي تخبط وارتجال . ولكن مستشاري هذه الايام قد اعتبروا هذا القول تحريراً لهم من

قيود المبادىء والاهداف .

لقد ادرك المخلصون ، قبل نشوب الحرب ببضع سنوات ، ان أضعف جهاز في الدولة هو البرلمان او الريشستاغ ، مع انه أريد بهذه المؤسسة تقوية الصرح لا إضعافه . ففي هذه المؤسسة يجتمع الجبن والتهرب من المسؤولية ، وتكثر الثرثرات الفارغة ... فالبرلمان هو المسؤول عن انعدام الانسجام في سياسة الدولة ، كذلك عدم الاستقرار والارتجال ، فهذه كانت من العوامل الرئيسية التي أدت الى انهيار الامبراطورية . فكل خطوة خطتها الحكومة وجاءت ناقصة كانت نتيجة لإهمال البرلمان ان لم نقل لخيانته ..

ان سياسة المحالفات كانت مرتجلة وضعيفة . وسياستنا حيال بولونيا كانت ضعيفة ومرتجلة . فقد أثيرت هذه القضيه اكثر من مرة دون ان نتمكن من معالجتها معالجة جدية وفعالة ، فجاءت النتيجة التي اردناها انتصاراً للجرمانية أو تفاهماً مع بولونيا ، جاءت لتباعد بيننا وبين روسيا .. وكانت الحلول التي قدمناها لمسألة الألزاس واللورين غير مجدية. فعوضاً عن ان نسحق الفرنسيين بضربة واحدة ، ونعطي للالزاس الحقوق الممنوحة لباقي دويلات الرايخ ، رحنا نتودد الى الفرنسيين متجاهلين أماني الالزاسيين . كل ذلك لأن في أحزابنا السياسية أكبر الخونة المارقين .

وكانت الضحية الكبرى للسياسة المترددة الحائرة ، الأداة الوحيدة التي يتوقف عليها مصير الامبراطورية : الجيش .

لقد رأينا الاحزاب البرلمانية تجرد الأمة من سلاحها المعد للدفاع عن كيانها وحريتها وتأمين خبزها ولو قام أبطال سهول الفلاندر من قبورهم لاتهموا أعضاء البرلمان بالخيانة لدفعهم بمئات الالوف إلى أشداق الموت جنوداً غير مدربين. ذلك انه بينما كانت اليهودية العالمية تهاجم « الروح العسكرية الالمانية » في صحافتها الماركسية والديمقراطية ، محاولة أن تلقي بمسؤولية الحرب على المانيا ولو سلفاً، كانت الاحزاب الماركسية والديمقراطية عندنا تقف في البرلمان ضد تدريب القوى الشعبية .

لم يقتصر الإهمال على الجيش البري فحسب ، بل تعداه الى الاسطول ، الذي لم ينل ما يكفيه من العناية والاهتمام . مع ان القادة قد ادركوا منذ عام ١٩٠٤ ان انكلترا الدولة البحرية الاولى ستقف ضدنا ايام الحرب .. لذلك كان علينا ان نجعل من القوة البحرية سلاحاً ضخماً وقوياً . فبينما كانت المصانع الانكليزية تصنع السفن الضخمة كانت مصانعنا تنتج سفناً صغيرة غير صالحة . وقد رأينا ان زيادة سرعة السفن الالمانية كانت تتم على حساب تصفيحها ، وكان المسؤولون يعزون انفسهم بأن المدافع الالمانية من عيار ٢٨ توازي مدافع السفن الانكليزية من عيار ٣٠ ، مع ان المهم هو التفوق لا مجاراة العدو ، وكان بإمكانهم تزويد السفن بمدافع من عيار ٣٠ .

وقد تركت القيادة البحرية المبادرة للعدو عندما عمدت الى جعل سفنها صالحة للاغراض الدفاعية . وهكذا قدمت النصر للعدو على طبق من فضة ، لأن النصر لا يتحقق إلا بالهجوم لا بالدفاع . وفي معركة سكاجراك كان النصر حليف الاسطول الانكليزي . فلو كان للسفن الالمانية حمولة سفن العدو وسلاحها وسرعتها لكان النصر حليفها بفضل المدافع من عيار ٢٨ . وقد كان على القيادة الالمانية ان تحذو حذو زميلتها اليابانية ، فقد جابهت اليابان في بور ارثور كل سفينة روسية بسفينة تفوقها سرعة وحمولة وسلاحاً .

لقد حرصت الحكومة والقيادة على التقيد بتوجيهات البرلمان وآرائه ، بل سمحت للبرلمانيين بالتدخل في الشؤون العسكرية وفي تعيين القواد وتحديد حمولة السفن وسرعتها . وقد تدارك الجيش أمره وعزل نفسه عن التيارات البرلمانية المضادة لمصلحة الوطن ، وكان لودندورف أول من قاد الحملة ضد سياسة التقتير في الانفاق على التسلح . ولئن عجز لودندورف عن إحراز النصر ، فالذنب يقع على البرلمان وعلى المستشار الضعيف هولويغ .

كان الجيش في طليعة المؤسسات التي توحي بالثقة والطمأنينة رغماً عن الضعف والانحلال الباديين على الدولة . فهو الدعامة المتينة للبنيان الصامد ، ولا بد أن ينصب عليه حقد الحاقدين ودسائس الدساسين من الاعداء في الخارج وفي الداخل .

وعندما اجتمع المتآمرون الدوليون في فرساي ، اختلفوا على اشياء كثيرة ولكنهم اجمعوا على وجوب تصفية الجيش الالماني لأنه سياج الوطن وعنوان مجده . فلولا الجيش لما تردد العدو في تطبيق احكام معاهدة فرساي التي تعني القضاء على شعبنا قضاء تاماً . فنحن مدينين للجيش بكل شيء .

نعم كان الجيش يجسد معنى المسؤولية ، فهو مدرسة الأمة الالمانية وقوتها المعنوية الهائلة . ومع ان هناك من يجهل هذه الحقيقة او يتجاهلها ، لكن العالم الخارجي قد أدركها وبنى سياسته على أساسها .

هناك دعامة اخرى الى جانب الجيش ، هي هيئة الموظفين، فقد كانت ألمانيا أرقى البلدان تنظيماً وإدارة ، فالموظف كان مثالاً للدقة والتجرد .

وكان يحلو للحساد أن يعيبوا على الموظف الالماني جهله إدارة المشاريع التجارية ، لكن نجاح الدولة في استثمار السكك الحديدية قد برهن عن مقدرته .

ومن ميزات جهاز الادارة الالمانية انه كان متمتعاً بالاستقلال التام عن الحكومات، فكان لا يتأثر الموظف بتغيير الوزارات ونزعاتها السياسية. ولكن وضع الموظف اليوم أصبح قلقاً غير مستقر ، فالوظائف الآن ليست وقفاً للاكفاء ، فالجمهورية تريد أن تفسح المجال لأنصارها ، وكل حزب يريد ان يخص أعضاءه وأنصاره بالوظائف الحساسة ...

أما الرشوة في دوائر الدولة فكانت متفشية تفشي اليهود ، فالرشوة واليهود صنوان لا يفترقان ...

*

كان جهاز الادارة السليم يرتكز على النظام الملكي والعسكري وعليها ترتكز الامبراطورية الجبارة ، ومنها كانت تستمد الامبراطورية قوتها وهيبتها فتمارس سلطة الدولة ممارسة فعلية .

ان سلطة الدولة لا تقوم إلا على الثقة بالذين يمسكون بدفة الحكم ، وهذه الثقة هي وليدة الاقتناع بوطنية السلطات وتجردها ، كما تكون وليدة الارتياح العام الى نظم الحكم وشرائعه والمبادىء التي يسترشد بها .

والآن بعد أن أوضحت للقارىء ان الامبراطورية كانت تقوم على ثـــلاث دعائم قوية ، اصبح من حقه ان يتساءل كيف كان الانهيار ؟ وهل كانت عوامل التفسخ والانحلال قوية لدرجة انها جرفت عوامل الاستقرار التي كانت تجعل من ألمانيا دولة مثالية ؟

إن عوامل التفسخ والانحلال لم تكن لتقوى على الإطاحة بالامبراطورية ، ولكن هناك عاملا رئيسياً انضم اليها ، وهذا العامل الهام هو عدم الاهتمام لمسألة الأجناس وأثرها في نمو الشعوب .

لقد تساءلت كيف تمكن أجدادنا من التغلب على الهزيمة ونتائجها ؟ وهـــل نحن غير جديرين بالأمجاد التي تركها لنا الاجداد ؟ وهـــل الدم الذي يجري في عروقنا غير الدم الذي كان يجري في عروقهم ؟

ومن هنا كان اقتناعي ان جيلنا قد تلقى هذه الكارثة لأنه لم يكن يتحـلى بفضائل الاجداد، ان تحوله عن الطريق الذي رسمها له تاريخ الأمة الالمانية المجيد ليس وليد الصدف ، بل هو نتيجة حتمية للنهج الذي اعتمـــده في سعيه لحفظ النوع واستمرار الجنس. وسنرى في الفصل القادم كيف ان الاختلاط في التناسل لا يكون في مصلحـة العرق المتفوق . فالدم الآري الذي كان يجري في عروق أجدادنا كان صافياً . فهل يمكننا التأكد بأن مـا يجري في عروقنا نحن هو دم آري صرف ؟؟

يجد القارىء الجواب لو دقق النظر في حالة المانيا قبل الحرب ، وتتبـع تطور الأحداث الداخلية . ألم يكن غريباً ان يزداد عدد النواب الماركسيين بعد كل انتخاب . وان يجدد الشعب الالماني الولاية لمن عمل عـــلى إضعاف الجيش والاسطول ، وهل من المعقول أن يصافح الشعب الالماني اليد الـــتي عملت على إذلاله ؟ ومتى كان الالماني ، الالماني الحقيقي يضحي بمصلحة وطنه في سبيل مبدأ هوائي كالسلام العام الذي هو من ابتكار اليهود والماركسيين ؟

إن انتفاضة الشعب عام ١٩١٤ قد حملته اليها غريزة حب البقاء ، لأن سموم الماركسية قد شلت إرادته ، فقـــام ليجابه أعداءه وهو ضعيف الايمان بالنصر

فانهزم ، ولكنه استيقظ وقضى على مفعول المخدر . وجاءت الثورة لتقطـــع الطريق على عناصر البعث والنهضة . فلم يبق إلا العمل على هامش العهد الجديد ، وان تضع الأسس السليمة التي يجب أن تقوم عليهـــا الدولة الجديدة . الدولة الجرمانية حيث يسود العنصر المتفوق، ولا يفسح مجال النشاط البناء إلا للآريين الحقيقيين .

ولن يكون لليهودي وصنيعه الماركسي اي مكان في الدولة الجديدة والنظام الجديد ...



هتلر والاجناس

الفصل العاشر

الشعب والعرق

هناك حقائق واضحة تطوف حولنا في كل مكان ، ونمر بها نحن دون ان نلاحظها او ربما ابصرناها ولكن لا نعرفها . هكذا نرى البشر يتنزهون في الطبيعة متوهمين انهم يعلمون كل شيء عنها ،ولكنهم يتصرفون كأنهم عميان تجاه مبدأ واضح تقدمه لهم الطبيعة ، هو وجود اكثر من طابع مميز بين الأنواع التي تدخل فيها الكائنات الحية في عملية التناسل ، فالحيوان الذكر يبحث عن انثى من نوعه : ان البلبل يبحث عن انثاه وكذلك الفأر والأسد وغيرهم .... والانحراف عن هذه القاعدة يكون شذوذاً لا يمكن اعتباره ، وهو يكون في الغالب إما نتيجة العزلة الجبرية والأسر ، او نتيجة عائق يحول دون ممارسة العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى المنتمين إلى نوع واحد . لكن الطبيعة لا تسكت على هذا الشذوذ ، فتقطع نسل الأجناس المتخالطة او تحدد هذا النسل الى الحد الأقصى . وفي معظم الحالات تجردها من القدرة على مقاومة الأمراض .

ليس في هذا ما يدعو إلى العجب ، فالتزاوج بين كائنين متفاوتي القيمة هو تحد لارادة الطبيعة التي تسعى إلى رفع مستوى الكائنات وهذا لا يتحقق إلا

بانتصار من اختارتهم الطبيعة ، فالقوي مدعو للسيطرة على الضعيف ، واذا لم يحافظ البشر على هـذا النظام الاساسي فان تطور الكائنات المنظمة سيصاب بنكسة خطيرة .

والطبيعة اذ تحرص على بقاء الاعراق او الاجناس لا تحافظ على الاشكال الخارجية لكل منها فحسب ، بل تحافظ ايضاً على الطابع المميز لها . فالثعلب هو دائماً الثعلب وهكذا النمر والهر وغيره . أما الفرق الذي يمكن ان نلاحظه بين الافراد المنتمين الى عرق واحد هو في التفاوت بين مواهب كل منهم وقابليته الطبيعية للكفاح . ولكننا لا نجد ثعلباً يعامل الدجاجة معاملة انسانية مثلاً ... ولا الهرة يمكنها ان تكون صديقة مع الفأرة ...

ان الصراع القائم بين الاجناس مبعثه الجوع والحب قبل ان يكون مبعثه الكراهية المتبادلة . أما الطبيعة فتراقب هذا الصراع وترتاح اليه ، لان الكفاح من أجـل البقاء أو الطعام يؤدي بالنهاية الى مصرع كل كائن ضعيف أو غير جدير بالحيـاة . وكذلك كفاح الذكر للوصول الى الانثى ، فلا يجوز ان يتمتع بحق خلق حياة جديدة الا الافراد الاصحاء . ولكن الكفاح يبقى الطريقة المثالية لتقوية صحة الجسم وطاقة النوع على تحمل الصعاب ، ويظل بالتالي الشرط الاساسي لتقدم البشر وتطورهم .

أما اذا اغفلنا هذا المبدأ ، فلا يلبث البشر ان يعودوا القهقري . إذ ان الصفوة ستضطر للتراجع امام الكثرة التي تطغى بعددها على الجودة والصفوة ، فاذا تساوت امكانيات البشر في التوالد تفوق غير الاكفاء على الاكفاء . ومن الواجب التدخل من اجل الصفوة . فتدخل الطبيعة بوضع الشروط القاسية امام الضعفاء لكي تخفف من عـــددهم ، ولا تسمح بالتناسل إلا لمن تختارهم من بين الاصحاء والاقوياء .

والطبيعة التي تأبى على الاقوياء والضعفاء ان يتزاوجوا ، فهي ايضاً تحـارب اختلاط الاعراق ، لأن هذا سيعود بالبشرية الى الوراء ، فالتاريخ يقـــدم إلينا أدلة عديدة على صحة هذه النظرية . فمثلاً ان امتزاج الدم الآري بـدم شعوب

وضيعة قد أدى الى خراب الشعب ذي الرسالة التمدينية ، فاميركا الشمالية التي يتألف سكانها من العناصر الجرمانية بأكثريتهـا لم تتمازج بالشعوب الملونة إلا بمقدار قليل ، لذلك نرى ان حضارتها تختلف اختلافاً كلياً عن حضارة اميركا الجنوبية ، حيث اختلط سكانها اللاتين بالسكان المحليين دون تحفظ . وهكذا نرى ان الجرماني الذي حافـظ على نقاء دمه اصبح سيد القارة الامريكية ، وسيظل على ذلك ما دام محافظاً على طابعه المميز . وخلاصة القول ان الاختلاط بين الاجناس يؤدي الى تدني مستوى الجنس المتفوق ، والى تأخر روحي ومادي يؤدي في نهايته الى التفكك والانحلال .

فالاختلاط هو تحد لارادة الخالق ، وتحدياً لمنطق الطبيعـة . ولا بد ان يعترض اليهود على هذا النظام بقولهم السخيف ان الانسان قادر على قهر الطبيعة. فهذه السخافة يرددها الكثيرين الذين سهى عن بالهم ان الانسان لم يقهر الطبيعة ، ولكنه اكتشف قسماً ضئيلاً من اسرارها الخالدة. والانسان لم يخترع شيئاً قط. لكنه اكتشف بعض الاسرار الطبيعية المنعزلة التي مكنتـه من السيطرة على كائنات حية لم توفق الى ما توفق إليه .

ان الاختراعات والعلوم والفنون التي تثير اعجابنا هي بالحقيقة ثمرة نشاط خلاق لشعوب معدودة ربما كانت في الأصل من عرق واحد . فعلى شعوب كهذه يتوقف استمرار الحضارة ، واذا اصابها الانحلال والتفكك فإن كل شيء حققته سيهوي معها الى الهـاوية . فالحضارات الكبرى التي انهارت في الماضي كانت بسبب سريان الدم الفاسد في عرقها الخلاق . ان الحضارة هي من صنع الانسان ، وليس الانسان من صنع الحضارة ، لذلك فالحفاظ على الحضـارة يتطلب الحفاظ على الانسان ، وهذا يرتبط بحق الاصلح والاقوى في البقاء والتفوق والسيادة .

فعلى من يرغب في الحياة ان يكافح ، ولا مكان في عالمنا لمن يهرب من الكفاح .

لربما بدا هذا الامر شاقاً ، ولكن اشق منه المحاولة لقهر الطبيعة واهانتها .

اما رد الطبيعة على من يحاولون ذلك فهو رد قاس ولا يرحم ، انها تنزل بهم ضرباتها السبع ...

* * *

كل محاولة لمعرفة العرق هي مضيعة للوقت والجهد ، فالاعراق هي التي اوجدت الحضارة وأسست بالتالي ما ندعوه الحضارة البشرية .

ان الآريين قد أسسوا في الماضي حضارة بشرية متفوقة ولذلك فهم يمثلون النموذج البدائي لما نسميه «الانسان» . فكل ما نراه من الحضارات البشرية يعود بأصله الى ثمرة النشاط الآري الخلاق . فقد كان الآري ولم يزل حامل المشعل الإلهي الذي ينير الطريق امام البشر، فشرارة العبقرية الإلهية انطلقت من جبينه المشرق ، وهو الذي فتح دروب المعرفة امام الانسان ليجعل منه سيد الكائنات الحية على هذه الارض . فاذا توارى الآري سيسود الظلام ، وتنهار الحضارة البشرية في بضعة قرون ..

اما اذا صنفنا البشر الى ثلاث فئات : الفئة الاولى التي خلقت الحضارة ، والثانية التي حافظت عليها ، والثالثة التي قوضت دعائمها ، فإننا نجد ان الآري هو الممثل الوحيد للفئة الاولى ، فهو الذي وضع حجر الاساس ، ووضع تصميم ما حققه التقدم البشري ، وقد تولى التنفيذ كل عرق على طريقته الخاصة واصبحت المظاهر الخارجية تعرف بطابع المنفذين لها .

لنأخذ مثلاً على ذلك . فالشرق الآسيوي يمكن له بعد عشرات السنين ان يدعي لنفسه حضارة وضع اسسها الفكر الإغريقي والتكنيك الالماني ، وليس لها من الوحي الآسيوي الا المظهر الخارجي او الطابع . ومن الاوهام الشائعة ان اليابانيين يضيفون الى حضارتهم الخاصة التكنيك الاوروبي،فالعلم والتكنيك الاوروبي متحد اتحاداً تاماً ليؤلف الحضارة اليابانية ، واساس الحياة لم يبق الحضارة اليابانية الاصلية ، بل اصبح اساسها نتاج العلم والتكنيك الاوروبي والاميركي، اي بكلام ثان ثمرة مجهود الشعوب الآرية . فإذا تقلص تأثير اميركا واوروبا في اليابان ، فلا تلبث ان تتغلب على معالم الحضارة خصائص الشعب

الياباني فتعود الى نومها العميق الذي ايقظتها منذ الحضارة الآرية منذ سبعين عاماً .

يمكننا القول ان الحضارة اليابانية قد حركتها ايضاً تأثيرات اجنبية ، والجواب على ذلك ان الحضارة لم تلبث ان عادت الى سباتها العميق . وهذا يعود الى تقلص التأثيرات الخارجية التي دفعت بالحضارة المتخلفة الى الامام . لذلك يمكننا القول ان الشعب الذي تلقى الحضارة من اعراق غريبة ، ثم عاد الى خموله السابق بعد ان زالت تلك التأثيرات ، يكون هذا الشعب قد استودع الحضارة لكنه لم يوجدها .

واذا قمنا بدرس حاله الشعوب على ضوء هذه النظرية يتبين لنا ان الحضارة التي تلقتها تلك الشعوب انما اخذتها من الصفوة ولم تؤسس لنفسها حضارة خاصة بها .

اما الفكرة التي يمكن تكوينها عن تطور هذه الشعوب فهي : هناك شعوب آرية ضئيلة العدد تسيطر على شعوب اجنبية فتعمل على تنمية مواهبها الخلاقة بفضل ما في متناولها من البقاع التي استولت عليها . ولا تمر بضعة قرون حتى تخلق هذه الشعوب حضارات خاصة بها تتلاءم واسلوبها في الحياة ومع خصائص تلك البقاع وروحية سكانه . ولكن لا يلبث هؤلاء ان يختلطوا بالسكان الاصليين ويتمازجوا ، فينقلب هذا الاختلاط وبالاً عليهم لأنهم لم يحافظوا على نقاء دمهم المتفوق . ذلك ان ذوبان الدم الفاتح بدم الشعب الخاضع للسيطرة يؤدي الى فقدان المادة التي تحترق منها الشعلة التي انارت السبيل امام الحضارة البشرية المتقدمة .

هذه لمحة سريعة عن مراحل تطور الشعوب التي لم توجد الحضارة ، بل تلقتها واستفادت منها ..

ان المواهب الخلاقة عند الشعوب تحتاج الى الفرصة المناسبة لتبرز إلى حيز الوجود . كذلك العبقرية والنبوغ عند الافراد والشعوب فهي لا تظهر إلا بعد ان تتوفر لها شروط معينة ، والآريون أصدق دليل على ذلك ، فما ان يضعهم القدر في مواجهه ظروف خاصة حتى تنمو مواهبهم نمواً سريعاً فتبهر العالم

بانتاجها المدهش . أما الحضارات التي يخلقونها فتكون خاضعة لمقتضيات الارض والمناخ والسكان المحليين . فالمواطنين الاصليين لهم شأنهم في الموضوع ، لان بناء الحضارة في ارض لا تزال على الفطرة يحتاج إلى اليد العاملة التي تقوم مكان الالة . ولا يمكن للآري ان يضع الاسس الأولى ما لم يستخدم الشعوب الوضيعة في بناء الاساس الحضاري . فالانسان استعان بالحيوانات في اعماله المختلفة طوال الاف السنين ، فاستخدامه للخيل مثلا حدا بـــه في المستقبل الى وضع الأسس التكنيكية التي اوجدت السيارة .

ان تأسيس الحضارات كان يتطلب استخدام الاعراق المنحطة التي قامت مقام الموارد المادية . وقـــد اعتمدت الحضارات البشرية الاولى على استخدام الاقوام الوضيعة قبل ان تعتمد على استخدام الحيوانات . فقـد بدأ الفاتحون في وضع المغلوب على امرهم امام السكة ، الى ان حـــل الثور محل الانسان فيما بعد . فالحيوان لم يسخر لخدمة الحضارة او الانسان المتحضر الا بعد استعباد المتفوقين لمن هم ادنى منهم ...

وقد يجد بعض دعاة السلم ان في هذا انحطاط للبشر لكن تطور البشر يبدأ بارتقاء السلم من الدرجة الموازية للارض ثم الى الدرجات التي تعلوها ، ولا يمكن الوصول الى الاعالي الا بعد الابتداء من الاسفل . فالآري قد سلك الطريق الذي رسمه له الواقع ، لا الطريق الذي يحلم به دعاة السلم اليوم .

ان الآري حين وجد شعوباً منحطة بالنسبه له ، سيطر عليها وجعلها الالة التكنيكية الأولى في بناء الحضارة البشرية ، هذا الآري الذي اخضع الاعراق وسيرّ نشاطها حسب اهدافه ، قد عمل بنفس الوقت على تحسين وضعها ورفـع مستواها . وقد كان عليه ان يحافظ على اوضاعـــه بصفته السيد المطاع ليبقى المهيمن على تلك الحضارة التي انشأها وانماها ، لان بقاءها وازدهارهـــا متعلق ببقـائه هو . ولكنه لم يعرف كيف يحافظ على وضعه . فما ان تحسن مستوى السكان الاصليين حتى اغفل الآري امر الحفاظ على دمه نقياً ، فانهار الحاجز بين السيد والعبدففقد مواهبه الخلاقة واصبح كالسكان الاصليين شكلاً وتفكيراً

فاضمحل وتفكك ولفت عجلة الزمن الحضارة التي اوجدها .

هكذا تنهار الحضارات والامبراطوريات ، تاركة لغيرها ان يحاول من جديد .... فتدني الاعراق هو نتيجة الاختلاط بشعوب اقل مستوى منها . فالحروب الخاسرة لا يترتب عليها فناء شعب ما ، انما يؤدي الى هذه النتيجة زاول قوة المقاومة التي هي من خصائص الدم النقي .

*

ان وراء كل حدث تاريخي ،تقف غريزة حب البقاء وحفظ النوع . فالشكل الخاص الذي تتجلى به غريزة حب البقاء عند الآري هي السبب الحقيقي لتفوقه . إذ ان الرغبة في البقاء والحياة غريزة موجودة لدى كل البشر ، أما الفرق فنجده في التطبيق حيث تختلف طريقة الانتفاضات كما تختلف اساليبها .

فغريزة حب البقاء لدى الانسان البدائي تكمن في الحفاظ على ذاته : فقدكان الانسان كالحيوان يعيش لنفسه ويهتم بتدبير غذائه كلما شعر بالجوع ، ويدرأ الخطر عن نفسه كل ما شعر به . وقد اتسع تفكيره بعد ان شاركته في حياته المرأة فاصبح يهتم بحمايتها وتأمين الغذاء لها ، ثم راح الاثنان معاً يهتمان بايجاد الغذاء لاولادهما . وهكذا بدأت تظهر روح التضحية ،فلما تجاوزت حدودالعائلة توفر الشرط الاساسي لانشاء مجتمعات اوسع نطاقاً .

ان اتساع المجتمعات نراه واضحاً في البلدان الاخذة بالرقي والحضارة أي الدول . وعلى العكس بقيت الاجناس الوضيعة في نطاقها الضيق أي القبيلة ، لان روح التضحية عند هذه الاجناس لم تنمو نمواً كافياً . ولكن روح التضحية نمت عند الآري الذي لم تقم عظمته على الفكر والمواهب فحسب بل تعدتها الى البذل والتضحية بذاته في سبيل المجموع . فالتضية هي الشرط الاساسي لكل حضارة بشرية حقيقية ، فالتضحية خلق المبدعون للاجيال المقبلة الخيرات الكثيرة .فقد قاسوا الحرمان ليؤمنوا الأسس القوية للجماعة ، فيكونوا قد امنوا لها سبب البقاء والكينونة .

*

ليس في هـــذا العالم من شعب نمت فيه غريزة حب البقاء ، كالشعب الذي يسمي نفسه « الشعب المختـار » والدليل على ذلك بقاء هـذا الجنس محافظاً على طابعه وخصائصه ، وهو الذي واجه خلال ألفي عام ظروفـاً قاسية .

لقد رأينا ان اليهود يتدخلون في قضايا العـالم الكبرى ، وكانت لهم اليد الكبرى في كل ثورة وانقلاب . وقد مرت كوارث رهيبة هزت البشرية ، لكنها لم تؤثر فيهم ، وبقي اليهود على حالهـم لا يدخرون وسعاً في سبيل حماية كيانهم .

يقولون ان اليهودي ماكر وداهيـة . وقد كان هذا شأنه ، الى حد ما ، في كل وقت . لكن ذكاءه لا يقوم على تطور ذاتي او داخلي ، بل نما وتطور بفضل عقول الآخرين ، فالعقل البشري لا ينضج دفعة واحـــدة . ففي كل خطوة يخطوها لا بد له من الاعتماد على الاسس التي تركهـــا له الماضي ، اي الى معالم الحضارة العامة . ومن هنا النظرية القائلة ان الفكرة هي وليدة التجارب المتراكمة منذ مئات السنين قبل ان تكون نتيجة الاختبار الشخصي . فمستوى الحضارة العام يقدم للفرد المعلومات الاوليـة ليتمكن من الكشف عن الاسرار التي لم يتمكن من اكتشافها الذين سبقوه .

ليس لليهودي حضارة خاصـــة به فأسس عمله الفكري مستوحاة من الذين اوجدوا الحضارات . فالشرط الاول الذي يجعل من الشعب شعباً ذو حضارة ليس موجوداً في « الشعب المختار » : فليس لليهود مثالية ... ذلك ان روح التضحية عند اليهود لا تتعدى نطاق « الانا » اما التضامن الذي نجده بين اليهود والذي يبدو قوياً ، ليس هذا التضامن اكثر من تجمع زمني ، اشبه بتجمع قطيع من الغنم يواجه خطراً مشتركاً . أو أشبه بتجمع قطيـع من الذئاب لمهاجمة الفريسة ، فما ان تنتهي الوليمة حتى يتفرق « المدعوون » ... واليهودي لا يعرف التضامن الا في حالة الخطر ، والتضامن هذا يصبح واجباً في حالتـين : تجاه العدو المشترك او حيال فريسة مشتركة . فإذا زالت مسببات التضامن يرجع اليهود الى انانيتهم ويصبح

همهم الوحيد الكيد والمؤامرات ونهش بعضهم بعضاً .

اذن فاتحـاد اليهود للكفاح او لسلب الناس لا تعتبر مثالية تذهب بهم إلى التضحية ونكران الذات .فاليهودي لا يجد في هذا سوى الانانية الضيقة . واذا تمكن « الشعب المختار » يوماً ان ينشيء دولتهاليهودية – الجهاز الحي المعدلحفظ العرق وتنميته – فستكون دولته هذه دون حدود ، لان تحديد حدود الدولة يفترض وجود مثالية لدى العرق الذي ينشئها كما يفترض ان يكون مفهومه للعمل مبنياً على تقديرات صحيحة .واذا انفقد هذان الشرطان تفشل المحاولات لايجاد دولة ذات حدود ، لان هذه الدولة لا يمكن ان تعيش لافتقارها الى الأسس التي تشاد عليها الحضـارة .

ليس للشعب اليهودي حضارة خاصة به ، فالحضارة اليهودية او التي تبدو لنا كذلك ، هي حضارة شعوب اخرى سرقهـا « الشعب المختار » وشوه معالمها . ولكي ندرك حقيقة وضع اليهود تجاه الحضارة البشرية يجب ان نعلم الحقائق التالية :

لم يسمع العالم بشيء يدعى « الفن اليهودي » وليس لليهود من فضل على الفن الموسيقي والهندسي،فانتاجهمالفني كانعبارة عن سرقة او تقليد او نقل .فتسابق الكتاب اليهود الى الفن الذي لا يتطلب ابتكاراً هو اكبر دليل على ذلك ، وحتى في هذا المجال يظل اليهودي مقلداً كالقرد :.. وهل ينتظر من العاجز عنالابداع ان يحلق في الاجواء العالية كالعباقرة ؟ لكن الصحافة اليهودية المخادعة لا تترك وسيلة إلا وتستعملها لرفع حثاله الفنانين اليهود الى مصاف اسياد الفن ، فتمدح المقلدين من ابنّاء هذا « الشعب المختار » لتوهم الجمهور انهم عباقرة حقيقيين .

لا ، ليست لليهودي المقـدرة على الخلق والابداع ، اما ذكاؤه فهو دائماً متجهاً نحو الهدم والتخريب . وفي بعض الاحيان ونادراً ما يكون يفعل الخير وهو يعتقد أنه شر فيكون قد خدم البشرية رغماً عنه ...

من الخطأ القول ان اليهود هم أشبهبالرحّل لأنهم لا يملكون مملكة ذاتحدود معينة ، ولأن العالم لم يعرف شيئاً يدعى « حضارة يهودية » . فالرحل يملكون

ارضـــاً ذات حدود يعيشون فيها لمـــدة من الزمن ، ولكنهم لا يقوموا بزراعتها ، بل يعتمدون على غذائهم من الماشية ، وهذا يرجع لكون الارض التي يعيشون فيها قليلة الخصب فيضطروا الى الرحيل بأستمرار. ولو كانوا من الانواع المتطورة لتمكنوا من استنبات الارض كما فعل الآريون بفضل تكنيكهم المتفوق. فقد كانوا يستغلون الاراضي ويستنبتوا التربة الميتة ، وهذا يرجع الى عبقريتهم الخلاقة وتكنيكهم المتفوق ...

وبدأ اليهودي يرابي الناس بفوائد فاحشة . ولم يكن الآريون قد اعتادوا هذا النوع من القروض ، فما تنبهوا لخطره الا بعد فوات الاوان . وبعـد ان احتكر اليهود التجارة والاعمال المالية ، تجمعوا وسكنوا في المدن وفي احياء خاصة بهم ، مؤلفين بين بعضهم دولة ضمن دولة. لكن الربا الفاحش الذي كانوا يأخذونه افقـدهم عطف السكان ، وكثر النفور والاشمئزاز منهم لصفاقتهم ، وحسدهم المحرومون على غناهم وبلغت النقمة ذروتها عندما كانوا يسترهنون الاراضي الكبيرة ، فيتحكمون بمالكيها وبفلاحيها بشكل مخزٍ مما جعل ضحاياهم يتألبون ضدهم ويستخدمون العنف والاعمال الانتقامية . وقد لجأ هؤلاء « الضيوف » الى الحكام واستطاعوا بواسطة اموالهم ومغرياتهم ان يقنعوهم بتزويد كل يهودي بكتاب يضمن له حمايته وحماية امواله ، وهكذا سمح الحكام لهم بامتصاص دم ضحاياهم ، تحت حراسة الدولة . لكن نقمة الشعب اجبرت الحكام على وضع قيود كثيرة على انتقال الاراضي ، وحظروا على المرابين استرهانها ، فاذعن اليهود منتظرين اليوم الذي سيستنجد الحكام بهم حين يعوزهم المال ، وهكذا كان ، واخذ اليهود مقابل مالهم وثائق تمنحهم حريـــة استثمار اموالهم ، كما تمنحهم نفس امتيازات ارباب الإقطاع . اما الرشوات التي دفعها اليهود فقـد تنازلوا عنها غير نادمين لانهم سيأخذوا اضعاف مـــا دفعوه ، عن طريق الربا الفاحش والفـائدة المركبة . .

وكان تواطؤ الامراء الالمان مع اليهود سبباً في افقار الشعب ، وقـــد ترتب على هذه السياسية عجز الامة الالمانية عن الخلاص من الخطر اليهودي .

كان الآريون في البدء رحلاً ، لكنهم استقروا حيث هم ، اما اليهود فليسوا رحلاً ، لأن الرحّل يتميزون بالمثالية التي تجعلهم غير بعيدين عن الآريين وان تكن طبيعتهم تختلف عن طبيعة هؤلاء . اذن فاليهود لم يكونوا رحلاً قط ، بل كانوا ولم يزالوا طفيليات تنافس الشعوب على مقومات وجودها، ولئن تركوا المناطق التي سكنوها لمئات السنين ، فانما تركوها مرغمين ملعونين من الشعوب التي قامت وطردتهم بعد أن ضاقت بهم وبخروجهم عن آداب الضيافه .

ان اليهودي لا يفكر في ترك المكان الذي استوطنه، واذا اضطر لذلك فإنه يختار مكاناً يوفر له امكانيات البقاء ، دون ان يضطر الى التخلي عن طابعه الخاص. فهو طفيلي اينما حل وسكن. وهو حيثما وجد فإن الشعب الذي يستضيفه يتلاشى ويضمحل ، شأنه شأن النبتة الطفيلية .

هكذا عاش اليهودي على مر الزمن ، فقد عاش عالة على الشعوب الاخرى . وهو في استيطان الارض يعمل دوماً على تأسيس دولته الخاصة ، ولكنه يخفي مقاصده خلف قناع « الجماعة الدينية » اذا لم تسنح له الظروف بكشف اهدافه الحقيقية. اما اذا وجد في نفسه القوة الكافية، فإنه ينزع القناع ويكشف عن وجهه الحقيقي البشع .

وتقوم علاقة اليهودي بالشعوب التي يعايشها ، على الكذب والدجل . فهو كما وصفه شوبنهور الاستاذ الاعظم في الكذب والتدجيل . أما كذبتهم الكبرى فبادعائهم انهم جماعة دينية .

وهذه الاكذوبة الكبرى تجد من يصدقها حتى الذين يفترض فيهم معرفة التاريخ . وكلما ازداد ذكاء اليهودي ازداد نجاحه في التدجيل ، ألم يتمكن من اقناع شعبنا بأنه الماني دماً ولحماً ؟ ألم تنجح لبعته هذه في فرنسا وانكلترا وايطاليا حيث تعتبرهم الدولة من رعاياها المخلصين ؟ أليس مخجلاً حقاً ان يقف وزير في الحكومة البافارية ويعترف انه لم يعلم إلا مؤخراً ان اليهود يؤلفون شعباً ذو طابع خاص ؟؟

لم يكن اليهود في وقت من الاوقات طائفة دينية ذات تقاليد وطقوس

خاصة ، بل كانوا شعباً له خصائص معينة ، وقـــد حاولوا البحث عن طريقه لتضليل الشعوب ، فلم يجدوا إلا تعريف أنفسهم بالجماعة الدينية ، علماً انهم حتى في هذا الحقل كانوا مقلدين ومشوهين ، اذ ان اليهود لا يمكن ان يؤلفوا جماعة دينية لأن لا مثالية لهم ولا يتطلعون الى ما وراء عالمنا هذا ، فالتلمود لا يذكر كلمة واحدة عن العالم الآخر ...

ان العقيدة الدينية اليهودية تشمل بعض التوجيهات المتعلقـــة بحفظ الدم اليهودي نقياً ، كذلك بعض التنظيمات للعلاقات بين اليهود وبعضهم البعض وبين اليهود وسائر الشعوب . ولكن هذا التنظيم لا يكون على صعيد مناقبي ، فهو يعالج المسائل الاقتصادية بشكل خاص ، وبعقلية تفضح الدناءة التي ولد عليها اليهود. اما القيم الروحية للتعاليم الدينية فالدروس التي تناولتها بالبحث تعطي فكرة صحيحة عنهم ولكنهـا ليست في مصلحتهم أو مصلحة ديانتهم . ولكن بأستطاعتنا تكوين فكرة عن بعد هذه الديانة عن الروحانيات بمجرد النظر الى أي يهودي كان . فحياته تقوم على المـــادة ، وروحه كانت ولم تزل غريبة عن الروح المسيحية ، ولا شك ان مؤسس النصرانية لم يظلمهم حين قال رأيه الصريح بهم. ألم يستخدم السوط لأخراج عدو البشرية من الهيكل لأن اليهودي يعتبر الدين تجارة ؟ الم يصلب اليهود المسيح لأنه حارب المادية اليهودية ؟ أليس من العار ان يستجدي الحزب المسيحي في بلادنا اصوات اليهـــود في الأنتخابات ، وينظم المؤامرات مع الحزب اليهودي الملحد ضد الوطنيين ؟

* *

قامت سلسلة طويلة من الأكاذيب بعد الكذبة الاولى القائلة ان اليهود ليسوا عرقاً ، بل جماعة دينية . فمثلاً كان لسانهم الواسطة لأخفاء حقيقة ما يجول في رؤسهم بدلاً من ان يكون واسطة للتعبير عنهـا . فاليهودي اذا تكلم الفرنسية مثلا فإنما يفكر يهودياً ، وعندما يقول الشعر بالالمانية فهو يعبر عن ما يجيش في صدور شعبه. واليهودي يتكلم لغة الشعوب طالما هو مكسور الجناح، ولكن

متى تمكن من السيطرة عليها فإنه يدعوها للتكلم بلغة عالمية ، كالاسبرنتو مثلاً ، ليتسنى لليهودية ان تلفهم تحت جناحيها .

على الرغم من انكار اليهود لوجوده ، فقد اظهر « بروتوكول حكماء صيهون » ان وجود هذا الشعب يقوم على كذبة كبرى . أما ما تؤكده جريدة «لاغازيت دو فرانكفورت » أن البروتوكول مدسوس على اليهود ، فانما هو مجرد تضليل. ونحن لا نهتم بمن وضع قواعد البروتوكول ، فالواضح هو ان الوثيقة تفضح طبيعة النشاط اليهودي وما يهدف اليه ، فاحداث القرن الماضي والسنين الاخيرة تشهد بان « بروتوكول حكماء صهيون » ينفذ بدقة واحكام. فهل نستغرب بعد ذلك، حرص اليهود على انكار وجود الوثيقة ؟ ان تعريف الشعب بخطط اليهود ومراميهم البعيدة كفيل بالقضاء على الخطر اليهودي قضاء مبرماً ...

لنتمكن من معرفة اليهودي على حقيقته ، يجب ان نتتبع خطاه خلال العصور. فقد هبطت طلائع اليهود الارض الجرمانية في اعقاب الجحافل الرومانية الغازية، وقد انتشروا في البلاد باعتبارهم تجاراً وخلال حركة الانقلابات التي سببتها الهجرة اختفى اليهود مؤقتاً ، ليظهروا بعد ان بدأت تتكون الدول الجرمانية. وفي هذه المرة ايضاً ظهروا كتجار ، ولم يهتموا باخفاء طابعهم المميز لان اشكالهم وجهلهم اللغة كانت تفضح تنافرهم مع مضيفهم ، ومع ذلك فلم تحدث لهم اية متاعب لكونهم يهوداً وغرباء . فالجرمان شعب مضياف يعطف على الغريب مهما كان جنسه .

لم يمض وقت طويل حتى بدأ اليهود بالتسلل الى الحياة الاقتصادية كوسطاء لا كمنتجين . وقد تفوقوا ، بفضل براعتهم التجارية بفضل خبرتهم الطويلة ، على الآريين حتى اوشكت ان تصبح التجارة مرتبطة بهم ووقفاً عليهم فقط .

أما الامراء الالمان ضحايا اليهود ، فقد نالوا جزاءهم عندما ابتعدت عنهم شعوبهم بعد ان لمست هذه الشعوب تقاعس الامراء عن حماية مصالحهم .. وكان اليهود يغذون النقمة على الامراء حين يعلموا ان احدهم قد بدا وكأن نجمه آخذ بالافول . و « الشعب المختار » اختصاصي وخبير في الانحراف بالحاكم عن رسالته

الوطنية ،فهو يتودد الى الحاكم بعبارات المديح ومن ثم بالهدايا ، ومن ثم بالاستمتاع والتهتك ، الى ان يأمن جانبهم فينصرف حينئذ الى اعمـــال الربا وامتصاص اموال الشعب .

وبالأضافة إلى حب المال فاليهودي يطمح الى المعالي ، فبعد أن جر الامراء الى الرذائل والتهتك حملهم في ساعة من ساعات مجونهم على رفع نفر من اليهود الى مرتبة العظماء والنبلاء . وتبع هذه الخطوة خطوات جديدة سمحت لليهود بان يكونوا وزراء ومستشارين ، وكانت اصوات الاحتجاج تختفي بعـد ان يتقبل اليهود سر العماد ، دون ان يتخلى عن اسرائيليته وخصائصها .

وقد قامت حركة فكرية ضدزواج اليهود من المانيات وزواج الالمـان من يهوديات ، في عهد فردريك الكبير ،وتزعمها غوته الذي لم يكن رجعياً ولا قصير النظر ، وقد ايده الشعب لاقتناعه بان اليهود عنصر غريب دخـل كيان الأمة دون ان يتخلى عن طابعه وتقاليده الخاصة ... لكن اليهود ادركوا خطورة الحركة فقرروا الاندماج نهائياً في الامة الالمانيـة ظاهراً ، دون ان يتخلوا عن خصائصهم، ولم يكن لهم من الإلمانية سوى اللغة التي سرعان ما اتقنوها. ومتى كانت اللغة قوام العرقية؟ لم تفت هذه الحقيقة « الشعب المختار » ، فهو لو اتقن اللغة الالمانية ونطق بها ، سيبقى محافظاً على بقـــاء دمه نقياً ، بإعتبار ان الدم هو قوام العرقية — فاليهودي يمكنه اتقان مئة لغة ، لكنـــه يبقى يهودياً بتفكيره ...

قرر اليهود ان يكون الطابع الالماني طابعهم الغالب بسبب ما لمسوه من كراهية الشعب لهم ، وبسبب تقلص نفوذ اصدقائهم الامراء ، فهم بحاجة الى من يرتكزون عليه في توسيع نطاق نشاطهم المالي دون ان تزداد نقمة الشعب عليهم . فبـدأوا بطلب الحقوق المدنيـــة اسوة بالالمان الحقيقيين ، ثم راحوا يتوددون الى الشعب يشاطروه همومه ومشاكله والامة . واوهموهم بانهم يريدون ان يكفروا عن سيئاتهم السابقة ، بأعمال انسانية لوجه الله . وعلى هذا الوتر الحساس ضرب اليهود بأستمرار ، الى ان بدأ الشعب يميل الى تصديق ادعاءاتهم،

بل اتهم الذين ارتابوا بمقاصدهم بالتحامل على اليهود المساكين ...

ولم يقف الامر عند هذا الحد، فقد انقلب اليهودي بين يوم وآخر واصبح من دعاة التحرر وفي مقدمة ناشري الافكار الجديدة .. وبنفس الوقت استمر في تخريب الاقتصاد القومي، وقد تمكن من التسلل الى حقل الانتـــاج عن طريق الشركات المساهمة مجرداً الصناعة الالمانية من الاسس التي قامت عليها الملكية الفردية . وبالطبع توسعت الهوة بين ارباب العمل والعمال نجم عنها بعد ذلك انقسام المجتمع الى طبقات .

وقبض اليهودي بعد ذلك على البورصة بشدة، مما فاتيح له بذلك الاشراف التام على نشاط الأمة في كل حقل. ولكي يزيد من مناعة مركزه ويقويه عمد الى الدعوة إلى التسامح الديني، فأستخدم الماسونية - وكانت اداة طيعة بين يديه - في تحقيق هدفه . وكانت الماسونية قد اجتذبت الى شراكها الكثيرين من الحكام والنبلاء والاقتصاديين والبورجوازيين ورجال الفكر .

لكن الشعب لم يقع في هـــذا الشرك، فأدرك اليهود أن غالبية الشعب لن تخضع لهم عن طريق الماسونية، فعمدوا إلى الصحافة ووجهوها حسب مصالحهم ليتم لهم الاشراف على الحياة العامة. وفي نفس الوقت عمدوا الى التظاهر بتعطشهم الى المعرفة، وكانوا يثنون على كل حركة تقدمية لا سيما التي يترتب على نجاحها خراب الآخرين لأنهم لم ينسوا وصاية « بروتوكول حكماء وصهيون » القاضيـــة بمحاربة كل حضارة حقيقية والوقوف بطريقها لأنها لا تخدم اهداف ومصالح اليهود ..

*

ترتب على التطور الاقتصادي اختـلال التوازن الاجتماعي من حيث انقسام الشعب الى طبقات، فتكاثر عدد العمال الذين يكدحون لحساب الغير بدون أي ضمان لغدهم المظلم، كما رافق هـذه الظاهرة ظاهرة ثانية هي طبقـة البروليتاريا (الصعاليك) الذي كان شبح الشيخوخـة يقلقهم بأعتبار ان نظام العمل لم يعنَ بمصيرهم بعد تركهم للعمل ...

وقد عالجت الدولة مشكلة من هـــذا النوع عندما ظهرت طبقة الموظفين والمستخدمين الى جانب المزارعين والعمال اليدويين. فقد ظهر للدولة ان موظفيها يؤمنون الكفاف لا اكثر، فعالجت هذه المشكلة بخلق نظام للتقاعد، مما حـدا بأرباب العمل الى الاقتداء بالدولة ولكن على نطاق اضيق.

لكن مشكلة العمال كانت معقدة وصعبة، فقد هجر ملايين الرجال والنساء قراهم طلباً للرزق في المدينة، وكانت اغلبيتهم الساحقـــة تعمل في المصانع او كعمال يدويين. وكان الوقت الذي يقضيه العامل في المصانع يتراوح بين ١٤ و ١٥ ساعة في اليوم بدون فترة راحة، وهذا مما يرهق صحتهم بشكل مؤذٍ. وبنفس الوقت كان العامل يتقاضى راتباً زهيداً لا يكفيه قوت يومه، في حين كان صاحب العمل يجني ارباحاً خيالية.

وهكذا قامت الطبقة الجديدة من العمال الكادحين أو البروليتاريا. وقد كان على السلطات ان تلتفت الى هذه الطبقة التي تضم الملايين، وتجعل منها درعاً للوطن وسيفاً له. لكنها لم تفعل بل تركت الامور على ما هي .. وبالتالي فقد أستغل اليهود اعداء الأمة، هذه الطبقـة التي بأمكانها تغيير مجرى التاريخ، فتقربوا منها وتبنوا قضيتها ومفهومها للعمل، وذلك دون ان يتخلوا عن اسلوبهم الرأسمالي وبذلك اصبح اليهودي قائد الحملة العمالية، هذه الحملة التي كانت موجهة ضده، فعرف كيف يتنصل من كل تبعة ويلقي العبء على الابرياء.

لقد تبنى اليهودي قضيـــة البروليتاريا ليحارب طبقـــة البورجوازيين، بعد ان حارب بهم طبقة الاقطاعيين، وبدأت الدعايات اليهودية توجـــه الحركة العماليـــة مع ما يتفق واهدافها أي السيطرة على العـــالم. وهكذا اصبحت مهمة العامل الكفاح من اجل اليهود ... ووجد نفسه اخـيراً دون ان يعلم في خدمة المحتكرين اليهود وبث المبادىء الهدامة. فقد كان اليهود يتظاهرون بالعطف على قضية العمال ويستدرجونهم للبوح بما يحتقن في صدورهم، ومن ثم يشجعونهم على النضال لتحقيق العدالة الاجتماعية ... وبنفس الوقت يكون عملائهم على اتصـــال بارباب العمل فيستعدونهم على العمال « الذين لا يرضيهم شيء »...

ان وراء المبادىء الاجتماعية اهدافاً شيطانية . وان ابرز ما في الماركسية كونها خليطاً من المبادىء الغير معقولة والمعقولة . وهذا الخليط المتناقض مركب بطريقة تجعل ماهو غير معقول قابلاً للتحقيق، أما المعقول فتحقيقه في حكم المستحيل. فالعقيدة الماركسية حين تنكر على الفرد والامة والعرق حقه في الوجود ، فانها تحطم الاساس المبدئي للحضارة وبذلك تهدم العقبات التي تقف في طريق اليهود للسيطرة على العالم .

*

بعد ان تم لليهود الاشراف الفعلي على الاقتصاد والسياسة والفكر ، كشفوا عن وجههم الحقيقي وتوقفوا عن الادعاء بأنهم جماعة دينية ، ليصارحوا الناس انهم يؤلفون عرقاً له طابعه وخصائصه ، وان هدفهم الاساسي هو انشاء وطن في فلسطين لا تكون له معالم الدولة بمفهومها الحديث بل يكون الوطن الذي يرنوا اليه اليهود المشردين في جميع انحاء العالم .

وقد ظهرت صفاقتهم جلية واضحة حين حاولوا بذل مساعيهم لخفض مستوى الاجناس بتسميم دم الافراد . وبعد ان حققوا مآربهم على حساب الديمقراطية تخلوا عنها ولجأوا الى دكتاتورية البروليتاريا . وقد وجدوا في الماركسية الاداة التي تستطيع ان تخضع الشعوب بقوة الحديد والنار ...

وقد تم النصر لليهود في روسيا حيث تسببوا في موت ثلاثين مليون شخصاً ليتسنى لهم اخضاع شعب كبير لسيطرة لصوص الأدب والبورصة .

الفصل الحادي عشر

الحزب يبدأ العمل

انقسم الشعب الألماني ، عام ١٩١٨ الى قسمين ، الاول يضم طبقه المفكرين وهي طبقة ذات ميول قومية مبهمة ان لم تكن سطحية ، لانها كانت تمثل مصالح تتناسب والمصالح الملكية ، مع انها في الظاهر تبدو ملتصقة بالدولة . وقد حاولت هذه الطبقة الوصول الى اهدافها بواسطة الاسلحة الفكرية – لكنها لم تنجح ضد خصمها القوي . وقد رأينا العدو يسيطر عليها بسهولة ويرغمها على الرضوخ للشروط التي تعمد بها اذلال شعبنا .

والقسم الاخر يضم الأغلبية الساحقة من العمال اليدويين الذي دخلوا في منظمات ذات ميول ماركسية متطرفة تهدف الى القضاء على كل من يحاول الوقوف في طريقها ولا تعترف بالمصالح القومية ولا تقيم وزناً للمثل العليا . وكان اخطر ما في هذه الحركات العمالية انضمام اغلبية الشعب اليها واشتمالها عناصر لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق الانعاش القومي . ذلك ان الشعب كان بحاجة ماسة إلى من ينفخ فيه روح الحماس وقوة الارادة ، لمقاومة الضغط الاجنبي المتزايد . فمحاولات الانعاش الشعبي يجب ان تعتمد على تلك العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق هذا الانعاش. هذه العناصر التي انضوت تحت لواء الحركات العمالية المتنكرة لقوميتها . فكيف يمكن والحالة هذه النهوض بدولة حين تكون غالبية

شعبها تدين بمبادىء غير قومية ؟! لذلك كان على حركة حزبنا ان تتهيأ لبعث الدولة الالمانية واعادة اعتبارها ، وتعمل على اجتذاب الأغلبية إلى صفوفها ، لان هذه الأغلبية تؤلف العنصر الهام في الامة وبدونه تذهب الجهود الرامية إلى تحرير شعبنا هباء ... والبورجوازية لم تكن تشكل خطراً على حركتنا القومية ، فآفاقها الضيقة ونزعاتها القومية المضطربة كانت لا تسمح لها بالمقاومة إلا بطريقة سلبية كالطريقة التي اتبعتها في عهد بسمارك ، منتظرة ساعة الخلاص .

لقد بدت مهمتنا شاقة ، فالاغلبية الساحقة من المواطنين كانت مبهورة بزخرف الدعوات الماركسية ، فتنكرت لامتها وجنحت إلى العنف بتحريض من اليهود ...

ولم يفتنا ان الماركسيين وحلفائهم قادرون على منع الدولة الالمانية ذات النظام البرلماني من اتخاذ سياسة خارجية قومية ، لانهم قادرين على اظارها بمظهر الدولة المتفككة بحيث لا تجد من يحالفها او يتعاون معها باعتبار ان اغلبية الشعب تعارض كل سياسة داخلية بناءه وكل خطوة خارجية حازمة ... وقد ادركنا ان شعبنا الباسل لن يتمكن من الوصول إلى مركز الصدارة إلا بعد ان يصفي حساب الذين تسببوا في انهيار الدولة واستغلوا بعد ذلك هذا الانهيار . فشهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨ لم يكن بالخيانة العادية بل جريمة كبرى ... نعم لن يتمكن شعبنا من تهيئة نفسه للمعركة الكبرى قبل ان يتخلص نهائياً من اعدائه الداخليين وعلى رأسهم اليهود .. وقبل ان يتمكن من نزع الفكرة الماركسية من عقول الملايين من الالمان ، وحقدهم على امتهم .

ولئن يكن اجتذاب الأغلبية هو الهدف الأول لحركتنا ، فقد ادركنا ان نشاطنا يجب ان يقوم على اسس ثابتة يقوم عليها صرح التعاون بين فئات الشباب الالماني ، وقد اتبعنا خطة في عام ١٩١٩ تركزت على المبادىء التالية :

اولاً : يجب التضحية بكل شيء في سبيل اجتذاب الأغلبية الساحقة إلى

حركة الانعاش القومي . فالتنازلات الاقتصادية لمصلحة العمال لا تكفي ما لم يرافقها ادخال الطبقات الشعبية الى الجسم الاجتماعي الذي هو جزء لا يتجزأ منه . فلو حافظت النقابات على مصالح العمال اثناء الحرب وانتزعت الموافقة على مطالبهم ولو بالاضرابات ، لما خسرت المانيا الحرب .

ثانياً : لا يمكن انشاء الاغلبية نشأة قومية إلا برفع مستواها الاجتماعي .

ثالثاً : ان اجتذاب الاغلبية الى فكرة القوميـــة لا يتم بأنصاف التدابير والجهود المنقطعة . فلا بد من مواصلة الجهود كي نجعل من شعبنا شعباً قومياً ، ونعالج المشاكل بقوة وحزم ، فالسم يعالج بالدواء المضـاد له . لا بمكافحته بالتعاويذ .

ان الاغلبية الساحقة ليست من الاساتـذة والدبلوماسيين ، لذلك لا يمكن استمالتها بالنظريات العلمية ، بل تؤخذ بالعواطف ففي هـــذا المضمار تكمن انتفاضاتها من سلبية وايجابية . فالاغلبية لا تعمل إلا لمصلحة القوة ذات الاتجاه الصريح ، ولا تعمل مطلقاً لمصلحة خطوة مترددة مذبذبـــة . على أن مشاعر الجمهور وعواطفه متقلبة وليست ثابتة ، فما يراد اقامته على اساس ثابت يجب ان يرتكز على ايمان الشعب وتمسكه للفكرة التي يراد حمله على اعتناقها . اذ ان الايمان اقوى من صمود العلم ، والمحبة اقوى على الاستمرار من التقدير ، والبغض اطول نفساً من النفور . وقد برهن لنا التاريخ ان الثورات الكبرى لم تحركها الافكار العلمية أو الحرص على نشرهـا ، بـــل حركها التعصب الاعمى لرأي أو عقيدة .

رابعاً : لا يمكن كسب ثقة الشعب إلا بعد تحطـــيم العقبات التي تقف في طريقهم ، مزيلين عن طريقهم اعداء حركتهم . فالاغلبية تعتبر مهاجمة خصومها بطريقة عنيفة حقاً من حقوقها المقدسة . وترفض بالتالي التساهل أو التسامح ، فهي تعتقد ان البقاء هو للاصلح والأقوى.

خامساً : ان القضايا الكبرى في العصر الحديث هي نتيجة القضايا الاعمق

جذوراً ، ويأتي في طليعة هذه القضايا قضية المحافظة على سلامة العرق ، وذلك بصون نقاوة دمه . فان فسد دم عرق من الاعراق نتيجة الاختلاط ، فسرعان ما تتفكك عرى الوحدة الروحية وتنهار قوة الابداع وصروح الحضارة . فمن يطمح الى اخراج الشعب الالماني من مشاكله الحالية، عليه ان يطهر الصفوف من الذين افسدوه ، وعلى الامة الالمانية ان تبادر الى مواجهة المسألة العرقية متخذة كافة التدابير الحاسمة لأنهاء المشاكل التي يثيرها وجود اليهود بيننا .

سادساً : ان الاغلبية الساحقة من الشعب التي استمالتها الماركسية الى جماعة الامم يمكن انضمامها الى الجماعة القومية دون ان تتخلى عن حقها في الدفاع عن مصالحها . علماً ان اختلاف المصالح بين مختلف الهيئات لا يبرر قيام النزاع بين الطبقات ، لأن هـــذه المصالح ليست إلا نتيجة طبيعية لتركيبنا الاقتصادي . وحين ندرك هذه الحقيقة نرى ان قيام تكتلات مهنية لا تتعارض مع قيام اتحاد شعبي ، وبالتالي دولة قومية . وانضمام طبقة من الطبقات الى الاتحاد الشعبي أو الى الدولة لا يفرض تدني مستوى الطبقات العليا، بل يرفع من مستوى الطبقات الوضيعة . فالبوجوازية لم تنضم الىالدولة لأن طبقة النبلاء ارادت ان تفتح امامها المجال وتتنازل عن بعض امتيازاتها ، بل لأن البورجوازية قد استحقت وضعها الجديد بفضل نشاطها وثباتها . لذلك يمكن القول ان العامل الالماني لم يتوصل إلى ان يصبح قوة فاعلة إلا بعد ان نجـــح في رفع مستواه الاجتماعي ليوازن به مستوى سائر الطبقات .

أما تنكر العمال اليوم للفكرة القوميـــة ، ليس معناه انهم منتظمين في في هيئات تعاونية أو نقابات تقدم مصلحتهم على بقية المصالح . بل لأن المحرضين هم الذين نفخوا فيهم روح المغامرة الخطرة التي جعلت منهم اعداء الوطن والشعب وجعلتهم بالتالي أداة لتحقيق مصالح المغامرين الدوليين ومصالح اليهودية العالمية . فإذا تطهرت النقابات من المحرضين ووجهت توجيهاً قومياً وشعبياً صحيحاً تمكنت من ان تكوّن لنفسها مركزاً قويـــاً هاماً ، بأعتبارها أكثر الطبقات انتاجـاً وحماية لتقاليد هذا الشعب العريق ... وبالاضافـة الى هذا يجب تطهير صفوف

ارباب العمل من الجشعين والانانيين الذين تتعارض مفاهيمهم للعمل مع المبادىء التي يجب أن يقوم عليها التعاون بين اعضاء المجتمع الواحد ليعودهذا التعاون بالنفع على الجميع ،فرب العمل يظن ان اندماج العامل في الجماعة الشعبية سيحرمه اقتصادياً من الوسائل التي اعتاد على استخدامها للدفاع عن مصالحه ومحاربة مستخدميه. كذلك يعتقد رب العمل ان كل محاولة لحماية مصالح العمال الاقتصادية حتى ولو كانت حيوية ، تشكل اعتداء على مصالح الجماعة ... لذلك يجب مكافحة هذه النظرية الخطرة واعتبارها في رأس المهام التي سيضطلع بها الحزب الجديد .

ان العامل الذي يتعمد ارهاق رب العمل بمطالبه المستحيلة ، ويلجأ الى العنف كلما أراد ان يرهب مستخدمه ، هذا العامل يعتبر مجرماً وخائناً بحق أمته . وكذلك صاحب العمل الذي لا هم له إلاّ جني الارباح الطائلة التي تجعل منه رجلاً متحجر العواطف ، هذا الرجل يعتبر حليفاً ونصيراً للمشاغبين والماركسيين .

ان نشاط حزبنا يجب ان يوجه الى العمال بالدرجة الاولى ، ليعمل على انقاذهم من حبائل المغامرين الدوليين ، وبالتالي لرفع مستواهم الاجتماعي بحيث يصبحون عنصراً شديد المراس ، مشبعاً بالافكار القومية لا تؤثر فيه الدعايات المضللة . ولن يرفض الحزب الجديد التعاون مع جميع العناصر القومية ، ولكنه لن يعمل على اجتذاب طبقة البورجوازيين لأنها ستصبح عالة عليه ، وبالتالي ربما ترتب على هذا التعاون نفور العمال منه .

سابعاً : يجب ان توجه دعاية الحزب الى احد المعسكرين اللذين يؤلفان الاكثرية الساحقة . فالتفاوت في المستوى الفكري يجعل الدعاية المبسطة غير ذات قيمة بالنسبة الى المتعلمين . في حين ان الدعاية الرفيعة لن تلاقي تجاوباً عند غير المتعلمين . وحتى طريقة التعبير لا يمكن ان تكون واحدة في التوجه الى الطبقتين . فإذا اعتمدت الدعاية البساطة في التعبير ظلت الاوساط المتعلمة بعيدة عنها ، وإذا ركزت على الدعاية الفكرية العالية لن تتمكن من اثارة عاطفة

الاغلبية الشعبية .

لن نجد بين مئة خطيب عشرة يتمكنون من مخاطبة جمهور من الحدادين والكناسين مثلاً ، وبنفس الوقت يتوجهوا لمخاطبة اساتذة الجامعة . ولا يغرين عن بالنا أن احسن فكرة لا يمكن نشرها إلا بعد تبسيطها ، ويتوقف نجاحها على الذين يتناقلوها اكثر مما يتوقف على مبتدعها .

ان قوة انتشار الحركة الماركسية تقوم على وحدة الاسلوب في مخاطبة الجمهور الذي يتألف من طبقة معينة . وقد ادرك الماركسيون أن الاغلبية لا تتمكن إلا من استيعاب التعاليم السطحية ، لذلك وضعو تحت تصرفه كل ما هو ملائماً لمستوى تفكيره . لذلك يجب على الحزب الجديد إلا يرتفع بدعايته الى المستوى العالي ، أي فوق مستوى الشعب . ففي حفل شعبي يكون الخطيب الذي يغزو قلوب الجمهور هو سيد الكلمة ، لا الخطيب الذي يصفق له المتعلمون والمفكرون ..

ثامناً : ان نجاح حركة الاصلاح السياسي تعتمد نجاح القوة السياسية ، فالنجاح هو المقياس الوحيد لملاءمة فكرة ما لمصلحة المجموع . فالقول ان الحركة الثورية في المانيا قد نجحت لأن قادة الحركة قد تسلموا زمام الحكم ، هو قول هراء ، فالنجاح الوحيد الذي تحرزه الثورة هو في جعل الأمة أكثر ازدهاراً .

ان حركة ما تعتبر القوة السياسية هو شرط اساسي لنجاحها ، يجب ان ان تعتمد على تأييد الاغلبية الساحقة من الشعب وان تعلم أن الحركات الاصلاحية لا تقوم على سواعد رواد الاندية الأدبية وشاربي الشاي ولا من سواعد لاعبي الشطرنج من البورجوازيين .

تاسعاً : الحركة الجديدة في جوهرها وتنظيمها هي ضد النظام البرلماني فهي لا تعترف بسيطرة الاكثرية ، هذا النظام الذي يجعل من رئيس الحكومة منفذاً لمشيئة الآخرين . أن حزبنا يحصر المسؤولية بالرجل الذي يتسلم

مقدرات الدولة ، وبشخص زعيم الحزب . وهذا المبدأ يجب تطبيقه على النحو التالي :

يعين زعيم الحزب رؤساء للفروع ويكون رئيس الفرع مسؤولاً عن فرعه ، وتوضع اللجان الحزبية تحت تصرفـه التي تنحصر مهمتها في درس المسائل التي يقدمها لها رئيس الفرع .

ان زعيم الحزب هو المسؤول الوحيد الذي يأخذ مركزه بالانتخاب، وتتولى انتخابة الجمعية العمومية . وهو مطلق الصلاحية نظراً لجسامة مسؤولياته فإذا خرق نظام الحزب أو فرط بمصلحة الحزب عملت الجمعية العمومية على اسقاطه وانتخبوا زعيماً غيره .

هذا المبدأ يجب ان يطبق على الدولة نفسها ، فعلى من يطمح الى الزعامة أن يحمل الى جانب السلطة غير المحدودة المسؤولية الكاملة .

ان التقدم والحضارة هما نتيجة جهود العبقرية ، لا نتيجة ثرثرة الاكثرية . فحزبنا يحارب النظام البرلماني لأنه يقصي النخبة عن الميدان ويفتح الطريق امام الدجالين والخونة .

عاشراً : يرفض الحزب الجديد ان يحدد موقفة من المسائل الخارجـة عن نطاق عمله السياسي ، فهو لا يهدف مثـلاً الى الاصلاح الديني لأن في كلتـا الطائفتين الدينيتين دعائماً قوية يرتكز عليها بقاء شعبنا . والاحزاب التي تنكر على الدين دوره كدعامة معنوية لأستخدامها في الاغراض السياسية ، يجب على حركتنا محاربتها بشدة وعنف .

ان حركتنا تهدف الى اعادة تنظـيم شعبنا سياسياً ، ولكنها لن تتصدى لأقامة شكل معين من اشكال الحكم ، فالملكية والجمهورية سيان في نظرها ، والمهم هو تقرير المبادىء الاساسية التي يجب ان تقوم عليها الدولة الجرمانية المثالية .

أما تنظيم الحركة داخلياً فهو متصل بالغاية التي وضعها الحزب والنظام الأنسب هو النظام الذي لا يقيم جهـازاً من الوسطاء بين الزعـيم وانصاره

فالتنظيم هو نقل فكرة معينة مختمرة في رأس رجل واحد ، الى جمهور كبير من الناس . وعندي أن التنظيم هو شر لا بد منه ، وهو فوق ذلك واسطة لا غاية .

وما دام العالم مفتقراً إلى الادمغة المفكرة التي تقودالمخلوقات الآلية فالتنظيم مهمة سهلة بالنسبة الى تجسيد فكرة ما ، فالفكرة تشق طريقها مجتازة المراحل الآتية : تخرج الفكرة من دماغ رجل واحد ليبشر بها فيجمع حوله عدداً من الانصار . ونقل هذه الفكرة الى الانصار مباشرة هو الطريقة المثلى، ولكن هذا النقل سيصبح متعذراً بعد ازدياد عدد هؤلاء الانصار فيتطلب عندئذ الاستعانة بالوسطاء ، هذا الشر الذي لا بد منه ، وهذا ما يفرض التنظيم على اساس انشاء شعب وخلايا محلية ، بيد انه لا يجوز التسرع في انشاء هذه الخلايا قبل ان تترسخ سلطة مؤسس الحركة في المركز الرئيسي لحركته.فمثلا سحر مكة وروما يعطي الاسلام والكاثوليك قوة منشأها الوحدة الداخلية وخضوع المؤمنين والانصار للرجل الذي هو رمز لهذه الوحدة . ومن هنا وجب علينا احاطة المكان الذي انطلقت منه الفكرة ، بهالة من القدسية تجعله محجة للانصار ورمزاً لوحدتهم .

يتضح مما اسلفنا ان الأسس التي يجب ان تقوم عليها حركتنا داخلياً هي الأتية :

١ – حصر النشاط في مدينة واحدة هي ميونيخ ، حيث بها مجموعة كبيرة من الانصار المتحمسين ، ويصار إلى تأسيس مدرسة لتعليم رسل الحركة . وفي نفس الوقت يحاول الحزب فرض وجوده ومحو الوهم العالق في الاذهان باستحالة قيام حركة جديدة تقوى على التصدي في وجه الماركسية والتغلب عليها .

٢ – لا يصار الى انشاء خلايا محلية ما لم تتثبت سلطة المركز في ميونيخ .

٣ – لا يصار الى انشاء فروع اقليمية ما لم تتوفر الاثباتات الكافية على ولاء

الانصار للمركز الرئيسي وتقيدهم بتعلياته. علماً ان انشاء مراكز اقليمية يتوقف على عدد كاف من الافراد الذين يعتمد عليهم بادارة المراكز . ويمكن للحزب ان يجتذب افراداً اذكياء فينشئهم تنشئة قوية تؤهلهم للقيادة ، إذا توفر لديه المال الكافي . وهـــذا ممكن بدفع رواتب الموظفين من صندوقه الخاص . اما إذا لم تسمح له ماليته باستخدام رؤساء موظفين ، فانه يعهد بادارة الفروع الى رجال لا يبخلون على الحزب بالجهد والوقت والمال .

وقبل انشاء الفرع يجب تعيين رئيسه ، فاذا تعذر ذلك يترك الفرع دون رئيس او تترك المنطقة دون فرع ، لان الرئيس الفاشل كالقائد الاحمق الذي لا يحسن وضع وتنفيذ الخطط ..

*

ان نجاح حركة سياسية لا يعتمد على تعصب الانصار واعتبار حركتهم انبل الحركات واسماها . ومن يعتقـــد ان اندماج حركتين متماثلتين يضاعف من قوة الحركة ، هو مخطىء . لان هذا يزيد في النمو الخارجي ، مع ان هذا الاندماج يلقي بذور ضعف داخلي تظهر اعراضه بسرعة . ذلك انـــه مهما كان التشابه قريباً فالشبه التام بينهما يبقى مستحيلا . والطبيعة نفسهـا لا تسمح بالتزاوج بين جهازين مختلفين ، فتعمد إلى استفزازهمـــا إلى القتال ليبقى الانسب والاقوى .

فالتاريخ يعلمنا ان قوة الاحزاب تقوم على التعصب ضد كل مـــا هو خارج عنها ، وان انصار الحزب حين يقتنعوا بصحة فكرتهم يتجندوا للدفاع عنهـــا ولمنازلة خصومهم موقنين ان النصر حليفهم . ولا يزيدهم الاضطهـاد الا شدة وعزيمة . فالمسيحية لم تنتشر وتشتد بالتسويات بين تعاليمها وتعاليم بقية الديانات بل شقت طريقها بفضل تعصبها لرسالتها ودفاعها عنها دفاعاً مستميتاً .

ينبغي لحركتنا ان تعلم وتفهم الشعب الالماني ان اليهودي إذ يقول الحقيقـة انما يحاول تغطية خدعة كبرى ، وان كل افتراء يصدر عن اليهود هو كالشهادة

بحسن السلوك . وكل الماني يهاجم اليهود هو واحد منا ، وكل الماني يبغضه اليهود هو افضل اصدقائنا .

يجب على حركتنا ان تفهم انصارها ان من يقرأ جريدة صباحية يهودية ولا يجد فيها حملة من الافتراء عليه . فمعنى ذلك انه أضاع نهاره السابق سدى ، فلو امضى نهاره السابق في مكافحة نشاط اليهود لوجد في صباح اليوم التالي حملة الافتراء والتجريح في صحف الصباح .

حين يدرك انصارنا هذا كله تصبح حركتنا قوية لا يمكن ان تغلب .

*

لم يكترث الجمهور لعملنا الحزبي ، وكان معذوراً إذ كان عددنا في البداية سبعة رجال لا حول لهم يهدفون الى تحقيق ما عجزت عنه الاحزاب الكبيرة .

فكنا نجلس في اجتماعاتنا نحن السبعة حول طاولة عارية إلا من أقلامنا واوراقنا ، لنتناقش بضع ساعات في امور تافهة كتنظيم دعوة او اعداد بيان . وغني عن القول ان ميونيخ كانت في شاغل عن الانتباه لامر سبعة رجال يعقدون اجتماعاً . وقد ظل هذا دأبنا إلى أن قررنا توسيع نطاق حركتنا بدعوة الناس لحضور اجتماعاتنا ، فنظمنا اجتماعات دورية مرة أو مرتين في الشهر ، وتولينا كتابة أوراق الدعوة وتوزيعها بأنفسنا . وحدث ان قمت بنفسي بتوزيع ثمانين بطاقة دعوة على اشخاص طالما امتدحوا حركتنا وكذلك فعل رفاقي فبلغ مجموع ما قمنا بتوزيعه حوالي خمسماية وعشرين بطاقة ولكن النتيجة كانت مخيبة لآمالنا بشكل كبير ، ففي الموعد المعين لم يكن في قاعة الاجتماع سوى الأعضاء السبعة . . .

بعد هذا الحادث طبعنا اوراق الدعوة على الألة الناسخة ، فضمنا نجاح الاجتماع الثاني فحضره حوالي الثلاثة عشر مواطناً، وتدريجياً أزداد الرقم، إلى ان وضعنا اعلاناً في احدى الصحف المستقلة عن اجتماعنا السادس ، وكانت النتيجة مشجعة إذ استأجرنا قاعة في « هوفبروس كيلر » تتسع لمئة وثلاثين شخصاً ، وفي

الوقت المحدد حضر الاجتماع حوالي المئة وأحد عشر شخصاً .

وقع الاختيار عليّ لاخطب في الجمهور ، وكانت هذه أول مرة اخطب فيها فعارضني معارضة شديدة رئيس الحزب الهر « هارير » الذي كان يظن اني اصلح لكل شيء ما عدا الخطابة . ولكن كان « هارير » مخطئاً ،فقد اكتشف الجمهور انني خطيباً من الطراز الأول ، وقد قوطع خطابي بالتصفيق الحاد عدة مرات . وعندما دعي المستمعون للتبرع لصندوق الحركة بلغت حماستهم حدها الأقصى فاقاموا على التبرع ودخل على الصندوق حوالي ثلاثمائة مارك ، مما اتاح لنا طبع نشراتنا وتعاليمنا واوراق الدعوة .

لم يقتصر نجاح الاجتماع على هذه الناحية ، فقد كان من جملة الحاضرين بعض الذين حاربت معهم في الجبهة ، فمضوا إلى رفاقهم ورفاقي يصفون انطباعاتهم عن الاجتماع ويشرحوا لهم مبادىء حركتنا واهدافها ، واستطاعوا استدراج الكثيرين لحضور الاجتماعات المقبلة ، ولكنهم ما لبثوا ان انخرطوا في الحزب الجديد . وكانوا اشباناً شجعاناً تشبعوا بروح النظام واخذوا من الخدمة العسكرية شعاراً ممتازاً ان لا مستحيل في الحياة .

وما هي إلا أسابيع معدودة حتى بدأ الحزب يعطي نتائجه الطيبة .

كان أول رئيس للحزب الهر هارير ، صحفياً لا ماً مثقفاً .ولكنه كان يجهل مخاطبة الجمهور واثارة حماسته . وكذلك الهر دركسلر رئيس فرع ميونيخ الذي لم يكن هو الآخر ذا موهبة خطابية . وقد لاحظت عليه الضعف والتردد ، وقد علمت انه لم يدخل الجندية قط ، فاتضح لي سبب افتقاره إلى معالم الرجولة الحقة ، فهو لم يدخل المدرسة الوحيدة التي تنشيء رجالاً يثقون بانفسهم ثقة لا حد لها

كان هارير ودركسلر ضعيفي الثقة بانفسهم وبحركتنا الجديدة . خاصة بما يتعلق بقوة الحركة على سحق كل من يقف في طريق نموها وانتشارها . ان هذه المهمة لجديرة برجال صهرتهم الجندية وحولتهم الى رجال اصلب واقوى.

وأنا كنت جندياً قد نسيت في الجبهة شيئاً اسمه « خطر » أو « مستحيل » ، لأن حركتنا كانت عبارة عن مجازفة خطرة ، فقد كان الماركسيون اسياد الموقف يهاجمون كل من يعقـــد اجتماعات شبيهة بأجتماعاتهم ، فيعتدون على الحاضرين ويزعموا ان المجتمعين قد تحرشوا بهم واستفزوهم . فقد كانوا يكافحون كل اجتماع يجتذب الجمهور ، وكان هذا موقفهم تجاه حزبنا الفتي ، الذي بدأ اجتماعاتـــه بدعوة العمال والمستخدمين . وعندما اطلقنا على حركتنـــا اسم « حزب العمال الالماني » بدأ الماركسيون بمهاجمتنا كما بدا على انصارنا انهم خائفـــون ويفضلون التهرب من الاصطدام مع الحمر خوفاً من الهزيمة . وراح المسؤولون يؤجلون عقد الجمعية العمومية خوفاً من الاصطدام . وكنت انا اعارض هذا التخاذل واطلب منهم قبول التحدي والعمل على استفزاز خصومنا ومحاربتهم بسلاحهم . فسلاح الارهاب لا يحارب بالارهاب . واخيراً فازت نظريتي فعقدنا الجمعيـــة العمومية الاولى بعد أن تهيأ لمواجهة كل الأحتمالات وكان النجاح حليفنا ، فعقدنا عدة اجتماعات متتالية . وقد تكلمت في احد الاجتماعات لمدة ساعه كاملة بحضور حشد كبير من المستمعين. وقد حاولت بعض العناصر التشويش واشاعة الفوضى إلا ان رفاقنا تصدوا لهم واوسعوهم ضربـــاً وطردوهم من قاعة الاجتماع . وتوالت اجتماعاتنا وازدادت استعداداتنا لصد الاعتداءات بنفس العنف الذي يستعمله الماركسيين ، وكان ايماننا قوياً وتعصبنا للفكرة التي بدأت تفتح طريقها قادراً على نقل الجبال من اماكنها .

انصرفنا بعد ذلك الى وضع النظام الداخلي للحزب وقـــد حدثت بعض المناقشات حول القضايا الشكلية كتسمية الحزب مثلاً . بينما انصرفت خلال هذا التنظيم الى مقاومة فكرة قبول بعض الاعضاء الذين يطلقـــوا على أنفسهم اسم « الالمان الشعبيين » . فهؤلاء طبقـــة من المواطنين لا يعادل عملهـــا الايجابي الصفر ، ويتجاوز ادعاؤها الفارغ كل حد . وقد اوضحت لرفاقي ان حركتنا الفتية لن تكسب شيئاً من انضمام رجـــالاً مقدرتهم الوحيدة في انهم

امضوا ثلاثين أو اربعين سنة في خدمة فكرة من الافكار. إذ ان رجلاً امضى اربعين عاماً في خدمة ما يعتبره فكرة دون ان يؤمن لهـــا النجاح المطلوب ، أو على الأقل دون أن يحول دون انتصار خصومها ، هذا الرجل لن يرجى منه أي خير لحركتنا الناشئة . والأمرّ من ذلك ان هؤلاء « المناضلين » العريقين يرفضون الانضمام كأعضاء عاديين ، بل يطلبون مراكز عاليـــة تتناسب و « جهادهم » الطويل .

وأوضحت لزملائي أيضاً ان هذا النوع من السياسيين الخائبين لا يريدون من انضمامهم الى حركتنا خدمة هذه الحركة ، بل يريدون تنفيذ نظريتهم الخاصة بواسطتنا . ولئن يكن بعضهم يتصرف عن جهل مطبق إلا ان بعضهم الآخر يتصرف بناء لخطة مرسومة ولهدف معين . ومن بين هذا البعض نجد فئة تريد محاربة اليهود على الصعيد الديني بينما تدعي ان الحركات الاصلاحية في البلاد يجب ان تقوم على أساس عنصري محض .

لذلك قررت ابعاد هـــؤلاء « العنصريين » فأقترحت تسمية الحزب الجديد « حزب العمال الالماني الوطني الاشتراكي » وهكذا كان ، فأبتعد عنا محترفي السياسة و « المناضلين » الذي يريدون القتال وسلاحهم القلم والورقة . وقد قام هؤلاء بحملة ضدنا في الصحف المؤجورة واليهودية منتقدين شعارنا القائل . « سنرد بعنف على من يحاول ارهبنا بعنف » وادعوا اننا جماعة تمجد القوة ولا تؤمن بالفكر والقيم الروحية .

في بداية العام ١٩٢٠ قررت ان اهيء الى اجتماع كبير رغماً عن الاعتراضات الكثيرة من قبل بعض المتنفذين في الحزب . وكانت الصحف الحمراء قد بدأت تهتم بنا وتحمل علينـــا بعنف ، ونحن بدورنا بدأنا نحضر اجتماعات الماركسيين للتشويش عليهم ، وكان كل واحد منا يأخذ نصيبه من الضرب واللكم ، وقد جعلنا هذا الاسلوب حديث المجتمعات ، وتأكدنا ان « اصدقاءنا » الحمر سيحضرون أول اجتماع كبير لنا ليعاملونا بالمثل .

وبالرغم من تأكدي أن خصومنا سيتغلبون علينا في ميدان اللكم والضرب، لكني كنت على ثقة تامة بان ثباتنا وقوة عزيمتنا ستقوي من معنويات حزبنا في الخارج، فالشعب تبهره القوة والاعمال البطولية. وقد عارض رئيس الحزب هذا الاسلوب فقدم استقالته من رئاسة الحزب فحل محله دركسلر الذي سلمني مهام الشؤون الدعائية، فقررت يوم ٢٤ شباط ١٩٢٠ كيوم الاجتماع الحاسم، واشرفت بنفسي على طبع وتوزيع النشرات الاعلانية، كما حرصت أن تتضمن المبادىء الاساسية للحركة ...

وما ان توزعت النشرات حتى صمم الماركسيون وحزب الشعب البافاري على محاربة الحزب الجديد، وكان الحزب هذا مهيمناً على شؤون الحكم في البلد زاعماً انه ينهج منهجاً قومياً صحيحاً. وقد رأيناه يستخدم قوة البوليس لمصادرة نشراتنا من ايدي الوف العمال الذين ضللتهم الدعاية الماركسية وجعلتهم اعــداء للوطن والقومية.

وقد شذ من الحكام حلفاء الماركسيين اثنان فقط هما: ارنست بوهنر مدير البوليس، ومستشاره الدكتور فريك. هذان الموظفان الكبيران اللذان كانا المانيين قبل ان يكونا موظفين.

في مساء الرابع والعشرين من شباط، دخل على قاعة الاجتماع ما لا يقل عن الالفي شخص. وكان نصفهم على الأقل من الشيوعيين والفضوليين الذين حضروا للتشويش ... وكانت النتيجة عكس ما قرروه.

عندما بدأت خطابي شرع اعداء الحركة في التشويش فقاطعوني عدة مرات، ولكن تصدي بعض الزملاء من ذوي العضلات المفتولة فرض الهدوء نسبياً، وبعد نصف ساعة طغى التصفيق على الهتافات العدائية. وعندما شرحت للحضور منهج الحزب طغت أصوات الاستحسان والموافقة على صراخات الاستنكار. وعندما تلوت على الجمهور المقترحات الخمسة والعشرين اقرها الأعضاء بالاجماع وفي جو حماسي رائع. وهكذا خطبت في مواطنين جمعهم ايمان جديد وارادة

جديدة . وعلمت وانا ارى الناس تتدافع إلى الخارج بعد انتهاء الاجتماع ان حركتنا ستنتشر بسرعة خاطفة في اوساط الشعب الالماني .

ان جمرة قد اتقدت في تلك الامسية من شباط ، ومن لهيبها سيخرج السيف الذي يعيد إلى سيغفريد الجرماني حريته وإلى الأمة الالمانية الحياة .

لقد تراءى لي موكب البعث وهو يتحرك ، وخيل الي ان آله الانتقام قد هب ليمحي عار التاسع من تشرين الثاني عام ١٩١٨ .

..... وتابعت حركتنا سيرها :

الفصل الثاني عشر

في اجتماع ٢٤ شباط وضعت حركتنا المخططات والمبادىء التي ستضع حداً لفوضى الاراء ذات الاهداف الغير قومية . والان بقي ان تنتقل حركتنا الى خطوات جديدة حاسمة توقظ الاحزاب البورجوازية من سباتها العميق .

فعندما تعمد الاحزاب البورجوازية إلى تغيير منهج ما ، يكون هاجسها التودد إلى الناخبين . وبمجرد ان يشعر محترفو السياسة أن الشعب بدأ يبرم بهم حتى يسارع كل حزب يمثلوه إلى بث الخبراء والمنجمين ليبحثوا عن رغبات الشعب ومطاليبه . وعلى ضوء التقارير التي يرفعها الخبراء تعمد الأحزاب إلى تغيير مناهجها أو تعديلها وحتى إلى تبديل مبادئها اكراماً للناخبين . كما لا يخفى عليها أن تضمن في مبادئها الوعود الخلابة للفلاح بحماية انتاجه ، كما تعد الموظفين بزيادة رواتبهم ... وما تلبث هذه الوعود ان تتبخر بعد المعركة الانتخابية ، ويرجع « ممثلوا الأمة » إلى عوائدهم السابقة في خدمة مصالحهم الخاصة فقط .

هذه المهزلة التي تتكرر كل أربع سنوات ، ليست الوحيدة ، فاننا نجد بين المواطنين من يؤمن أن في مقدرة الاحزاب البورجوازية منازلة الاحزاب الماركسية المنظمة وهزمها بواسطة الديمقراطية الغربية ، وقد فاتهم ان الديمقراطيين لن يفكروا في منازلة الماركسيين، بل يتعاونوا معهم إذا كان في ذلك مصلحة لهم. وفي اليوم الذي تبنى فيه البرلمانيون البورجوازيون فكرة الأخذ بمبدأ الاكثرية

البرلمـــانية لضمان الاستقرار المنشود ، أي في اليوم الذي تبنوا مفهوم الغرب للديمقراطية ،عمد الماركسيون واليهود إلى الاستيلاء على الحكم عن طريق الأكثرية ، وذلك بفضل الديمقراطية الغربية ،ومن ثم تخلوا عن هذه الديمقراطية التي أوصلتهم الى سدة الحكم . فالماركسية تماشي الديمقراطية حين تكون عاجزة عن فرض نفسها وتحقيق اغراضها بطرقهـا الخاصة ، وهي اليوم تستعمل هـذه الطريقة في تحالفها مع الاحزاب البورجوازية . ولكنها يوم ان تشعر ان الاكثرية البرلمانية قد ناصبت الشيوعية العداء ، فسرعان ما يتخلوا عن الديمقراطية ويتوجهون الى البروليتاريا وينتقل الصراع من البرلمان الى الشارع، ولا يصعب على الماركسية في هذه الحال ، تصفية حساب الديمقراطية في اسرع وقت. وقد اظهرت الحوادث عام ١٩١٨عقم كل محاولة لوقف الغزو اليهودي بالطرق التي تستعملها الديمقراطية الغربية .

لذلك وجب علينا افهام انصارنا وشعبنا اننا حزب ذو عقيدة وأننا نأبى على الحركة أن تنقلب الى جمعيـة تضم الانتهازيين والوصوليين وقد ركزنا على ايضاح مفهوم الحزب للدولة ، لأن فكرة الدولة قد شوهتها تعاليم كارل ماركس والنظريات المتدفقة من الخارج .

*

اقترح بعض الرفاق على وجوب وضع العنصرية كواحـــدة من الأسس التي يقوم عليها الحزب . ولكنني اعترضت على الاقتراح لأن العنصرية بمفهومها الشائع لا تزال تعبيراً مطاطاً يدل على أكثر من مدلول . ولا تصلح بالتالي اساساً للعمل النضالي المشترك إلا بعد أن نحدد معناهـا بوضوح . واستطعت بعد ذلك اقناع زملائي بجعل العنصرية قاعدة رئيسية بعد أن نتفق على تحديد مهمة الدولة أولاً وتحديد مدلول العنصرية نفسها كمفهوم فلسفي ثانياً .

أن بعض المفاهيم الفلسفية الشائعة تعزو إلى الدولة امكانية الابداع والتوازن، كما أن الدولة هي وليدة ضرورات اقتصادية وسياسية . فهذا المبدأ يؤدي حتماً الى تجاهل القوى البدائية المرتبطة بالعنصر ، والى الاقـلال من قيمة الفرد .

وبديهي ان يخطيء من ينكر وجود فروق بين الاجناس من ناحية امكانيتها للابداع ووضع الأسس الحضارية ، لأن تساوي الاجنـــاس يؤدي الى تساوي الشعوب والافراد . وقد تبنى ماركس هذا المبدأ ليجعله عقيدة سياسية، ثم نمقه وهذبه وجعله منسجماً مع مصلحة ابناء جلدته اليهود .

ان الماركسية هي خلاصة المفهوم السياسي والفلسفي للدولة، لذلك لا يتمكن من مما نسميه « العالم البورجوازي » ، أن يقف في طريقها أو يقلل من نشاطها ، لان العالم البورجوازي هذا قد تشبع هو ايضاً بتلك السموم التي ينفثها كارل ماركس واليهودية العالمية ، والمبادىء التي يعتنقها تختلف اختلافاً بسيطاً عن المفهوم الماركسي . إذن فالبورجوازيون ماركسيون ، ولكنهـم يقولون بأمكانية سيطرة جماعة معينه من الناس (البورجوازية) بينما تهدف الماركسية الى إخضاع العالم كله لسيطرة اليهود .

اما المفهوم العنصري للدولة ، كما حدده حزبنا فيما بعد ، فانه يقيم وزنـــاً للاعراق البدائية ويعتبر الدولة حاملة رسالة الحفاظ على كيان الاجناس البشرية. ولا تعترف العنصرية بتساوي الاجناس ، مما يجعلها تؤيد بقاء الاصلح والأقوى وبالتالي خضوع الضعيف لهما ، وذلك انسجاماً مع المبدأ الارستقراطي للطبيعة .

والعنصرية بتنكرها لمساواة الاعراق تنكر أيضاً تساوي قيم الافراد ، أي انها تنكر حق البقاء لكل عنصر ضعيف وضيع يحاول الاختلاط بالعناصر المتفوقة واضعافها ، لأن عالماً تجتاحه سلالة من الزنوج لا بد له من الاضمحلال بعد أن تتشوه فيه مفاهيم الحق والجمال .

الفصل الثالث عشر

في الدولة

هناك ثلاث نظريات في الدولة :

اولاً : النظرية القائلة أن الدولة ليست إلا تجمع اناس بمحض ارادتهم وخضوعهم لسلطة حكومة من الحكومات .

واصحاب هـــذه النظرية يؤلفون الكثرة . فهم ينادون بمبدأ الشرعية ولا يقيمون أي اعتبار للشعب ، فيكفي أن تقوم الدولة لتصبح مقدسة وقـد يبلغ بهم الحرص على حماية نظريتهم السخيفة هـــذه ، إلى دعوة الناس للتعبد للدولة وسلطتها . فالدولة حسب قولهم ، لم توجد لخدمة الناس ، لذلك وجب على الناس أن يعبدوا سلطتها ، هذه السلطة التي ينفذها اناس مثلهم . وقـد جعلوا المبرر الوحيد لوجود سلطة الدولة ، الحفاظ على النظام والاستقرار ... وقد مثل هذه النظرية في المانيا جماعة المحافظين ، مع الأسف .

ثانياً : نظرية الذين يقولون أن وجود الدولة يخضع لاستيفاء شروط معينة . فالخضوع لسلطة واحدة يجب أن يتبعه وجود لغة واحدة للسكان . ويقولون أن سلطه الدولة ليست المبرر الوحيد لوجودها ، إذ يجب عليها أن تؤمن للمواطنين الازدهار والرفاهية ، لذلك لا يطلب احاطة الدولة بهذه القدسية طالما هي

موجودة . وخلاصة القول ان اصحاب هذه النظرية يريدون من الدولة ان تعطي الحياة الاقتصادية شكلاً يتلاءم مع مصلحة الفرد . وهذه النظرية ممثلة عندنا في البورجوازية المتوسطة .

ثالثاً : نظرية الذين يرون في الدولة وسيلة لبلوغ اهداف استعمارية أو توسعية غير واضحة المعالم . فهؤلاء يطالبون بانشاء دولة شعبية متحدة العناصر ، ذات لغة مشتركة ، باعتبار أن وحدة اللغة تساعد على توجيه الفكرة القومية توجيهاً معيناً .

في القرن الماضي توسع بعض المفكرين في تفسير الحركة الجرمانيـة ، ولا أزال اذكر الجدال الذي قام بين صحيفتين في فينا حول اهداف الحركة الجرمانية وامكاناتها . فقد ذهبت احداهما إلى القول انه من الممكن « جرمنة » الصقالبة من ابناء البلاد . ولكن الخطأ في هذا القول هو ان « الجرمنة » يقصد بها جمـع الجرمان في دولة واحدة . أما الجرمنة المقصود بها التوسع ، فهذه تطبق على الأرض وحدها لا على الناس . الا يبدو سخيفاً من يقول أن بالامكان « جرمنة » صيني أو زنجي بمجرد تعليمه اللغة الألمانية ؟ أن هذا النوع من الجرمنة ، أي عن طريق اللغة ، يعطي نتائج عكسية لانها تقضي باختلاط الألمان الحقيقيين بالاجناس الوضيعة التي ليس لها من خصائص الجرمانية إلا اللغة . . فالقومية ، أو بالأحرى ، فالعرق هو مسألة دم لا مسألة لغة .

ينبغي لنا ، في هذه المناسبة ، أن نغبط أنفسنا على فشل « الجرمنة » التي أراد جوزيف الثاني تطبيقها في النمسا . فلو نجح في مخططه لادى ذلك إلى بقاء النمسا على قيد الحياة ، وبالتالي ادت هذه المحاولة إلى انخفاض مستوى الأمـة الألمانية لتخالطها مع اقوام هم أدنى منها بمراحل .

لم ننسَ ما كان من أمر اليهود الذين هاجروا إلى اميركا على أنهم المان باعتبارهم يتكلمون اللغة الالمانية ، فقد حسبهم الاميركيون علينا ، ولما ضاقت ذرعاً بهم شملت تدابيرها الألمان الحقيقيين .

*

أن النظريات الثلاث التي شرحناها تتجاهل اهمية العرق كأساس ترتكز عليـه القوى المبدعة والقيم ، كما تغفل الدور الهام الذي تقوم به الدولة في حفظ العرق ورفع شأنه . فالبورجوازية بتجاهلها اهمية العرق ودور الدولة فيه فتحت الطريق أمام العقائد والمذاهب السياسية واهمها المذهب الذي ينكر وجود الدولة . لذلك فالمعركة التي تقودها ضد الماركسية هي معركة خاسرة حتماً ، لأن خصمها اكتشف نقاط الضعف وراح يحاربها بالسلاح الذي وضعته في متناوله .

لذا وجب على الحزب الجديد ، ما دام يعمل على صعيد المفاهيم العنصرية ، ان يبدأ بتعريف الدولة وتحديد مبررات وجودها ، كما ان المبدأ الاساسي الذي يجب ان يعرّفه هو أن الدولة وسيلة لا غاية ، واعتبارها سبباً من مسببات الحضارة ، دون ان تكون المبعث الوحيد لهذه الحضارة . ذلك انه لا يمكن ان نتصور حضارة قابلة للاستمرار دون وجود العرق المتفوق القادر على خلقها ودعمها. ويمكن القول أن وجود الدول لا ينتفي معه احتمال زوال الجنس البشري في حال زوال من يمثل العرق المتفوق ، مؤسس الحضارة المثلى ، لأن زوال هذا يفضي حتماً الى تجريد البشرية من طاقة المقاومة والاحتمال وموهبة الخلق .

لنفترض ان زلزالاً ضرب الارض ومن فيها، وقضى على معالم الحضارة كلها. ولكن صدف أن نجت بضعة كائنات بشرية تنتمي الى عرق متفوق ، فإنها لا لا تلبث أن تستأنف الخلق والابداع وتنشيء حضارة جديدة ترجع بالارض الى وضعها السابق . ولدينا من أمثلة التاريخ ما يؤكد أن الدول التي وضع أسسها عرق غير مؤهل ، تعجز عن الصمود في وجه الزعازع .

لذلك فالشرط الاساسي لبقاء الشعب المتفوق هو بقاء العرق ذو المواهب المبدعة ، لا بقاء الدولة. فالمواهب تكمن في الاعراق بأنتظار الفرص المناسبة لتبرز ، وهكذا كانت حالة الجرمان قبل النصرانية . فالقول ان الجرمان كانوا برابرة لا يستند الى الحقيقة والواقع ، لأن المنـــاخ في المناطق الشمالية التي

سكنها الجرمان فرض عليهم نوعاً معيناً من الحياة كان سبباً في تأخير نمو طاقتهم المبدعة ، ولو انهم سكنوا المناطق الجنوبية ووجدوا العتاد البشري الذي تقدمه الاعراق الوضيعة لتمكنوا بفضل طاقة الابداع الكامنة فيهم من ايجاد حضارة تفوق حضارة الاغريق .

يستخلص مما ذكرنا المبدأ الاساسي التالي :

الدولة هي الواسطة لبلوغ الغاية والغـاية هي الحفاظ على جماعة من الناس ينتمون روحياً ومادياً الى عنصر واحد . ويترتب على الدولة بالاضافة إلى توفير أسباب النمو لهذه الجماعة ،أن تعني بالمحافظة على مميزات العرق لأن بقاء هذه المميزات ضروري لتنمية المواهب الكامنة في هذا العرق .

فالدولة العنصرية التي نطالب بها ستكون مهمتها الاولى السهر على بقاء ممثلي العرق البدائي الذي قدم للعالم حضارة من اسمى الحضارات واجدرهـا بالبقاء ونحن كاريين نفهم الدولة انها جهاز يوفر للشعب مقومات وجوده وينمي مواهبه. أما الدولة التي يريدون فرضها علينا هي ثمرة افدح الاخطاء البشرية . ولا نجهل ان خصومنا جادين في عرقلة مساعينا. ولكن لن نلتفت لما يقولونه لجيلنا هذا ، لأننا نقصد بحركتنا هذه الأجيال المقبلة التي ستباركهـا وستقدر اهميتها العظمى .

*

على ضوء هذه المبادىء والنظريات التي قدمناها يمكننا نحن الوطنيين الاشتراكيين أن تجعل من الدولة ما يفترض بها ان تكون، وان نقيس مدى نفعها من خلال مصلحة البشرية كلها .

ان الدولة تمثل شكلاً أو هيكلاً ، فإذا اصبح الشعب ذو شأن كبير في ميدان العلم والفن والحرب وغيره ... فهذا التقدم لا يصلح مقياساً لنفع الدولة التي تحضنه . لا شك ان شعباً ذا مواهب هو اقدر على الظهور بمظهر لائق من قبيلة زنجية مثلا . ومع ذلك فربما تكون الدولة التي ينشئها هذا الشعب اسوأ حالاً

من القبيلة الزنجية . فالدولة تقضي على العرق الذي أوجد الحضارة اذا هي سمحت أو كانت السبب في زوال مواهبه المبدعة وقدرته على الخلق .

وعلى هذا الأساس تقدر قيمة الدولة بمقدار النفع الذي عادت به على شعبها . فعندما نأتي على ذكر رسالة الدولة ، فهذه الرسالة هي التي يضطلع بها الشعب، أما هي فمهتها الاساسية تنحصر في توفير أسباب النمو لهذا الشعب . فاذا قلنا نحن الألمان : كيف يجب أن تكون الدولة التي تحتاج اليها امتنا ؟ تعين علينا توضيح نقطتين: من هم المواطنون الذين يجب ان تضمهم الدولة ؟ وما هي الأهداف التي يجب ان تعمل لها ؟

اسارع إلى القول أن شعبنا الالماني لم يبق له العرق المتجانس أساساً ، فالاندفاع الذي تم بين العناصر البدائية لم ينبثق عنه عرقاً جديداً . فالاختلاطات المتتالية التي سببت تعكير دم شعبنا ، سببت بالتالي انحلال الشعب الالماني روحياً وجسدياً . ذلك أن حدود وطننا المفتوحة ، والتماس المستمر مع اجهزة سياسية غير المانية على طول مناطق الحدود ، ودخول الدم الأجنبي، فهذا التجدد المستمر لم يتح الوقت الكافي لتحقيق الاندماج الكامل الذي يجب ان ينبثق عنه عرق جديد . وترتب على هذا النقص انعدام التجانس بين السكان .

ان ما يسمى عندنا « الفردية المبالغ بها » هي نتيجة التجاور بين السكان دون التوصل إلى الاندماج فيما بينهم . وربما كان لهذا التجاور المتحفظ بعض المزايا اثناء السلم ، ولكنه يصبح وبالاً على الأمة اثناء الحرب . ولو تكاتف الشعب الالماني في تاريخه الطويل لاستطاع الرايخ الألماني ان يسود العالم .

وقد ترتب على افتقار شعبنا إلى اللحمة التي يوفرها الدم الواحد ، قيام عواصم للعديد من صغار الأمراء الالمان وحرمان الشعب من حقوقه الأساسية كسيد ، وفي ايامنا الحاضرة يعاني شعبنا الأمرين من جراء هذا النقص . ولكن ما كان سبب شقائنا قد يصبح مصدر خير وبركة في المستقبل ، لان فقدان هذه اللحمة بين العناصر البدائية التي كانت تؤلف عرقنا ، يقابله لحسن الحظ بقاء دم فريق

من الألمان سليماً طاهراً ، مما يشكل ضمانة لمستقبل شعبنا . وزيادة في الايضاح اقول : ان الأمتزاج الكامل بين العناصر البدائية سيؤدي ، لو تم ، إلى نشوء شعب قادر على التطور ، ولكن الحضارة لن تظهر بالمظهر الذي يمكن ان تظهره على ايدي العناصر الممثلة للعرق المتفوق ، الذي أبتدع الحضارة . لذلك ولحسن الحظ بقي في شعبنا قوى احتياطية تتمثل بابناء العنصر الجرماني . قوى حافظت على نقاء دمها وطابعها المميز ، مؤلفة نواة صالحة لاجيال تتمكن من النهوض بشعبنا ودفعه إلى عجلة التقدم .

*

أن عهد الجمود والاتكال واللامبالاة ،سيتبعه عهد من النضال الشاق والكفاح المرير . فالنصلة التي لا تستعمل يتآكلها الصدأ ، ومن يطلب النصر عليه بالهجوم لانه الطريق المؤدي للنصر .

ان الصعاب التي تنتظرنا في كفاحنا من أجل نشر مفهومنا الجديد للدولة ، تكمن في عدم وجود مناضلين يثبتون معنا في الكفاح الطويل. فمجتمعنا هرم لا همّ له إلا الابقاء على الحالة الراهنة ... لكن الصعاب والعقبات ستقوي من همتنا لأنها تبرز عظمة الرسالة التي نحملها . وستكون الدعوة إلى الحرب الاشارة التي يترقبها المناضلون . وليعلم الوطنيون الاشتراكيون أنه متى اتحد عدد من الرجال متصفين بصفات العزم والقوة واضعين أمام أعينهم هدفاً معيناً ، فلن يلبث هؤلاء الرجال أن يمسكوا بزمام القيادة . فالتاريخ صنعته النخبة ، وهي الأقليه .ففي كل مرة كانت الأقلية العددية مجسدة للارادة والجرأة .

والطبيعة بدورها تتدخل لتصحح نتائج الاختلاطات التي تعكر نقاء الأجناس البشرية ، فهي لما ترحم المخضرمين ولاسيما السلالات الأولى حتى الجيل الخامس، وتجردها من المميزات التي كانت للعنصر البدائي المتفوق الذي كان شريكاً في الاختلاط . ناهيك بما يترتب على انعدام وحدة الدم من تضارب بين الارادات والقوى الحيوية . ففي الظروف الحرجة يتخذ الانسان ذو الدم الصافي قرارات

حكيمة ومنسجمة ، أما المخضرم فانه يفقد توازنه والسيطرة على اعصابه ، وينتهي به الأمر إلى الخضوع للانسان ذي الدم الصافي ، ويكون في الغالب عرضة للزوال السريع .

وفي بعض الحالات تضطر بعض الشعوب المتفوقة إلى الأختلاط بشعوب وضيعة . ولكن ما أن تزول هذه الحالات الأضطرارية حتى تميل العناصر السليمة إلى الأختلاط بشكل ترضى عنه الطبيعة :الاختلاط بين الدم الواحد ، فلا تلبث سلالات المخضرمين ان تقف على الهامش ، فتصبح مقاومتها مستحيلة .

لذلك وجب على الدولة الجرمانية ان تمنع كل اختلاط جديد، وعدم الالتفات الى الدعوة اليهودية الماركسية التي تطلب ازالة الحواجز الفاصلة بين الاجناس ، وعدم الالتفات الى احتجاج انصار الاختلاط على المساس بحقوق الانسان المقدسة . فالانسان له حق مقدس واحد هو السهر على بقاء دمه نقياً طاهراً ، ليتمكن من صون الحضارة ومقوماتها . وعلى الدولة العنصرية أن ترفع مستوى الزواج لتعيد إليه قدسيته كمؤسسة تهدف إلى خلق كائنات على صورة الله ومثاله ، لا مسوخ تشبه القرود .

ان البورجوازيين يعترضون علينا لأننا نطلب منع التزاوج بين المصابين بالامراض الزهرية ، وذوي العاهات ... ولكنهم في نفس الوقت لا يمانعون في استعمال الوسائل التي يستعملها الاصحاء لمنع الحمل ولإتلاف الزرع البشري .

والاغرب من ذلك ان الكنيستين الكاثوليكية واللوثرية تتذمران من موجة الالحاد العاتية ، ولكنهما لا تعملان لوقف هذه الموجة ، بل تلتفتان الى الزنوج محاولة افهامهما اشياء لا يمكنهم فهمها ... فلو تركت الكنيستان الزنوج وشأنهم لتفهما الشعب انه من الافضل عند الله ان يقوم الضعفاء وذوي العاهات بتبني الايتام بدلاً من خلق اولاد مرضى وضعفاء يكونون عالة عليهم وعلى امتهم .

يتحتم على الدولة العنصرية ان تسد هذا النقص بجعل العرق محور حياة الجماعة ، ساهرة على بقائه نقياً . وعليها ان تجعل من الولد اثمن ما في حوزة

الشعب ، وان تحصر حق التناسل بالاصحاء فقط . بل يجب ان تعلن ان التزاوج بين المرضى وذوي العاهات هو فعل منكر ، وأن انبل عمل يقدمونه هو عدم التناسل . وفي نفس الوقت يجب على الدولة ان تعاقب كل من يتمتـــع بصحة جيدة ويستعمل طريقه منع الحمل .

نعم ، يجب على الدولة أن تتدخل ، فتدخلها هـــذا هو لمصلحة الشعب ومستقبله . وعليها ان تستخدم الطب والعلم لمنع تناسل غير المستحقين وغـــير المؤهلين، فتجردهم من القدرة على التناسل. كما ينبغي عليها أن تضع حداً لتحديد النسل بين العائلات الفقيرة التي تخشى تعدد الاولاد وذلك بتشجيع الاقوياء منهم عملياً . فيطمئن المتزوجون إلى مستقبل أولادهم دون هموم وهواجس .

الا تعتبر جريمة بحق المجتمع أن ينقل المريض امراضه إلى ذريتـــه ؟ فعلى الدولة ان تفهم الفرد أن كون الانسان مريضاً ليس عيباً ، انما هو محنـــة تثير الشفقة ، ولكنه يتحول الى جريمة يوم يورث المريض داءه او عاهته إلى مخلوق آخر بريء لا ذنب له . فالبشرية تتمكن من انقاذ نفسها ان اعتمدت هـــذا الاسلوب لبضعة قرون .

يمكن للدولة خلق عرق سليم خال من العاهات ، ان هي اخضعت الاقاليم المكتسبة حديثاً لشروط مدروسة ، وانشأت لجاناً خاصة تقـــوم بالترخيص للأفراد بإنشاء مستعمرات ضمن هذه الاقاليم . ولا يعطى الترخيص إلا لمن يثبت انتماؤه الى العرق المؤسس للحضارة كما يثبت بقاء دمه نقياً طاهراً . وبذلك تقوم المستعمرات النموذجية على سواعد اشخاص يمثلون العنصر المتفوق ويتحلون بصفاته الفريدة ، ويؤلفون النواة الصالحة لشعب جديد .

يبقى على الدولة العنصرية توفير المناخ لنمو الجيل الجديد ، وعندها يكف الناس عن الاهتمام بتحسين نسل الخيل والكلاب ، لينصرفوا إلى تحسين النوع البشري ، وبذلك يبلغ المجتمع حـــداً من الرقي لا تحتاج معه الدولة إلى فرض الرقابة على عملية التناسل ، فغـــير الصالحين سيمتنعون من أنفسهم ، والصالحون يضطلعون بها بأخلاص تام .

يبدو هذا للقطيع البورجوازي حلماً صعب التحقيق . لأنه ليس هناك من شاغل لهم إلا الاهتمام بالمكاسب ، وليس لهم من معبود سوى المال ... ونقول لهم حين يقلبوا شفاهم مرتابين لهذه النتيجة نقول أليس هناك الآف من الرجال والنساء نذروا أنفسهم للشرائع الدينية ، ممتنعين عن التناسل فارضين على أنفسهم التبتل ؟ فلم لا يكون هذا ممكناً بالنسبة للمواطنين الغير صالحين للتناسل حين يحل محل تعاليم الكنيسة ووصاياها انذار توجهه الدولة إليهم تفرض عليهم وضع حد للخطيئة الاصلية الحقيقية ، وان يمجدوا الخالق القادر بسلالات تكون على صورته ومثاله ؟

*

متى علمنا ان أول واجب للدولة هو المحافظة على افضل عناصر العرق وتوفير المناخ الملائم لنموه ، يتبين لنا ان مهمة الدولة التالية تكون في تربية النشء تربية تتيح له في المستقبل المساهمة في رفع مستوى الجماعة . وغني عن القول ان أول اهداف التربية يجب ان تكون في المحافظة على صحة الافراد . ففي معظم الحالات نجد ان العقل السليم في الجسم السليم .. والدولة العنصرية التي تدرك هذه الحقيقة ستعمل على اعطاء الامة اجساماً سليمة قوية أما التعليم وحشو الادمغة فيأتي بالمرتبة الثانية .

يجب على الدولة العنصرية ان تنطلق من المبدأ التالي : الرجل السليم الجسم القوي الارادة ، المقدام ، هو العضو النافع للمجتمع . والرجل المحدود الثقافة انفع من رجل ذي عاهة مهما بلغت مواهبه العقلية . كما ان شعباً من العلماء الضعفاء جسدياً ، الضعفاء الارادة ، المبشرين بسلام مثبط للعزيمة – ان شعباً هذه صفاته يعجز حتى عن توفير ما يكفل بقاءه على هذه الارض وفي الجهاد الذي يحتمه علينا القدر لن ينهزم القوي جسدياً ، وإنما الخاسر المهزوم هو الذي يستمد من معرفته وعلومه قرارارت غير مجدية ، بل بعيدة عن روح الرجولة وينفذها بطريقة تثير الشفقة .

يجب ان يكون هناك انسجاماً بين الماديات والمعنويات ، فالجسم المصاب بمرض الجذام مثلاً ، لن يعيد إليه الاشعاع الفكري جمـــاله ونضارته .

ان العناية بتقوية الاجسام هي من أولى خصائص الدولة العنصرية ، وذلك لأرتباطها الوثيق بصيانة العرق أو الشعب الذي تمثله هذه الدولة وتحميه. لذلك يجب على الدولة الاعتناء بالنشء الجديد وتقوية اجسادهم منذ الطفولة ، وذلك بأرشاد الامهات بطريقة عملية لينموا ويترعرعوا في أحسن الحالات. كما يتوجب على المدارس الاعتناء بالرياضة البدنية ، لأن التمارين الرياضية تنشط الجسم والعقل معاً. ولا يجوز ان يمر يوم دون ان يمارس الفتى مختلف انواع الرياضة لمدة ساعتين يومياً على الأقل . وهناك رياضة هامة هي الملاكمة ، هذا النوع من الرياضة الذي يعتبره « العصريون » نوعاً من البربرية . فالملاكمة تنمي روح الكفاح وتروض العقل على التصميم والتنفيذ بسرعة خاطفـة ، كما تجعل الجسم صلباً دون أن يفقد شيئاً من مرونته . فالرجل الذي يحرص على كرامته يجب ان يدافع عنها بقبضة يده ، ولا يقبل على نفسه بأطـــلاق ساقيه للريح إلى اقرب مخفر ليشكو أمره إلى الشرطة ... أن مهمتنا خلق رجـال اقوياء يتحلون بالجرأة والاقدام ، ونساء مؤهلات لأعطاء الوطن رجالاً حقيقيين .

فلو مارست الطبقات العليا الرياضية البدنية إلى جانب الدرس والتحصيل ، لو أنها مثلاً مارست الملاكمة الى جانب الرقص ، لما تمكن الخونة من اشعال نار الثورة في المانيا ، لأن الثورة لم تنجح بفضل شجاعـة واقدام القائمين بها ، وإنما نجحت لأن الحكام كانوا جبناء مترددين. فقد واجهوا قبضات المخربين واسلحتهم بالاسلحة الفكرية ، وقد تغلبت الغوغائية لأن معاهدنا انشأت رجالاً موظفين وكتاب واساتذة ولم تنشىء رجالاً شجعان .

أن التربية البدنية لا تصنع العجائب ، فمن كان جبانـــاً اصيلاً لن تتمكن الرياضة من جعله شجاعاً جسوراً ، ولكن الشجاعة لوحدها لا تكفي بل يجب

ان ترافقها القوة البدنية . وقـــد ادركت قيادة الجيش هذه الحقيقة وعملت على ضوئها ، فمهرت البلاد في السلم بجيش شجاع رابط الجأش قادر على تحمل المشاق، وقد رأينا جيشنا البطل في صيف عام ١٩١٤ ينطلق لملاقاة الموت كأنه ذاهب الى حفلة عرس .فهذه الثقة بالنفس هي ثمرة التربية البدنية التي تنمي الشخصية وتبلورها ولاسيا الشجاعة وروح النضال .

ما احوج شعبنا اليوم إلى هـــذه الثقة بالنفس ! أن الدولة العنصرية ستربي النشء على فكرة أن شعبنا متفوق على سائر الشعوب، وستعيد اليه ايمانه بمقدرات وطنه والثقة بمستقبل أفضل .

*

لن يكون اهتمام الدولة العنصرية مقتصراً على انمـــاء القوى الجسمانية بل سيكون الأهتمام ملاحقاً للنشء ما دام هو بحاجة اليه . فنحن اليوم نلاحظ اهمال الدولة لشؤون التربية . فالشبيبة تتردى في مهاوي الرذيلة ، فلا تجد من يردعها ويعني بتربيتها خلقياً وجسدياً .

فعلى الدولة العنصرية أن تكلف مؤسسات خاصة تابعة لها للقيام بمهمة التربية البدنيه ، بحيث تكون هذه التربية كمرحلة اعدادية تؤهـــل الشبيبة للالتحاق بالخدمة العسكريه ، بحيث لا يتطلب من الجيش اعادة انماء قواهم الجسدية ، بل يتلقاهم بصفته معهداً للتربية القوميـــة . فيتخرج الشاب من مدرسة الخدمة العسكرية حاملا شهادتين : شهادة المواطن التي تتيح له الحصول على وظيفة ، وشهادة صحية تثبت صلاحيته للزواج .

وهذا سينطبق أيضاً على الاناث ، وستكون غاية التربية النسوية اعـــداد الفتيات للاضطلاع بدورهن العظيم يوم يصبحن امهات الغد .

*

بعد التربية الجسمانيه يأتي دور التربية الخلقيه :

لا شك أن بعض الطباع ثابتة لا تتغير . فالاناني يبقى انانياً والمثـــالي يبقى مثالياً ، وهناك ملايين الطباع المائعه التي لا تستقر على حال .

فالمجرم بالفطرة يبقى على إجرامه ، ولكن ربما تمكن المجتمع من إصلاحه وجعله عضواً نافعاً . وهناك طباع مائعة تتطور لتصبح شريرة ، إذا لم يتعهدها المجتمع بالتربية اللازمة . وكثيراً ما تذمرنا ونحن في الجبهة من نزعة متأصلة في شعبنا وهي الثرثرة . فكان الرؤساء يلاقون صعوبة كثيرة لمنع تفشي الاسرار العسكرية للعدو ، وذلك بسبب ثرثرة بعض الافراد من شعبنا . فهل فكر المربون ، يوماً ما ، في إفهام النشء الجديد أن الثرثرة عيب كبير ، وان الكتمان هو فضيلة يتصف بها الرجال الأفذاذ .

إن المربين يعتبرون هذه القضية تافهة ، ولكنهم لو فكروا قليلاً لظهر لهم ان تسعين بالمئة من قضايا القدح والذم والافتراء ناجمة عن الثرثرات الفارغة ، كما ان المصالح الاقتصادية تتضرر باستمرار لأن الثرثارين يفشون أسرار الصناعات ، وحتى الأسرار العسكرية لم تسلم من ثرثرتهم ، فترتب على ذلك خسارة معارك كثيرة .

ولا يغربن عن بالنا انه من المستحيل تقويم الخلق المعوج بعد أن يكتمل المرء نضوجه . لذلك يجب أن تبدأ التربية في البيت حيث يتولاها الآباء والأمهات ، ثم المدارس .

اما اليوم فلا نجد أي اثر للتربية الخلقية في مدارسنا . ولكن الدولة العنصرية ستعطي هذه الناحية اهتمامها الزائد فتعلم النشء الجديد أن الإخلاص ونكران الذات والتحفظ فضائل يجب أن يتحلى بها كل شعب عظيم . كما ستدعو المربين الى تدريب التلاميذ على تحمل الألم والظلم بصمت ورباطة جأش ، لكي تجعل منهم في المستقبل جنوداً ثابتي الجنان ، قادرين على أداء واجبهم في أشد الظروف وأقسى الحالات .

★

سيكون من مهام التربية في الدولة العنصرية العمل على تنمية قوة الإرادة وروح الإقدام ومواجهة المسؤوليات .

في الماضي كان الجيش يأخذ بالمبدأ القائل : « الأفضل للقائد أن يصدر أمراً

ما ، بدلاً من أن يحجم عن إصدار الأوامر . » وفي أيامنا يجب إفهـام النشء ان الخوف من تحمل المسؤولية هو الذي عجـل بكارثة ١٩١٨ . ففي كانون الأول من العام المذكور ، أحجم الجميع بما فيهم السلطات عن تحمـــل المسؤوليات ، وتركوا ممارسة صلاحياتهم ، كما تركوا الزمام يفلت من أيديهم . واليوم نجـــد أنفسنا عاجزين عن إبداء أية مقاومة لا لأننا لا نملك السلاح ، بل لأننا لا نملـك الإرادة الحسنة . ألم يقل أحد القادة العسكريين : « أنا لا أقدم على خطوة ما لم أضمن لها نسبة ٥١ بالمئة من النجاح . » فهذا القول يعطينا فكرة واضحة عمـــا وراء الكارثة وانهيار ألمانيا . فالذي ينتظر من الأقدار أن تضمن له النجاح، لن يكون له أي فضل في هذا النجاح ، وبالتالي يكون آخر من يعتمد عليه .

إن ضعف الإرادة والتهرب من المسؤوليات مبعثه سوء التربية وفسادالأسس التي تقوم عليها . وهذه العيوب نجدها في الذين قاموا للاضطلاع بمهمة القيادة من حكام وبرلمانيين وعسكريين ورؤساء أحزاب .. ولكن الدولة العنصرية ستولي هذه الناحية اهتمامها البالغ وستضع أمامها هدف تحرير الشعب الالماني من هـذا الضعف الذي كان من جملة أسباب انهيار المانيا .

* * *

وستدخل الدولة العنصرية تعديلات ثلاثة على التعليم هي :

أولا : نظام التعليم . ففي أيامنا هذه نجد التلاميذ مرهقين من جراء حشو أدمغتهم بالمعلومات التي لا فائدة منها ، والتي لا يلبث التلميذ أن ينساهـا ، وإذا علق في ذهنه شيء منها فلن يفيده في المستقبل .

يقول أنصار هذا الأسلوب ان المعلومات التي يتلقاها التلميذ تنمي فيه موهبة التفكير والملاحظة . وهذا صحيح الى حد ما ، ولكن هذا السيل من المعلومات تغرق دماغ التلميذ فـــلا يتمكن من الاستيعاب ولا يبقى له شيء من المقـدرة على التفكير والملاحظـــة . لذلك وجب على الدولة العنصرية أن تعطي لكل مواطن قدراً كافياً من المعلومات تفيده وتؤهله لخدمة المجتمع .

ما هي الحكمة من فرض تعلم اللغات الأجنبية، علماً ان بضعة ألوف فقط من

الملايين الذين يتعلمونها يستفيدون منها في المستقبل ، أما سائر المواطنين فـــلا . أليس من الأفضل تخصيص هذه الساعات التي يمضيها التلميذ في تعلم اللغة الانكليزية والاسبانية والفرنسية والاستعاضة عنها بالألعاب الرياضية ؟ وبنفس الوقت جعل تدريس اللغات الاجنبية اختيارياً ؟

كذلك على الدولة العنصرية أن تبدل من المنهاج التعليمي لمادة التاريـــخ . فالتلميذ لا يعلم من الأحداث سوى تاريخ حدوثها ومكان حدوثها وأبطالها . وقد كان لجهلنا التاريخ الباعث على فشل سياستنا الخارجية لأنـــه لا ينتظر من رجل دولة أن ينجح في معالجة القضايا الدولية، إذا كان جاهلا الخطوط الكبرى للتاريخ .

إن التاريخ الذي يجب أن يتعلمه المواطن هو الذي يظهر الاسباب والعوامل. فالمقصود من دراسة التاريخ استخراج العبر منه لا معرفته فقط... وستجعـــل الدولة العنصرية من التاريخ غاية لتعليم الالمان ما ينبغي لهم ان يعملوه لبنـــاء مستقبل أفضل . وستعمـــل على وضع تاريخ شامل تحتل فيه المسألة العنصرية المقام الأول .

ثانياً : تعنى المناهج التعليمية في ايامنا هذه عناية خاصة بالرياضيات والعلوم. فهذه المواد لها أهميتها في عصرنا هذا ، ولكن لا يجوز التركيز عليها وإهمـــال المواد الاخرى كالتاريخ والجغرافيا والآداب ... وعندي أن تكون هذه المواد هي المواد الأساسية . وإذا أراد الطالب بعد ذلك أن يتخصص في فن من الفنون فله الاختيار .

ثالثاً : العزة القومية ، وهذا يجب إدراجه في المناهج التعليمية لدى الدولة العنصرية . فالتاريخ الشامل وتاريخ الحضارة يجب أن يتجـــه هذا الاتجاه . فالمؤرخ في الدولة العنصرية لن يقدم المخترع على انه رجل عظيم إلا لأنه يمثـــل

شعبه . وعليه أيضاً أن يسلط الاضواء على نوابغ شعبنا لتمتلىء صدور المواطنين بالفخر والاعتزاز ، حتى اذا تخرجوا من مدارسهم عملوا لوطنهم مضيفين أمجاداً جديدة إلى الأمجاد السابقة .

وأخيراً ستبلغ الدولة العنصرية غايتها كمعلم ومربٍّ يوم تخلق في قلب النشء فكرة العرق ، بحيث لا يترك مقاعد الدرس شخص إلا وقد اقتنع ان نقاء الدم هو ضرورة حيوية .



هتلر والنازية

الفصل الرابع عشر

الدولة وتنشئة النخبة

سأبدأ هذا القسم بالتشديد على أهمية الدور الذي ستقوم به الدولة العنصرية في تنشئة النخبة أو الصفوة .

في أيامنا هذه لا يقام اي وزن للاستعداد الشخصي. فالتحصيل العالي مقتصر على أبناء الاغنياء والامراء وكبار رجال الدولة. ومن النادر أن نجد في الجامعات طالباً أبوه فلاح ، وإذا وجد وكان متفوقاً فأبواب الوظائف المرموقة ستقفل بوجهه لأنها محفوظة لأبناء الوزراء والسياسيين والنبلاء والأغنياء . وهناك حقل واحد تتساوى فيه المواهب ، وهو حقل الفنون ، أما المال فليس له أي تأثير لأن الموهبة لا تشترى ولا تباع .

أنا لا أقول بوجوب جعل التحصيل الجامعي او الاختصاص في متناول الجميع ، فالنخبة تفرض نفسها على المجتمع ، لأن ما تبدعه هو ثمرة زواج الكفاءة والمعرفة . فمثلاً يمكننا أن ندرب رجلاً عادياً ذا استعداد عقلي متوسط على استيعاب معلومات تفوق طاقته ولكن شأنه يبقى شأن الحيوان المدرّب ، فيقوم بحركات آلية مستقلة عن النشاط العقلي .

أجل فبواسطة التدريب العقلي يمكننا إعطاء الدولة جيشاً من الموظفين الذين يصرفون الاعمال تصريفاً آلياً ، وأن نتيح لكل بيت أن يقدم عالماً . ولكن العلم الذي يستوعبه العقل ، الغير مؤهل ، استيعاباً آلياً يبقى مادة ميتة ، فالمواهب المولدة يصقلها الاكتساب ويستفزها للعمل ولكنه لا يوجدها... فمثلاً نجد في الصحف الفنية صوراً لزنوج اشتهروا في فن الموسيقى أو برزوا في الطب أو السياسة أو تفوقوا على البيض في الملاكمة أو السباحة. فيقوم من بين المفكرين من يعرب عن سروره بهذه النتيجة التي أعطتها نظم التعليم الحديثة. أما اليهودي الخبيث فيجعل من هذه الظاهرة سنداً لنظريته التي يحاول عبثاً فرضها: المساواة بين الناس !

لو عادت البورجوازية المنهارة إلى عقلها ، لوجدت ان هذا العمل هو تحدٍّ لمشيئة الخالق في ترويض نصف قرد بحيث يصبح طبيباً ، بينما هناك ملايين من أبناء العرق المتفوق لا يجدون عملاً يؤمن لهم قوت يومهم ، ويتيح لهم وضع مواهبهم في خدمة الحضارة . ففي اميركا الشمالية ازداد عدد الاختراعات زيادة كبيرة خلال العشر سنوات الأخيرة ، لأن التحصيل العالي كان مقتصراً على المؤهلين للخلق والابداع ، ذلك ان موهبة الاختراع تجد في المعرفة حافزاً ومنشطاً ، ولكن العلم بدون المواهب الطبيعية يبقى عاجزاً عن العطاء، عقيماً

لذلك ، يجب على الدولة العنصرية أن تبحث عن أصحاب المواهب وتعهد اليهم بالمهام الرئيسية ، وبالتالي يجب عليها أن تفتح أبواب التحصيل العالي لأصحاب المواهب بغض النظر عن مستواهم الاجتماعي . فهناك أكثر من دليل على عظمة المشروعات التي قام بها نابغون من أبناء الشعب . ناهيك عن العواقب التي تنجم عن استئثار طبقة معينة بالعلوم العالية . فقد نتج عن هذا الاستئثار ظهور طبقة من المفكرين مقفلة منطوية على نفسها تأنف من الاختلاط بالشعب، مما يجعلها بعيدة عن الاحساس بقضاياه ، عاجزة عن تفهم مشاكله ونفسيته . يضاف الى ذلك ان حصر العلوم العالية بطبقة الأغنياء والنبلاء أدت إلى تسليم مقدرات البلاد لفئة من الرجال تنقصهم الجرأة والتضحية ، غير قادرين على

مواجهة الأحداث الصعبة .

لقد كان من سوء حظنا ، اضطرارنا إلى خوض معركة الحيـاة أو الموت في وقت كان فيه مستشار الرايخ فيلسوفاً . فلو قدر لألمانيا أن يتولى زمام الامور فيها رجل من أبناء الشعب لما ذهبت تضحيات جنودنا البواسل سدًى .

يتعين على الدولة العنصرية أن تسهر على تطعيم المثقفــين بدم قوي هو دم الطبقات الدنيا . وعليها أن تغربل الرعايا بعناية ودقة لتستخرج المتاد البشري الموهوب وتضعه في خدمة الجماعة . فوجود الدولة مرتبط بالخدمات الـتي تقوم بها ، وهذا لا يتم إلا بتنشئة رجال مؤهلين للاضطلاع بالعبء .

يبدو أن تحقيق هذا الاصلاح متعذراً بالنسبة للبورجوازيين الذين سيبدون الملاحظات الوجيهة: كيف يجوز أن نفرض على أبناء كبار الموظفين أن يكونوا عمالاً يدويين، لنفسح المجال أمام أبناء الفلاحين ليحلوا محلهم في الجامعات العالية؟ إنه لاعتراض وجيه بالنسبة لقيمة العمل اليدوي في مجتمعنا ، لذلك وجب على الدولة أن ترفع من مستوى العمل اليدوي وأن تتخذ من قيمة العمـل ، لا من العمل نفسه ، أساساً للحكم على الفرد . أليس من الظـلم أن يحتل كاتب قصة بوليسية سخيف مركزاً في المجتمع أكبر من المركز الذي يحتله عامل ذو إختصاص؟

فللعمل قيمة مزدوجة : معنوية ومادية . فالقيمة المادية تتجلى بأهمية العمل من حيث تأثيره في المجتمع . فكلما ازداد عدد المنتفعين بالعمل ازدادت قيمتـه المادية . أما القيمة المعنوية فلا تتجلى بأهمية إنتاج العمل بل تتجلى بضرورته . ولا شك ان الفائدة المادية لاختراع ما ، يمكن أن تكون أكثر مما يقوم به العامل في يومه . ولكن خدمات العامـل ضرورية اكثر من الاختراع الذي سيبقى مشروعاً جامداً إذا لم تتوفر له الأيدي اللازمة .

في دولة يسودها العقل يتوجب عـلى الحكومات أن تعهد إلى كل مواطن بالعمل الذي يتناسب مع كفاءته . أما قيمة الفرد فمقياسها هو مدى نجاحه في أداء المهمة المنوطة به، ومدى إفادته للمجتمع الذي أعده للاضطلاع بها. ونجاحه في ذلك العمل يعني انه استطاع أن يعيد للمجتمع ما سبق وتلقاه منه .

الفصل الخامس عشر

رعايا الدولة والمواطنون

تضم الدولة قسمين من الناس : قسم المواطنين ، وقسم الأجانب . فالمواطن هو الذي يتمتع بالحقوق المدنية بفضل منشئه أو تجنسه . أمـا الأجنبي فهو من يتمتع بالحقوق نفسها في دولة أخرى . وبين هاتين الفئتين نجـد أحياناً الهايمتلوز وهم الذين لم يتح لهم شرف الانتماء الى دولة ما ولا يتمتعون بالحقوق المدنيـــة في البلاد التي يقيمون على أرضها .

إذن يكفي أن يولد الانسان في دولة ما ليتمتع بالحقوق المدنية، فليس للعرق أو الدم المشترك أي تأثير في ذلك . وهذا يعني انه يعتـبر ألمانياً الوليد الزنجي الذي جاء أبواه إلى ألمانيا من إحدى المستعمرات ليقيم إقامة مؤقتة أو دائمة ، كذلك يعتبر مواطنين أبناء اليهود والبولونيين والاميركيين والاسيويـــين الذين يولدون في حالات مماثلة .

وهناك طريقـــة أخرى للحصول على الجنسية الالمانية ، وتجعلها بالتالي في متناول كل من توفرت فيه شروط معينة .

يشترط في طالب الجنسية أن لا يكون لصاً أو تاجر رقيق ، ولا يكون ذو ماضٍ سياسي يؤهله لتمثيل دور بارز ، كما يشترط فيه أن يكون قادراً على العمل

بحيث لا يصبح عالة على الدولة . أما المسألة العنصرية فإنها تبقى بمعزل عن هذا الموضوع ، ولا يقام لها أي اعتبار . وهذا لا يكلف طالب الجنسية أي عناء ، فهو يتقدم بطلب خطي إلى السلطات الادارية فتدرسه وترفعه إلى رئيس الدولة مع ملاحظاتها التي تكون عادة لمصلحة الطالب . وبعد أيام تصله الموافقة بأنه أصبح مواطناً ألمانياً . وهذا العمل السحري يقوم به رئيس الدولة ، فالذي تعجز عنه الآلهة يحققه موظف بجرة قلم . وهكذا ينقلب المغولي بين يوم وآخر إلى مواطن ألماني مئة بالمئة . أما العنصر الذي ينتمي إليه طالب الجنسية ، وأما حالته الصحية فمسألتان لا تثيران اهتمام السلطات، فالمهم أن يعول الالماني الجديد نفسه ولا يشكل خطراً على الدولة .

وفي الدولة بوضعها الحالي يتمتع المواطن الالماني والاجنبي بنفس الحقوق والامتيازات ، فلهما الحق بشغل الوظائف والالتحاق بالجندية وانتخاب اعضاء البرلمان والمجالس الاقليمية . قد يقول المدافعون عن هذا الوضع الغريب ان الديمقراطية تعترف للأجنبي بهذه الحقوق ، ولكني أقدم لهؤلاء مثالاً حياً هي الولايات المتحدة الاميركية التي كانت ترحب بالأجانب ، ولكنها اليوم عادت ووضعت العراقيل في طريقهم ، رافضة قبول المرضى والملونين . فهذا التصرف يجعلها تتمشى ونظرتنا العنصرية إلى الدولة .

إن السكان في الدولة العنصرية ثلاث فئات : مواطنون ورعايا وأجانب ، والفرق الوحيد بين الفئتين الثانية والثالثة هو ان الأجانب هم رعايا دولة أخرى، وتعتبر الدولة العنصرية جميع الذين يولدون على أرضها كرعايا لها ، ولكن الرعوية وحدها لا تخول صاحبها حق المساهمة في النشاط السياسي ولا تؤهله لشغل وظيفة عامة. فكل ألماني هو أحد رعايا الدولة العنصرية الالمانية، ولكنه لا يكتسب صفة مواطن الماني إلا بعد أن تصهره المدرسة والجيش في البوتقة القومية . فالجيش هو المدرسة التي تخرج المواطنين ولكن لا تمنحهم صفة المواطن

الالماني إلا بعد أن تتحقق من أنهم موفورو الصحة ومسلكهم الخلقي خالياً من أي عيب .

وشهادة المواطن هي أعظم وثيقة تمنح للفرد في الدولة العنصرية، فبواسطتها يتمكن من ممارسة حقوق المواطن والاستمتاع بالامتيازات الخاصة بهذا اللقب . فالمواطن يحتفظ بهذا اللقب ما دام أهلاً له . أما الخائن والمجرم والضعيف فهؤلاء لن يتمتعوا بهذا اللقب ، بل يعودوا إلى صف الغير ناضجين قومياً ، ويلقبون برعايا الدولة العنصرية .

اما الفتاة الالمانية فلا تمنح لقب مواطنة إلا بعد أن تتزوج كما تستثنى الفتيات اللواتي تضطرهن ظروفهن إلى العمل وتحصيل قوتهن اليومي .

*

إن نظرة الدولة العنصرية إلى الفرد تجرها حتماً إلى محاربة المبدأ الماركسي القائل بالمساواة بين البشر . ولكن التباين الذي نلمسه بين الشعوب والأعراق قائم بين العناصر ذات الدم الواحد ، لذلك وجب على الدولة العنصرية أن تخص بعنايتها في المجتمع الواحد العناصر المتفوقة، علماً أن اكتشاف هذه العناصر لا يكلفها جهداً يذكر ، ولكن الجهد كل الجهد ينحصر في غربلة المتفوقين لاختيار الصفوة التي يجب أن تتولى مهمة القيادة . ففي الدولة العنصرية لن يصار إلى اختيار القادة بالطريقة المتبعة ، أي بمبدأ الأكثرية الذي يفسح المجال أمام النكرات للتلاعب بمقدرات الأمة كما يجعل من الأكفاء كمية مهملة ، لن يؤخذ بهذا المبدأ في دولة تطمح إلى تزعم العالم المتمدن. فالشخصية القوية تفرض نفسها بفضل الجهود التي تقوم بها الدولة قاطعة الطريق أمام الانتهازيين وتجار السياسة المحترفين.

يعتقد بعض الذين يدرسون حركتنا ، ان الفرق الوحيد الذي يجب أن يكون بين الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية وبقية الدول هو الفرق المادي المتجلي في التنظيم الاقتصادي ، حيث تعنى الدولة العنصرية بإقامة توازن عادل

بين الثروة والحرمان ، أو بتحسين مستوى الطبقات الكادحة أو بجعل الأجور متناسبة مع قيمة الإنتاج . إن من ينتظر من حركتنا هـذه الإنجازات فقط ليست لديهم فكرة صحيحة عن أهدافنا . لذلك لا يحق لهم توجيه النقد اليها . فالشعب الذي يكتفي بتنظيم أموره بهذه السطحية لن يكون مؤهلاً لقيادة الموكب البشري الآخذ بأسباب النمو والحضارة . لن تكتفي حركتنا بهذه الإصلاحات السطحية بل ستجعل في رأس الإصلاحات تمكين النخبة من استلام مهمة التوجيه ، وهذا يجعل الدولة مؤسسة ذات ظروف مؤاتية لنمو شخصية الفرد .

ولكي نوضح أهداف حركتنا على حقيقتها لا بد من الرجوع الى التاريخ مرة أخرى ، لأن هذا يوضح دور الفرد في تكوين الحضارات .

إن الخطوة الأولى التي ميزت بين الانسان والحيوان كانت تلك التي خطاها الانسان نحو الاختراع ، وقد كان جهده منصباً على استنباط الحيل والمداورات التي تمكنه من حماية نفسه.

إن هذه الاستنباطات يفسرها البعض بأنها غرائز صدرت عن جماعة وجدت نفسها في مأزق فاخترعت الوسائل التي تنقذها ، لكن المدققين يجدون العكس تماماً ، فالنشاط الإنساني في شتى مظاهره يبدأ من الفرد ، وكل تطور لمصلحة الكائنات الحية وضع أسسه رجل فرد ،فكانت بادرته إشارة الانطلاق للآخرين. لذلك فالقول ان الاختراعات البدائية هي من صنع الجماعات يناقض الواقع حتى بالنسبة إلى الحيوانات التي تلجأ بغريزتها إلى الحيلة . فالحركة التي يقوم بها قطيع من الماعز ليتفادى خطر حيوان مفترس هي تقليد لحركة أتاها رأس من الماعز ثم يتبعه القطيع بعد ذلك . ولا شك ان الحيل الأولى التي اخترعها البشر لدفع الخطر عنهم كانت من تدبير شخص أو أفراد موهوبين ، وتأثرت بعد ذلك الجماعة خطاه. ولما شرع الفرد الموهوب باختراع آلات الدفاع عن النفس اقتبست الجماعة اختراعه البدائي وأفادت البشر بعد آلاف السنين من اختراعات تفتقت

عنها عبقرية افراد موهوبين .

وابتكر الانسان بعد ذلك طرقاً جديدة مكنته من السيطرة على كائنات حية كان يخافها ، وما لبث أن استخدم هذه الكائنات في أغراضه المختلفة ، ولما اطمأن إلى وضعه ككائن متفوق برزت مواهبه الخلاقة فصقل الحجر وروّض الحيوان الشرس واخترع السلاح الحاد ثم السلاح الناري ... وهكذا ... وقد كانت جميع هذه الاختراعات ثمرة نشاط أفراد موهوبين ، فالسواد لا يبدع شيئاً وكذلك الكثرة ، لان التصميم والتنظيم لا يصدرا عن جماعة .

*

ان وضع الزمام في الايدي القادرة اصبح في ايامنا منهجاً عاماً في جميع الميادين ما عدا الحياة السياسية ، حيث لا تزال الاكثرية تسود وتطغى وحيث نجح اليهود في القضاء على تأثير الشخصية ليحلوا محله تأثير الاكثرية وهكذا زال المبدأ الآري الخلاق . هذا المبدأ الذي يجعل من الصفوة دعامة المجتمع والعنصر الفعال القادر على الخلق والابداع ، وساد المبدأ اليهودي الهدام الذي يهدف إلى افساد الشعوب والاعراق وهدم الحضارات الحقة . وقد اخذت الماركسية بهذا المبدأ اليهودي ، لانه يزيل النخبة ويترك السيطرة للاكثرية . من هنا عطف الماركسية واليهودية على النظام البرلماني ، ومن هنا عطفها الكاذب على الطبقة العاملة وتحريضها النقابات على الشغب كاسلوب من اساليب المطالبة بالحقوق ، وقد نجم عن تسخير الاقتصاد القومي لاهواء الاكثرية ، فقدان الحوافز الشخصية التي كانت بالنسبة للاقتصاد كالمهاز الذي يدفع به الى الامام .

ليست حركتنا حزباً منافساً للماركسية ، لذلك يجب ان نوضح الفروقات الكبيرة بين مفهومنا العنصري وبين نظرة الماركسيين الى الدولة والامة والعرق . فالدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية تضع مسألة العرق في موضعها اللائق ،

وتقدر اهمية الشخصية وتجعل منها اساساً لكل عمل ايجابي بناء . فاذا افضى سوء الحظ بان تهمل حركتنا هذا المبدأ الاساسي وان تسلم بالأمر الواقع فتقر مبدأ الاكثرية ، فلن يكون حزبنا اكثر من جماعة لا هم لها الا منافسة الماركسيين ، فيفقد بالتالي مبرر وجوده كحركة تقوم على عقيدة فلسفية .

لن يكون في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية شيء اسمه : قرار الاكثريه ، بل سيكون فيها رؤساء ومسؤولون،وتسترد كلمة « مشورة » معناها الحقيقي، فيكون لدى الرئيس مستشارون ولكن القرارات تصدر عنه وحده ، والدولة العنصرية تحسن صنعاً حين تأخذ بالمبدأ الذي كان الجيش البروسي يطبقه في الماضي . للرئيس السلطة المطلقة على مرؤوسيه ، وهو مسؤول تماماً أمام رؤسائه . أما البرلمانات فتنقلب الى مجالس استشاريه لا اكثر . وستكون لهذه المؤسسات بعض النشاطات كمدرسة لتنشئة الرؤساء .

يمكننا اعطاء فكرة عن دور البرلمان في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية :

لن يكون في الرايخ مجالس تمثيلية تمارس صلاحية اتخاذ المقررات الملزمة للحكومة ، بل سيكون له مجالس استشارية تقوم بما يكل إليها الرئيس القيام به ولن تسمح الدولة العنصرية بأن يبت في القضايا الحيوية اشخاص غير مؤهلين لهذه المهمات . لذلك سيكون هناك مجالس سياسية وأخرى تعاونية ، ولكي تتمكن هذه المجالس من التعاون،سيستحدث مجلس شيوخ يكون بمثابة الحكم. بيد انه لن يكون هناك أي نوع من التصويت في تلك المجالس ، فهي مؤسسات مهمتها العمل ، وليست آلات للتصويت .

*

ان اقتصار مهمة المجالس التمثيلية على الدروس وتقديم المشورة ، لا تعتبر بدعة طلع بها حزبنا . فمبدأ الاكثرية لم يؤخذ إلا قليلاً منذ ان كان في العالم

حكومات ودول ، وقد كان الأخذ به سبباً من اسباب خراب الشعوب وانهيار الدول . والتحول الذي ندعو إليه لا يتم حالما تتخذ التدابير النظرية ، بل يلزم لتحقيقه بذل جهود جبارة وطويلة. وهـــذا ما أخذ على عاتقه القيام به حزبنا الوطني الاشتراكي .



الفصل السادس عشر

المفهوم الفلسفي والتنظيم

لن يكون للاحزاب السياسية الموجودة أي شأن في العمل البناء الذي تقوم به حركتنا ، اذ كيف يمكن لهذه الاحزاب أن تعمل على هدم الاوضاع الراهنة وهي مدينة بوجودها لفساد هذه الاوضاع ؟ ولا يخفى ان موجهي الاحزاب الحالية هم اليهود ، فإذا لم نجد من يضع حداً لتلاعب الشعب المختار بمقدرات شعبنا فلن يمر وقت طويل حتى تتحقق نبوءة اليهود القائلة :

« سيخضع اليهودي شعوب الارض جميعها ويصبح سيدها المطاع » .

كيف يرجى من الاحزاب البورجوازية واحزاب اليسار أن تقاوم الذين يوجهونها ويسخرونها لخدمة اغراضهم ومصالحهم ؟

أن مهمتنا الاولى ليست بإقامة هيكل الدولة العنصريه بل بالقضاء على الدولة اليهودية ، فقد علمتنا الاحداث ان الصعوبة ليست في اقامة وضع جديد ، بل في فسح المجال لهذا الوضع ، وهكذا يترتب علينا أن نبدأ كفاحنا بالعمل على إزالة الوضع الراهن .

على كل عقيدة جديدة أن تبدأ كفاحها بشهر سلاح النقد في وجه

خصومها . واليوم نسمع من يقول من العنصريين المزعومين انهم يترفعون عن النقد لينصرفوا الى العمل البناء . ان هؤلاء يجهلون تاريخ عصرهم الذي يعيشون فيه ، فالماركسية التي تسعى الى فرض سيطرة اليهود العالمية قد بدأت عملها بالنقد وظل هذا شأنها لمدة خمسة وسبعين عاماً ، وكان نقدها هداماً طويل الأمد حتى تقوضت دعائم الدولة الهرمة ، وعند ذلك بدأوا بعملهم البناء المزعوم . فقد ادرك الماركسيون ان حالة ما لا يمكن أن تزول بمجرد ظهور حالة جديدة . فالحالتين تستمران وتتعايشان ، ولا تلبث العقيدة الفلسفية المزعومة ان تعيش مقفلة في الاطار الحزبي الضيق ، ذلك ان التسامح لم يكن من شيم اصحاب العقائد ، فالعقيدة تأبى ان تكون حزباً من جملة الاحزاب الموجودة . فهي تطمح بفرض مبادئها ولا تسمح ببقاء أي أثر للنظام القديم .

كان هذا شأن الاديان ولم يزل . فالنصرانية لم تكتف باقامة هيكل الدين ، بل عمدت اولاً الى هدم الهياكل الوثنية . فلولا تعصبها الأعمى لما كان هذا الايمان الكبير الذي قدم للنصرانية العديد من الشهداء...

قد يعترض معترض بقوله ان التعصب والانانية هما نقيضان عالقتان باليهود وانه ليس جديراً بنا ان نحذو حذوهم وان نستعمل نفس سلاحهم . ولكن مع ان هذا الاعتراض صحيحاً ، يجب علينا ان نحارب العقيدة القائمة على التعصب والانانية بنفس الطرق والاسلحة التي تستعملها ، لان الارهاب لا يسحقه الا الارهاب ، ولئن فضلت الاحزاب السياسية حل المشاكل القائمة بالتسويات فالمذاهب الفلسفية لا تساوم ولا تتنازل عن حقها . فالاحزاب تتعاون في بعض الاحيان مع احزاب مناوئة لها ، أما المذاهب الفلسفية فلا تمد يدها إلى المناوئين وتعتبر نفسها معصومة عن الخطأ .

والاحزاب السياسية تبدأ نشاطها بالاستيلاء على السلطة والانفراد بالتوجيه

وتحـــاول ان تعتنق مذهباً فلسفياً معيناً ، ولا تلبث ان تبتعد عن المعتقدات الفلسفية رغبة منها في مسايرة الجماهير التي ترغب الانضمام الى الحركات السياسية، فتلتف حولها جماهير من الرجال الضعيفي النفوس التي لا تقوى على الكفاح . ولا تلبث أن تنادي بالتعاون الايجابي مع المؤسسات القائمة طمعاً بالحصول على نصيب بسيط من الغنيمة ، فيقف كفاحها عند هذا الحد . أما المذهب الفلسفي فيرفض التعاون مع مذهب آخر ، لأنه يعتبر نفسه ملزماً بمحاربـــة كل المذاهب القائمة حتى يتمكن من ازالتها جميعاً .

ولكسب النصر النهائي يجب على الحزب أن يوجد قيادة عليا حكيمة بعيدة النظر ، ورجالاً تسيرهم العاطفـــة ويخضعون لهذه القيادة خضوعاً أعمى . فالسرية التي تضم مئتي رجل كلهم اذكيـاء واكفاء هي اصعب قيادة سرية التي تضم مئة وتسعين رجلاً عادياً وعشرة رجال اذكياء يمسكون زمام القيادة . أما الحزب الاشتراكي لديمقراطي فقد ادرك هذه الحقيقة وعمـــل على ضوئها . فقد بسط هذا الحزب سيطرته على ممثلي الطبقات الشعبية المسرحين من الجيش الذي دربهم على النظام والطاعة ، فأخذهم الحزب واخضعهم لنظام لا يقل قوة وانضباط عن الجيش فأصبح العامل الألمـاني جندياً في الحزب ، كما رجل الفكر اليهودي ضابطاً أو قائداً .

بينما كان البورجوازيون يتشدقون بان انصارهم يؤلفون نخبة المتعلمـين ، ويعيرون الماركسية بأنها تضم الجماهير الجاهلة ، كان العقلاء من المواطنين يردون نجاح الماركسية الى هذا العامل بالذات. إذ أن الاحزاب البورجوازيـــة ضمت جماعات من اهل الفكر والوجاهة لا يتقيدون بنظام أو يعترفون بالانضباط . أما الاحزاب الماركسية فقد ضمت قوة من المناضلين الانضباطيين كانت تطيع قادتها اليهود طاعة عمياء .

انطلاقاً من فكرة الاعتماد على الجمـــاهير المكافحة التي لا تهاب الكفاح ، فقد عمدت الى استخلاص خمس وعشرين مبدأ من منهاج الحزب ووضعتهـــا في

متداول ابنـــاء الشعب . لأن هـذه المبادىء تعطي صورة واضحة عن احداث حركتنا كما تصلح في الوقت نفسة لتكون قانون ايمان للمنضوين تحت لوائها . وعلى الحزب أن يقدس هذه المبادىء وبالتالي علبـــه أن يمتنع عن تعديلها أو تغييرها مـــا دامت حركتنا لم تبلغ بعد اهدافها الكاملة .



الفصل السابع عشر

تأثير الكلمة

كان النجاح الذي لاقاه اجتماعنا في ٢٤ شباط ١٩٢٠ مشجعاً لنا على عقد اجتماعات شعبية دورية ، وبعد ان كنا ننظم اجتماعاً واحداً كل شهر اصبحنا ندعو الى الاجتماعات الحاشدة كل اسبوع . وقد فاق نجاح اجتماعاتنا الاسبوعية كل تقدير إذ اصبح عدد المستمعين كبيراً جداً . وقد تطرأ خطباؤنا الى القضايا التي تشغل الاذهان بعد أن وضحوا مبادىء الحزب ، وقد بدأوا بتعيين المسؤولين الحقيقيين عن الحرب ونتائجها مبرزين مساوىء معاهدة فرساي ، هاتين القضيتين اللتين أنفرد حزبنا بأثارتها في ذلك الوقت ، لأن مجرد البحث فيهما كان يعتبر خيانة للجمهورية وتعلقاً بالرجعية والملكية . فكانت اللذين ضللتهم الماركسية يتصايحون حين يسمعوا أحدنا يتعرض لمعاهدة فرساي فيقاطعوه قائلين : « ومعاهدة برست ليتوفسك » . وقد صادفتنا صعوبات كبيرة في بادىء الأمر حين حاولنا أفهام الجمهور بإن معاهدة فرساي قد الحقت العار بألمانيا . وقد ترتب علينا إزاء موقف الجمهور المتصلب اما ان نتوقف عن الحملة مراعاة لهم أو نستمر بها ولو كلفنا هذا ابتعاد الشعب عن حزبنا .

كانت مصارحة الشعب بالحقائق في ذلك الوقت مغامرة كبرى . فالحزب الذي يقاوم التيار يغامر بشعبيته . وقد رأينا البورجوازية تتجنب مقاومة

الاكثرية مفضلة أن تتركهم في ضلالهم .. أما نحن فقد زادنا عناد الجمهور تصلباً ورغبة في الكفاح ، ومضينا في طريقنا هادفين إزالة الاوهام العالقة في اذهان الشعب عن معاهدات الصلح وخاصة معاهدة فرساي . وكنا على أتم التأكيد أن شعبنا سيدرك الحقائق وسيستحيل بغضه لنا حباً فيولي حركتنا ثقته ولا يبخل عليها بالتشجيع .

كانت مهمتنا صعبة جداً ، فقد كنا نعلم أننا نتوجه الى أناس تشبعت عقولهم بأفكار وآراء مناقضة لآرائنا. وكان علي أن اقف أمام الجماهير وألقي بهم خطاباً لمدة ساعة أو ساعتين محاولاً نسف الأسس التي قامت عليها افكارهم ومن ثم احاول اقناعهم بصحة مبادئنا وادعوهم الى اعتناقها .

لقد دخلنا المعركة ونحن مصممين على كشف الحقائق المجردة . وأدركت من خلال الاجتماعات الأولى انه يجب علينا أن نبادر إلى انتزاع السلاح من يد خصمنا . فقد لاحظت أن اعتراضات الماركسيين تكاد تكون نفسها في كل اجتماع ، فصرت أفند هذه الاعتراضات المحتمل سوقها قبل ان ابدأ بعرض الموضوع ، وبذلك قطعت الطريق أمام المشاغبين الذين حفظوا الدور الذي لقنه لهم اسيادهم اليهود. وبفضل هذه الطريقة استطعت أن اكسب تأييد بعض اصحاب النيات الحسنة .

وانسجاماً مع هذه الخطة بدأت اشرح احكام معاهدة برست ليتوفسك في معرض حملتي على معاهدة فرساي ، لأنني اكتشفت أن الناقمين على المعاهدة الأولى لا يعرفون عنها شيئاً ، فقد ادخلت الدعاية الماركسية في عقولهم ان ألمانيا فرضت تلك المعاهدة على الشعب الرومي لذلك كانت معاهدة فرساي كرد فعل لما ارتكبه الألمان بحق الروس . لقد كان علي أن ادحض المزاعم الماركسية بأجراء مقارنة بين المعاهدتين ، وقد وفقت الى عرض مساوىء معاهدة فرساي ومحاسن معاهدة برست ليتوفسك ، في محاضرة ألقيتها واستغرقت ساعتين . ومن ثم ألقيت عدة محاضرات في هذا الموضوع ضارباً على الوتر نفسه وكانت

مكافأتي هي تحرير ألوف المواطنين من الاوهام التي ادخلت الدعايات الماركسية في رؤوسهم .

ونتيجة لهذه الاجتماعات ملكت ناصية الكلام واتقنت فن الخطابة وإذكاء حماس الجماهير . ولم نكتف بالخطب كوسيلة لتنوير الشعب ، بل عمدنا الى اصدار النشرات وإذاعة البيانات التي ضمناها رأي الحزب في معاهدة فرساي وفي العوامل التي أدت الى نشوب الحرب . لكن مجهودنا الأكبر كان مركزاً على الخطب والمحاضرات اقتناعاً منا بان الكلمة هي التي تثير حماسة الجمهور وتترك في نفسه اكبر الأثر .

منذ اسابيع أثيرت هذه المسألة في الصحف المحلية ، فسخرت صحف البورجوازيين من الرأي بأن الكلمة لها التأثير الكبير . ولم استغرب هذا الموقف من جانب طبقة تعيش في برجها العاجي وتحاول ان تتصل بالجمهور بواسطة اقلام مفكريها البعيدين عن عامة الشعب بعد الارض عن السماء .

لا تعلم البورجوازية أن الخطيب يكيف كلماته حسبما يقرأه على وجوه مستمعيه ، ولكن الكاتب يدفع الى جمهور لا يعرفه بكتابات ربما تصادف هوى لدى القراء أو ربما لا تكون منسجمة مع آراء قرائه فيعزفون عنها . ولا ننسى أن ابناء الشعب ينفرون بطبيعتهم من قراءة ما لا يتفق وآرائهم أو مع ما كانوا يتوقعونه . أما اذا أراد الكاتب أن يستدرج الشعب الى الوقوف على رأيه المكتوب فعليه بأعتماد النشرات والبيانات القصيرة كوسيلة لنشر رأيه ، لأن الجمهور يقرأ ما يقدمه له بهذه الطريقة بدافع الفضول لا أكثر . وما يمكن كتابته في البيانات يتطبق على الصور والاشرطة التي تعطي فكرة سريعة عن الموضوع بوضوح نسبي . والكاتب يتمكن من التلاعب بعواطف الجمهور كالخطيب إذا هو استعمل اسلوباً جذاباً وصاغ ألفاظه بطريقة مفهومة لدى الطبقات الشعبية . لكن اختبار تأثير الاسلوب الكتابي يستغرق وقتاً طويلاً وجهوداً متواصلة اما الخطيب فإنه يطالع في وجوه المستمعين مدى تأثير كلماته ، فيقرأ في هذه الوجوه ما إذا كان المستمعون يفهمونه بوضوح ، وإذا كانوا يتتبعون

بأهتمام ما يبسطه لهم بأسهاب ، والى أي حد نجح في اقناعهم بوجهة نظرة . واذا لاحظ انهم لم يفهموه اعتمد طريقة اخرى بحيث يتقرب من مفهومهم العقلي قدر المستطاع ، واذا قرأ في وجوه البعض أن آراءه لم تقنعهم عمد الى دحض الاعتراضات التي يفترض وجودها في خواطرهم. ثم يكرر الأدلة والامثلة الحية الى أن يرى من الامارات المرتسمة على وجوههم أنهم بدأوا يقتنعون .

ومن المعلوم ان المطلوب اقناعهم هم في اغلبيتهم من المواطنين الذين ذهبوا ضحية الدعايات الخبيثة ، فصاروا يتصرفون بدافع عاطفة وهمية لا بدافع التفكير والاقتناع .

في المانيا صحف بورجوازية يوزع منها يومياً ملايين من النسخ ، ولكن هذا الانتشار الكبير لم يمنع الشعب من الألتفاف حول الحركات المضادة للبورجوازية. أما السبب في ذلك أما ان يكون نتاج المفكرين وحملة الاقلام البورجوازيين عقيماً لا يحمل جديدا إلى الناس ، واما ان تكون الكلمة المكتوبة مقصرة عن النفاذ الى قلوب الناس .

زعمت احدى الصحف في برلين ان الأدب الماركسي ومؤلفات كارل ماركس فعلت في الشعب فعل السحر... فما ابعد هذا القول عن الحقيقة، فان ما استحوذ على عقول عامة الشعب هو كثرة الدعايات الشفوية التي عرف الماركسيون كيف يوجهونها . ولم يكن لمؤلفات كارل ماركس أو غيره من اليهود التي تدس السم في الدسم أي شأن في هذه الناحية. ولن نجد مئة عامل من أصل مئة الف تصفحوا كتاب كارل ماركس . فكتاب ماركس لم يكتب ليكون في متناول عامة الشعب ، بل كتب ليكون دستوراً للحركة اليهودية العاملة على إخضاع العالم لسيطرة « الشعب المختار » ، وتولت الصحافة مهمة الدعاية للمبادىء التي تضمنها التطبيع الماركسية بطابع اجتماعي انساني يبهر الطبقات المحرومة .

ان نجاح الماركسية في اجتذاب ملايين العمال مرده إلى الدعايات الطويلة التي يقوم بها الآف المحرضين . وقد حرص الدعاة من مفكرين وخطباء على معايشة عامة الشعب للوقوف على احوالهم والتعرف إلى مشاكلهم ، بالاضافة الى مواكب

التظاهرات التي كان يمشي فيها عشرات الألوف من الصعاليك تدفعهم الرغبة باظهار تضامنهم وافهام الملأ انهم يؤلفون قوة هائلة تستطيع فرض سيطرتها واخضاع العالم البورجوازي لمشيئة البروليتاريا ... هذه المظاهر هي التي خدمت الماركسية وجذبت إلى صفوفها السواد الأكبر من الشعب .

وقـــد أحسن الماركسيون في اختيار الدعايات المكتوبة ، فكانت تبدو صحافتهم كأنها ناطقة أكثر منها مطبوعة . فبينما كان الاساتذة والكتاب والادباء في الاحزاب البورجوازية يلجأون احياناً الى الكلام ، نجد في الحزب الماركسي ان الخطباء يلجأون أحيـــاناً الى الكتابة ، يساعدهم في ذلك اليهود الذين يتولون الدعاية المكتوبة لحساب الماركسية ، فاليهودي بارع في كتابة الاكاذيب المضللة ، فكان يبدو خطيباً أكثر منه كاتباً. فلا عجب إذن أن تظل الصحافة البورجوازية مقصرة عن بلوغ مستوى الصحافة الماركسية في حقل الاقناع واستمالة الجماهير إلى ارائها .

وقد استخرجت من الاجتماعات الحاشدة التي كنت خطيبها الرئيسي امثولة سبقني الماركسيون إلى إستخراجها . فقد تعلمت ان محاضرة في موضوع معين يلقيها المحاضر ليلاً يكون لها وقع أشد مما لو القاها في النهار .

اذكر اننا دعونا إلى اجتماع شعبي في ميونيخ ، وقررنا الاجتماع في الساعـــة العاشرة من صباح الأحد . وكان الاقبال عظيماً لأن اليوم كان يوم أحد ولأن موضوع خطابي كان « اضطهاد الألمان في المناطق المحتلة » . وبالرغم من ان الاقبال كان شديداً ، فقد ظل المستمعون محتفظون بوقارهم فلا تحركت أيديهم بالتصفيق ولا بطلب الاستيضاح أو حق الاعتراض . وأحزنني أن يقابل خطابي بهـــذه اللامبالاة . فكررت الاجتماعات النهارية ، لكن النتيجة كانت فيها جميعاً مخيبة للآمال .

واخيراً غيرنا المواعيد ، والقيت خطاباً في أول اجتماع ليلي ، ففعلت كلماتي في نفوس المستمعين فعل النار في الهشيم ، وطالعت في وجوههم أني سحرت منهم الألباب . وقد حيرني هذا الانقلاب المفاجئ ... فالجمهور لم يتغير وكذلك الخطيب

وموضوع الخطاب. ولكن ما لبثت أن أدركت سر هذه الظاهرة عندمانصحني أحد الأصدقاء بمشاهدة تمثيلية « الشعب المتحرر » وقال أنه شاهد المسرحية مرتين وان انطباعاته كانت في المرة الثانية غيرها في المرة الأولى ، وأعرب عن اعتقاده ان المشهد التمثيلي في الليل يترك في النفس أثراً أعمق من الأثر الذي يتركه في النهار .

وهنا تذكرت قول استاذي « ألبرخت » :ان قوى الارادة عند الانسان تقاوم في النهار كل محاولة تحاول اخضاعها لارادة أخرى .فاذا استهدفتها المحاولة نفسها ليلاً فلا تلبث أن تخضع للسيطرة . ذلك أن قوة الأرادة تضعف في آخر النهار . واننا نلاحظ ان الكنيسة الكاثوليكية تصطنع الظلال في المعابد لتسبغ عليها جواً من الرهبة والجلال ، هذا الجو يجعل المؤمنين في حالة نفسية يسهل معها على الواعظ ان يتلاعب بقلوبهم وعواطفهم .

*

حضرت ذات يوم اجتماعاً في ميونيخ ، وكان الحزب الذي دعا اليه قد جعل الدخول مباحاً . وكان الخطيب استاذاً في احدى الجامعات . وجلس حول المنصة ثلاثة رجال باللباس الأسود ، عرفت فيما بعد انهم يؤلفون اللجنة التنفيذية .

كان الخطاب مكتوباً ، فبدأ الأستاذ يقرأه متمهلاً ، وما هي إلا عشرون دقيقة حتى شعرت بالتململ بين الحضور فكثر المتثائبون ، وبدأ التسلل من القاعة ، وكان يجلس بقربي ثلاثة رجال من العمال،فرأيتهم يتغامزون ويتبادلون الابتسامات الساخرة ، وما لبثوا أن غادروا القاعة. وعندما انتهى الخطيب من القاء خطابه ، وقف أحد الثلاثة من اللجنة التنفيذية فشكره باسم الحاضرين وقال أن المحاضرة تعد حدثاً داخلياً خطيراً ، لهذا فهو يدعو الحاضرين إلى انشاد النشيد الوطني الألماني . فوقفوا وانشدوا النشيد ، وما ان انتهوا حتى تدافعوا نحو الباب يتنفسوا الصعداء في الهواء الطلق ويطردوا السأم الذي استحوذ عليهم ...

شكرت الله لان هذا لم يكن جو اجتماعاتنا نحن، فقد كنا نحرص أن تكون خطاباتنا ومحاضراتنا ، حافلة بما يثير العواطف ويهز المشاعر ويستفز الخصوم للدخول معنا في مناقشات طويلة ... فقد كان الحزب الشيوعي يرسل العشرات من المشاغبين ليشوشوا ويصفروا اثناء الخطابات ، كما يستفزونا إلى العراك كي يتدخل البوليس وينهي الاجتماع ويعطله لبعض الوقت .

وكان العديد من الماركسيين يحضرون اجتماعاتنا وهم يعتقدونها اجتماعات شيوعية، لأننا اخترنا للافتاتنا اللون الاحمر . وقد ذهل البورجوازيون لاختيارنا اللون الاحمر ، فزعموا أننا ماركسيون مموهون وأن اشتراكيتنا زائفة . أما سبب اختيارنا هذا اللون فكان لاستفزاز اليساريين المتطرفين واستدراجهم الى حضور اجتماعاتنا ولو للتشويش والمشاغبة ، لأن هذه كانت افضل طريقة لنشر مبادئنا بين صفوفهم .

وقع الماركسيون في الشرك الذي نصبناه لهم ، فأقبل العمال على حضور اجتماعاتنا ، لكن رؤساءهم ، بعد أن اكتشفوا اللعبة ، حرموا عليهم حضورها ولكن بعضهم لم يتقيد بأمر رؤساءهم فداوم على الحضور وتنكر لتعاليم كارل ماركس واستجلب معه من امكنه اقناعه . عند ذلك قرر الرؤساء ارسال اعوانهم الحمر ، فصار العمال يحتلون القاعات التي تعقد فيها اجتماعاتنا قبل الموعد بنصف ساعة . وكانت نيتهم دخول القاعة ومقاطعة الخطباء وتحطيم المقاعد ، إلا أنهم كانوا يخرجون وقد بدأوا يشكون في صحة العقيدة الماركسية ...

خيبت هذه النتائج آمال الرؤساء ، لأن مبادىء حزبنا زعزعت ايمان العمال بالماركسية، فعاد الرؤساء الى منع العمال من الحضور تحت عقوبة الطرد . فحرك هذا المنع فضول الذين وقفوا من حركتنا موقف اللامبالاة ، فصاروا يغشون القاعات سراً ولا يأتون بأي حركة اعتراض أو تشويش خوفاً من افتضاح أمرهم . وقد اتاح سكوتهم هذا للخطباء فرصة عرض مبادىء الحزب في جو هادىء ، وبذلك حرروا العديد من الالمان من أوهام نسجتها حولها اليهودية

العالمية بدقة واحكام .

أما الصحافة الحمراء فقد وقفت موقف المتجاهل لحركتنا في بادىء الأمر، ولكن وبعد اشتداد ساعد الحركة عمدت الى مهاجمتنا على صفحاتها الاولى ولكن الحملات اعطت نتائج عكسية لهم فقد لفتت الانظار إلينا بشكل لم نكن نتوقعه نحن، فما كان من الصحافة الحمراء إلا أن خففت من لهجتها واجتهدت في الحط من شأن الحركة بأدعائها ان الحركة سخيفة لا تقوم على أساس علمي . ولكن « سخافة » حركتنا لم تمنع الصحف الماركسية من الاستمرار في مهاجمتنا مما أثار فضول الناس وحملهم على التساؤل عن السبب في هذه الحملات ما دامت حركة الوطنيين الاشتراكيين سخيفة لا ترتكز على أساس علمي .. وادرك الماركسيون هذا الخطأ فغيروا من اسلوبهم واعتمدوا الطريقة اليهودية التي تجعل من الخصم هدفاً لحملة من الافتراءات لا تنتهي . فزعموا أننا منظمة ارهابية وأن زعماء الحزب يغذون الحقد والبغضاء في الصدور .. ولكن رغماً عن ذلك لم يتحول الناس عنا ولم تؤثر ادعاءاتهم في نمو حركتنا وانتشارها . وبذلك نكون قد سخرنا اعداءنا انفسهم للدعاية لنا .

وجدير بالذكر أن خصومنا عجزوا عن تعطيل اجتماعاتنا وذلك بفضل دوائر استخباراتنا التي انشأناها ، فقد كنا نعلم بخططهم في الوقت المناسب فنتخذ التدابير اللازمة لافساد تلك الخطط . وقد كنا نحمي اجتماعاتنا بطرقنا الخاصة ، لأن الاستعانة بالبوليس كانت تعطي نتائج عكسية ، إذ تعمد السلطات الى فض الاجتماع حين تصلهم أخبار التصادم ، وهذا ما كان يريده خصومنا بالذات فقد جرى البوليس على خطة تتنافى مع أبسط قواعد الحرية ، فحين تصله الأخبار بأن جماعة من المشاغبين تنوي تعطيل أحد الاجتماعات، يعمد البوليس الى منع هذا الاجتماع المنوي الاعتداء عليه بدلاً من أن يتخذ التدابير اللازمة لحماية المجتمعين ومعاقبة المشاغبين والمحرضين . وبفضل هذه الطريقة الفذة اصبح في امكان أي شقي أن يشل نشاط الرجل الشريف في الميدان السياسي ، أو ان يفرض عليه رأياً معيناً ، فإذا لجأ هذا الرجل الى البوليس طالباً تدخله ، عمد الى

الموافقة لمشيئة الشقي باسم النظام والأمن . وينصح الرجل بان يتجنب مظاهر التحدي والاستفزاز .

وهكذا وجدنا السلطة في كل مرة يهدد النقابيون بتعطيل اجتماعاتنا تبادر إلى منعنا من عقد الأجتماع بدلاً من أن تعتقل هؤلاء وتلاحقهم قضائياً. فتأكد لدينا أن السلطة لن تحمي نشاطنا الحزبي ، لذلك وجب علينا أن نحمي انفسنا بانفسنا . وكان تجاهل السلطة حمايتنا من حسن حظنا ، لان كل اجتماع يحميه البوليس يظهر تجاه الشعب بمظهر ضعيف ، فالقوة وحدها هي التي تنال اعجاب الجمهور وتبهره. لذلك قررنا الدفاع عن كيان حزبنا بالقوة وسحق ارهـــاب خصومه بوسائلنا الخاصة ، وقد تم لنا ذلك بفضل ادارتنا الحازمة وشجاعة رجالنا الذين عهدنا اليهم الحفاظ على النظام .

لا انكر اننا وقبل أن نخطط انظمة الاجتماعات وحمايتها ، راقبنا نشاط البورجوازيين والماركسيين في هـــذا المضمار واخذنا منهم دروساً وعبر . فهم يتحلون بروح نظامية ممتازة ، ويقوم الرجال بتنفيذ تعليمات رؤسائهم بدقـة . لذلك لم يكن تعطيل اجتماعات اليساريين موضع بحث في الاوساط البورجوازية. في حين كان تعطيل اجتماعات البورجوازيين الشغل الشاغل للحمر . فقـــد استطاعوا اقناع النقابيين أن كل اجتماع غير ماركسي هو ضد البروليتاريا وكانت الصحف الماركسية تناشد السلطات منع الاجتماع خوفاً من الاصطدامات الدامية، فاذا كانت السلطات ضعيفة تبادر فوراً إلى الغاء الاجتماعات حفاظاً على الأمن والنظام. أما إذا كان الحاكم المانياً حقيقياً لا يتأثر باقوال الصحف، عندئذ تتوجه الصحافـة إلى العمال انفسهم مناشدة اياهم تعطيل اجتماعات « أعداء الشعب الرجعيين » .

لقد كان موقف البورجوازيين ضعيفاً تجاه الحمر ! فقد كانوا يلغون اكثر اجتماعاتهم خوفـاً من اعتداء العمال . وإذا عقدوا اجتماعاً افتتحه الرئيس بكلمة موجهة إلى « السادة المعارضين » مؤكداً لهم ان الحزب يرحب بحضورهم ويسعده ان يرى بين المستمعين مواطنين لا يشاطرونه رأيه. ثم يرجوهم الا يقاطعوا الخطباء « فالمحاضرة قصيرة وليس بها مـــا يجوز اعتباره اهانة لخصومنا أو

اقلالاً من شأن حركتهم السياسية واهدافهم الوطنية » . لكن الحمر قلما كانوا يتأثرون بهذه الكلمات ، فما أن يبدأ الخطيب حتى تبدأ المقاطعات ويعلو الصياح والصفير والشتائم ، فيضطر الخطيب إلى النزول عن المنبر ويسود القاعة الهرج ويتسابق البورجوازيون إلى الانسحاب طلباً للنجاة .

لذلك وجد الحمر انفسهم وهم يحتكون بنا ، انهم أمام حزب قوي يعرف كيف ينظم اجتماعاته ويحميها . فقد حرصنا منذ اللحظة الاولى على افهام الحضور أننا لن نسمح لأي كان أن يقاطع الخطباء أو يشوش عليهم ، وأن بوليس الحزب يقوم بحفظ النظام ولن يتردد في اخراج المشاغبين بعد أن يؤدبهم .

لقد كان لنا بوليس مدرب على قمع اعمال الشغب ، أما الاحزاب البورجوازية فقد كانت تعهد بمهمة حماية الاجتماعات الى رجال ضعاف قاربوا عتبة الشيخوخة ، آملين أن يحترم المشاغبون شيبتهم ويتهيبوا وقارهم . وقد فاتهم أن الحمر لا يقيمون وزناً لهذه الاعتبارات .

لقد جندنا « بوليس الاجتماعات » من الرجال الاشاوس والجنود المسرحين ، وقد اخترتهم من الشباب المفتولي السواعد ، وحرصت على افهامهم قبل ان يقسموا اليمين أن القضية التي تجندوا للدفاع عنها هي قضية نبيلة تستحق أغلى التضحيات ، وان الارهاب لا يسحقه إلا الارهاب . وان فكرتنا لن تنتشر ما لم تدعمها القوة وتوفر لها الحماية اللازمة ، وان ربة السلم لا تقوى على الظهور ما لم يأخذ بيدها إله الحرب . . . ولن انسى ما حييت كيف كان رجال الحرس ينقضون على خصومهم ، غير حافلين بالإخطار وبالتفوق العددي لخصومهم . فقد كانت مهمتهم حماية الحركة وإزالة كل عقبة تعترضها .

*

في ربيع عام ١٩٢١ توسعت دائرة نشاطنا ، فأصبح علينا أن نعزز الحرس

بعناصر جديدة . وقد اضطرنا تنظيم الوحدات النظامية الى خلق شارة أو راية للحزب . وما أن قررنا أن يكون للحزب رايـــة خاصة ترمز لرسالته ، حتى انهالت علينا التصاميم والاقتراحات. فدرسناها ولم نأخذ بها الى أن عرض علينـا طبيب اسنان مشروعـاً لا بأس به لكن الألوان التي اخرجهـا كانت متنافرة ، فوفقت أنا بين الألوان وقدمت للرفاق المؤسسين راية الحزب : دائرة بيضـاء في قماشة حمراء ، وفي وسط الدائرة صليب معقوف باللون الاسو د. فتبنى الرفـــاق رمز الحركة الوطنية الاشتراكية واختاروا في نفس الوقت شكل الشارة المعدنية ولون ربطة الذراع التي ستوضع على اذرع رجال الحرس .

لقد كانت الراية حقاً رمزاً لحركتنا واهدافها السامية ، فاللون الاحمر يرمز الى الناحية الاجتماعية من الحركة، واللون الابيض الى الفكرة القومية، والصليب المعقوف يرمزالى النضال المرير في سبيل انتصار الآري وانتصار فكرة العمـــل المنتج. وفي عام ١٩٢٢ عندما جعلنا من الحرس نواة وحدة مقاتلة اخترنا للوحدة علماً خاصاً بها .

بعد اتساع حركتنا ضاعفنا عدد الاجتماعات فأصبحنا نعقد ثلاثة اجتماعات اسبوعياً وذلك في اكبر قاعات ميونيخ ، وكان البوليس يتدخل كل مرة لمنع الازدحام واقفال الابواب وارجاع الناس .

وفي شتاء ١٩٢١ وجدت ألمانيا نفسها أمام معضلة جديدة، فقدانذرتها لندن وباريس بوجوب دفع مئة مليار مارك ذهبـــاً عملاً بأحكام الاتفاقات المعقودة. وفي ٢١ كانون الثاني من العـــام نفسه اجتمعت الاحزاب المسماة « عنصرية » وقررت القيام بتظاهرة مشتركة في ميونيخ احتجاجاً على الحلفـــاء ، كما دعي حزبنا لأرسال مندوبين عنه لحضور اجتماعات اللجنـة التنظيمية . وقد قررت اللجنة ان تبدأ التظاهرة من ميدان «كونسيغ» ولكنها عدلت عن رأيها ، وبعد ثمان وأربعين ساعة عدلت عن فكرة التظاهرة وقررت عقد اجتماع كبير في قاعة

كنوكيلز . وطال تردد اللجنة ، فطلبت منها بأعتباري مندوباً عن الحزب ، اتخاذ قرار نهائي قبل أول شباط ، فاستمهلوني وفي اليوم المحدد شعرت مجدداً بترددهم ، فأنسحبت ورفاقي من الاجتماع بعد ان صرخت بهم بأننا سننظم الاجتماع وحدنا ..

وظهرت النشرات ظهر الاربعاء ٢ شباط ١٩٢١ تدعو الشعب إلى حضور احتماع في ملعب كرون مساء ٣ شباط . وكانت هذه البادرة خطرة جداً ، إذ أن الملعب كان كبيراً واسع الارجاء ،وربما لا ننجح باجتذاب العدد اللازم لملئه، كما ان الحرس في ميونيخ ليسوا من الكثرة بحيث يتمكنوا من المحافظة على النظام في مكان كبير كملعب كرون .

وفي صباح يوم الاجتماع هبت رياح شديدة وهطلت الامطار ، فساد التشاؤم دوائر الحزب لان الناس لن تتمكن من الحضور في ذلك اليوم العاصف . لكن الجو مال إلى الصحو قليلاً بعد الظهر ، فأقترحت تسيير شاحنتين تجوب شوارع ميونيخ ، وهي مزدانة بالأعلام الحمراء يتوسطها الصليب المعقوف وعليها عشرون رجلاً وفتاة من أنصار الحزب يوزعون النشرات ويدعون الناس إلى الاجتماع... فشاهد السكان لاول مرة ، سيارتين كبيرتين ترفرف عليها الأعلام دون ان يكون ركابها ماركسيين ووقف البورجوازيون يرقبون هذا المشهد مذهولين ، أما الحمر فقد استبد بهم الغضب لهذا التحدي السافر .

ما أن ازفت الساعة السابعة مساءً حتى غصت القاعة الرئيسية بالحضور ، وبدأت القاعات الأخرى تستقبل الوافدين . ولما وصلت الى الملعب في الساعة الثامنة وجدت جمهوراً غفيراً يقف في الساحة الخارجية لأن المكان ضاق بالوافدين مما اضطر الحرس الى منع المئات من الدخول ، وقال لي أحد معاوني أن شباك التذاكر باع خمسة آلاف وخمسماية بطاقة ، وأن اكثر من ألف عاطل عن العمل دخلوا مجاناً ، فأصبح عدد الحاضرين ستة آلاف وخمسماية شخص .

كان موضوع المحاضرة « يجب ان نبني الغد أو نتوارى » وقد استغرقت

محاضرتي هذه ساعتين ونصف . وقد شعرت منذ اللحظة الاولى بالتقارب بيني وبين المستمعين ، وقد حاول البعض مقاطعتي في أوائل المحاضرة ، ولكن ما انقضى عشرون دقيقة حتى كانت ثلاثة عشر ألف كف تقاطعني بالتصفيق ، وتتلقف كل كلمة الفظها بلهفة وأيمان.

دام نجاح الاجتماع حديث ميونيخ لمدة اسبوع كامل ، ونشرت الصحف المستقلة صوراً ناطقة لهذا النجاح ، أما الصحف البورجوازية فقد اشارت إليه أشارة عابرة وقصدت اغفال ذكر اسم الخطيب ... وحرصاً مني على الافادة من هذا النجاح ، فقد نظمت اجتماعاً آخراً في الاسبوع التالي في الملعب نفسه ، فحضره سبعة آلاف وقف منه خمسماية في الساحة الخارجية ، وقد تركنا الابواب مفتوحة ليتسنى لهم سماع المحاضرات. وقد شجعني النجاح على زيادة الاجتماعات، فأزداد بالتالي عدد الانصار والمؤيدين .

لم يقف خصومنا مكتوفي الأيدي حيال هذا النجاح الساحق فقرروا ارهابنا بشكل نعجز فيه عن عقد الاجتماعات .

وقد مهد الخصوم لهذه الخطة الارهابية بحادث افتعلوه وحاولوا أن يلقوا بمسؤوليته علينا . ففي إحدى الامسيات اطلق « مجهول » النار على النائب الاشتراكي «ارهارد أوير» ولكن الرصاص لم يصبه وهرب المعتدون . وصدرت الصحف الماركسية واليهودية في اليوم التالي تحمل علينا بشكل سافر وتطلب وضع حد لما دعته « نشاط العصابة الارهابية التي عاثت فساداً في ميونيخ » وقد اتهمت حزبنا بالحادث . ومما ذكرته الجريدة الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي البافاري، أن تدابير حازمة ستتخذ قبل أن تناطح الاشجار السماء، وأن معاول العمال ستهوي على هذه الاشجار وتلقي بها على الارض .

وبعد ايام قام خصومنا بمحاولتهم ، ولكن الاشجار العالية الشامخة لم تقع ارضاً .

ففي ٢ تشرين الثاني ١٩٢١ دعونا الى اجتماع يعقد مساء ٤ منه في قاعة « هوفبروهوس » . وعلمنا قبل نصف ساعة من الموعد ان الحمر مصممون على

تعطيل الاجتماع وأنهم جهزوا له مئات العمال . فلم نتمكن من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لضيق الوقت ، لذلك اكتفينا بسواعد ستين رجلاً من رجال الحرس . ولما وصلت اخبرني رئيس الحرس ان القاعة ملأى بالمشاغبين ولم يتمكن رجالنا من الدخول وبقي معظمهم خـــارج القاعة. فسارعت الى جمع الحرس وزودتهم بالتعليمات اللازمة ، وصارحتهم بأن الوضع خطـــير وأنه ربما سقط منهم بعض القتلى . لكني قرأت في عيونهم ما اشاع الطمأنينة في نفسي ،. وعندما دخلت القاعة الكبرى وجدتها غاصة بالنـــاس ، وقد استقبلني الذين عرفوني بالشتائم والتهديدات من نوع « سنصفي حسابكم اليوم » و « سنضع حــداً لثرثرتكم ونريح المانيا منكم » ...

وقفت وراء الطاولة التي توسطت القاعة لالقي محاضرتي على جمهور من المستمعين يحتسي الجعة وبحالة عصبية ظاهرة .

تكلمت ساعة كاملة غير آبه للصياح والشغب ، وخيل اليّ اني أصبحت سيد الموقف فانتهرت أحد المشاغبين الحمر ، وكانت هذه هي الغلطة الفادحة ، فقد أستغل الحمر هذا الحادث البسيط لينفذوا خطتهم المرسومة ، فوقف رجل طويل القامة وهتف ثلاثة مرات للحرية ، فردد « انصار الحرية » الهتـــاف وقلبوا الطاولات وعمدوا إلى الزجاجات الفارغة يرشقون بها أنصارنا ، فتعالى الصراخ واختلط الحابل بالنابل . ولم اغادر أنا مكاني بل رحت اراقب رجال الحرس وانا مطمئن إلى النتيجة . فرأيتهم يهجمون على الخصوم وفي مقدمتهم (موريس) امين سري الخاص و« هيس » الذي تولى قيادة الهجوم . وما هي إلا دقائق حتى كانت جموع الحمر تتراكض مندفعة إلى الابواب منهزمة أمام أبطالنا الشجعان ، وبقي محصوراً حوالي خمسين ماركسياً ، فهجم عليهم رجالنا محاولين اخراجهم بالقوة ، وفجأة دوى انفجار هائـل سقط على أثره خمسة من رجال الحرس . فالهب هذا الحادث شعور انصارنا حتى النساء والشيوخ فهرعوا لنجـدة الحرس وهجموا على المشاغبين وتمكنوا من اخراجهم وتطهير القاعة بعد ان سقط تسعة جرحى من صفوفنا يقابلهم ثلاثة وعشرون من الحمر .

وبينما كان الرفاق ينقلون الجرحى ، وقف هرمان ايسر رئيس الاجتماع واعلن استئناف الجلسة ودعاني إلى إلقاء محاضرتي ، ففعلت وتركت مكاني بعد ذلك لاقف في الصف الأمامي لاشارك في الاناشيد القومية التي اعتدنا ان نختم بها اجتماعاتنا ، فأقترب مني أمين السر وهمس في اذني أن قوة كبيرة من البوليس قد وصلت. ودخل ضابط البوليس في هذه اللحظة وأعلن بصوت جهوري انه يفض الاجتماع بأمر السلطة .

الفصل الثامن عشر

القوي قوي بنفسه

ذكرت في الفصل السابق إلى قيـــام تعاون أو شبه ذلك بين الاحزاب « العنصرية » في ميونيخ ، بحيث تقوم هذه الاحزاب بمجهود مشترك في سبيل الهدف المشترك .

لا شك أن التعاون بين الاحزاب المتقاربة الأهداف أمر مرغوب فيه. لكن يخطيء من يعتقد أن هذا التقارب يقوي على زيادة العمل الذي يرفع من شأن كل منها . فقد تعلم حزبنا أن الهدف يجب أن يصل اليه الحزب الذي كان السابق إلى اختياره ، فاذا عجز عن تحقيق هـــذا الهدف جاز للاحزاب التي تعمل لنفس الهدف ان تعمل عوضاً عنه علها تنجح حيث اخفق هو . أما إذا تغلب الحزب الأول على الصعاب ، فبقاء الأحزاب الاخرى منفصلة عنه يعتبر خيانة لهـــذه الفكرة وإضعافاً للحركة حتى لو قام تعاون وثيق بينها .

وقد حاولنا نحن عام ١٩٢٢ أن نتعاون مع المنظمات « العنصرية » على أساس توحيد الخطط ما دام الهدف واحداً ، ولكن سرعان ما ادركنا خطأنا ، لان حلفاءنا أرادوا من هـــذا التعاون تقوية منظماتهم على حسابنا ، فكانت النتيجة أن عمت الفوضى وانعدمت المسؤولية وقامت الانانية والمطامـــع الشخصية لتبعد الحركة الموحدة عن اهدافهـــا السامية . عند ذلك طلبت من

حزبنا أن يضع حداً لهـــذا التعاون المضر بحركتنا ، وكانت حجتي أن حركة قوية كحركتنا ستخسر من قوتها بتعاونها مع حركات اضعف منها . وبينت لهم مطامع زعماء المنظمات بأنضمامهم الى حركتنا .

*

كانت قوة الدولة قبل عام ١٩١٨ تعتمد ثلاث دعائم: النظام الملكي والجيش وهيئة الموظفين الاداريين . وقـد قوضت ثورة عـام ١٩١٨ الدعامة الاولى ، وسرحت الجيش ، وافسدت الموظفين . وبذلك فقدت سلطة الدولة مقوماتها الاساسية .

ان الأساس الاول الذي ترتكز عليه السلطة هو الشعبية ، ولكن السلطـة تبقى ضعيفة اذا كانت الشعبية مرتكزها الوحيد ، لأن سلامتها واستقرارهـا يبقيان مضطربين. لذلك كانت القوة مرتكز السلطة الثاني ، ولكن القوه وحدها لا تضمن الاستقرار والسلامـــة . فاذا توفرت الشعبية والقوة امكنهما أن يولدا ما يدعي بالتقليد . ومن هذه المرتكزات الثلاث يمكن انبثاق سلطة قويـــة الاركان متينة .

لكن الثورة جعلت توفر المرتكزات الثلاثة مستحيلاً ، فهي قد نزعت التقليد من كل سلطة حين قضت على النظام الملكي ، كما لطخت سمعة الموظفين عندما سمحت للسياسيين أن يعينوا ويعزلوا وينقلوا من يشاؤون تدفعهم الى ذلك نزعاتهم ومصالحهم السياسية . كما ازالت الثورة معالم القوة حين سرحت الجيش ، رمز القوة ، ففقدت السلطة بذلك مرتكزها الثاني ، ولم يبق للثورة إلا الشعبية ، وهذا المرتكز كان غير مستقر في بلد ضعضعته الهزيمة واطاحت الحرب بالتوازن الطبيعي الذي جعل من شعبنا مثلاً للشعوب .

فالشعب الألماني ، ككل الشعوب ، يتألف من ثلاث فئات . فئة النخبـة ذات الميول الوطنية المتطرفة ، وهي تتحلى بالترفع والاخلاص والشجاعـــة ونكران الذات . وفئة تضم حثالة البشر كالمغاوين والانانيين والخونة . وبين

هاتين الفئتين نجد الفئة الثالثة المتوسطة التي تترفع عن مايشين الفئة الثانية ،ولكنها لا تتمتع بفضائل الفئة الأولى . فاذا تقـدم مجتمع بشري نحو الرقي كان بفضل الفئة الأولى، وإذا نما هذا المجتمع نمواً طبيعياً في ظل الهدوء والنظام كان بفضل الفئة المتوسطة التي تميل بطبيعتها إلى الاعتدال . أما حين يدرك المجتمع الأنحلال وتنهار فيه القيم فهذا يرجع إلى تسلط العناصر الفاسدة من الفئة الثانية .

وجدير بالذكر أن الفئـــة المتوسطة وهي الأغلبية الساحقة لا تتمكن من السيطرة الا حين يكون التنافس على أشده بين الفئتين المتطرفتين ، ولكن إذا أنتصرت احداهما فسرعان ما تخضع الأغلبية للمنتصر ، ولكنها لا تؤيد المنتصر الشرير ولا تعارضه بنفس الوقت . لان هـــذه الفئة المتوسطة لا تتميز بروح النضـال .

قلت أن الحرب أطاعت بالتوازن بين الفئات الثلاث ، فقد ضحت النخبـة بدمائها وسقط آلاف الشهداء من الفئة المتوسطة بينما بقي الأشرار يوفرون أنفسهم للثورة ولطعن المانيـــا في ظهرها . كان المسؤولون يذيعون النداءات مناشدين المواطنين على التطوع لاداء مهمات معينة ، واستمرت النداءات طيلة أربع سنوات ونصف فكان يلبي النـــداء شباناً دون السابعة عشرة من عمرهم وشيوخاً تجاوزوا الخمسين ، تدفعهم وطنيتهم الصادقة وشجاعتهم النادرة ،ليلقوا بانفسهم في جحيم النيران المشتعلة ..

فالذين سقطوا في معارك ١٩١٤ كانوا أبناء الفئتين الخيرة والمتوسطة ، فأختل التوازن لمصلحة الفئة الشريرة التي أتاح لها تراخي السلطات أن تبقى بمأمن من الخطر ، فما أن أصيبت جيوشنا بالنكسة حتى قامت هي بمهمة لغم الجبهـــة الداخلية بثورة جارفة لم تقف في طريقها اية عقبة لان البقية الباقية من العناصر الطيبة كانت أضعف من أن تقاومها .

فالقول بان ثورة ١٩١٨ كانت ثورة شعبية قول عار عن الحقيقة . فالذين قاموا بالثورة كانوا اعداء للشعب لانهم استغلوا الهزيمة أبشع استغلال بعد أن تسببوا فيها .

لقد رحب جنودنا بانتهاء القتـــال ، ورحبوا بالعودة إلى بيوتهم ، ولكنهم ظلوا غرباء عن الثورة ومسببيها ، لان المحرضين عليها ما أوحوا للجنود غـير الحذر والحيطة ، ولأن الحرب وويلاتها لم تنسهم الضرر والعبث اللذين يتميز بهما نشاط الأحزاب السياسية في البلاد .أما المواطنون القلائل اللذين رحبوا بالثورة فقد استبشروا بما ستؤتيه من جديد ولم يرحبوا بها هي. وعلى هذه القلة ارتكزت الثورة ، ولكن هذا المرتكز الشعبي كان من الضعف بحيث وجـد الماركسيون أنفسهم بعد أشهر من قيـــام الجمهورية ، مضطرين إلى ايجاد مرتكز جديد لسلطتهم قبل ان تنظم الفئات الخـــيرية نفسها وتخرج البلاد من عهد الفوضى والفساد . . .

كانت الجمهورية عام ١٩١٩ بعيدة عن الاستقرار . ولم يخف على « ابطال » الثورة أن المرتكز الشعبي لسلطتهم سينهار عند أول زوبعة من زوابع النقمة . لذلك راحوا يبحثون عن رجال يمكنهم حماية الجمهورية بقوة السلاح .

وجدت الجمهورية التي سرحت الجيش نفسها في أشد الحاجة الى جيش يدافع عنها . لكن مرتكزها الوحيد الذي هو شعبيتها كان يستمد اصوله من اوساط اجتماعية لا تؤمن بالمثل ولا ينتظر منها ان تضحي ولو بالقليل في سبيل مثاليـة جديدة . فالاوساط كانت تضم اللصوص والمحتالين والخونة والمغامرين ، أي فئة الاشرار التي لم تقم بالثورة إلا بعد ان خلت الساحة من السواعد المفتولة . هذه الفئة لا يمكنها أن تقدم جنوداً يدافعون عن الثورة . هذه الفئة التي جعلت همها الوحيد نهب الجمهورية التي قامت على انقاض الملكية .

أما اصوات الاستغاثة التي انبعثت من ممثلي الشعب فلم تسمعها تلك الفئـــة العابثة . لقد استغاث هؤلاء لأنهم شعروا ان الشعب الالمـــاني بدأ يتململ ، وان هناك من يدعو الى قلب النظام القائم ووضع حد للسرقات والخيانات .

أما الذين لبوا النداء في شتاء ١٩١٩ ،واخرجوا بزاتهم المهترئة وحملوا بنادقهم من جديد ، فقد فعلوا ذلك بدافع الوطنية لا حرصاً على الجمهورية . فقد كان الامن والنظام بحاجة الى من يحفظه ، وكان الوطن بحاجـــة الى من يرد عنه

مؤامرات اعدائه الداخليين . فانتظموا في وحدات ارتجلت ارتجـالاً ، وعملوا مخلصين لدعم الجمهورية مع نفورهم من هذا النظام والذين اقاموه .

لقد ادرك منظم الثورة الفعلي ، اليهودية العالميـــة ، الموقف على حقيقته ، فالشعب الالماني لم يهبط الى مستوى الشعب الروسي ليتمكن من جره لأوحال المستنقع البولشفي . ويمكن القول ان ضعف البولشفية في المانيا مرده الى وحدة العرق التي ربطت رجال الفكر الألمان بالعمال الألمان. وهـــذه ظاهرة اجتماعية موجودة في أغلب البلدان الاوروبية الغربية ولكن لا أثر لها في روسيا ، حيث يبقى المفكرون في برجهم العاجي لأنهم غرباء عن قوميتهم الروسية . فهم لا يشعرون بقضايا الطبقة العاملة ولا يعانون مشاكلهـــا . ولم يكن هناك من يقوم بربط الصلة بين المفكر والعامل ، علماً ان مستوى الاغلبية الفكري والخلقي كان منخفضاً قبل الحرب ، لذلك لم يجـــد المحرضون عناء في حمل الملايين من الجهلة والأميين على رفع الراية الحمراء وخدمة اغراض اسيادهم اليهود الذين موهوا دكتاتوريتهم بمهارة حين زعموا انها دكتاتورية صعاليك .

أما ما حدث في المانيا فهو الآتي :

لم تنجح الثورة في المانيا إلا بعد انحلال الجيش ، ولكن هذا لا يعني ان الجندي في الجبهة كان وراء تلك الثورة ووراء انحلال الجيش وتفككه . فالذين عملوا للثورة وبثوا روح التذمر في الجيش كانوا من الذين لم يذهبوا الى الجبهة ، أما لأنهم إداريين لا يستغنى عن خدماتهم ، أو لأن السلطة انخدعت بهم واعتبرتهم اخصائيين في الشؤون الاقتصادية والمالية . يضاف الى هؤلاء ألوف الفارين الجبناء الذين تمكنوا من الهرب بفضل تسامح القوانين .

ان الجبان يخاف الموت الذي يبرز أمامه في ميدان المعركة بأشكال مختلفة مرات عديدة كل يوم . ولكي نمنع الجنود الجبنـــاء من الفرار ، يجب علينا افهامهم ان المرء يمكن أن يموت في الجبهة ، أما الجبان الفار فسيموت حتماً حين يهرب .

إن إداء الواجب فضيلة كبرى لا يتحلى بها ، مع الأسف ، المواطنون كافة ،

والمواطن المثالي هو الذي يؤدي واجبه من تلقـــاء نفسه ، أما المواطن العادي فليس هذا شأنه ، لذلك كان وجود الحافز الارهابي ضرورياً .

لندلل على ذلك بمثل القوانين الموضوعة لقمع اللصوصية . ان هذه القوانين لم تُسن لارهاب الشرفاء ، بل لتخويف ضعفاء الارادة العاجزين عن مقاومة التجربة والغرائز ، فلولا هذه القوانين التي ترهب هـذه الفئة ولولا العقوبات الزاجرة التي تنزل بها لقامت نظرية تقول ان الرجل الفاضل الشريف هو أنسان أبله ، والافضل المرء ان يسرق بدلاً من أن يبقى صفر اليدين ..

إذن كان من قصر النظر حين ظن المسؤولون ان بأستطاعتهم التغاضي عن تدبير هام أثبت جدواه طيلة قرون . اعني به الاعدام . فعقوبة الاعدام تفرض نفسها كتدبير احترازي وارهابي حين يكون المقاتلون مزيجاًمن الابطال والافراد العاديين الذين فرضت عليهم الجندية . ففي صفوف هؤلاء هناك الجبان والاناني الذي يرى أن حياته اثمن من حياة المجتمع الذي ينتمي إليه ، لذلك وجب قيام اجراء رادع لضمان بقاء هؤلاء المقاتلين في ساحة القتال حيث هم أو لحثهم على ملاقاة الموت ومواجهة العدو .

لقد ترتب على إلغاء عقوبة الاعدام عندنا ، انتشار جيش من الجبناء الهاربين في المؤخرة . وقد عرف الخونة من الداخل كيف يستغلون هؤلاء الجبنـــاء ويستخدمونهم لتنفيذ مآربهم ويتخذون منهم وقوداً لثورة ١٩١٨ .

وبعد وقف القتال ، ولما عاد الجيش الى ارض الوطن ، استحوذ القلق على رجال الثورة واصبحت معرفة رأي العائدين بالذي حدث شغلهم الشاغل ، فهم يريدون التأكد من رغبة الجيش في التعاون معهم . لذلك وخـــلال الأسابيع الثلاثة التي مضت بين اعلان الهدنة ووصول القوات الألمانية إلى الوطن عمد الثوريون إلى تبديل اتجاه الثورة ، إذ ان فرقـة واحدة من الجيش تقوم لطرد الحمر من البلاد تكفي لينضم اليها عشرات الفرق خلال أيام معدودة ، وقـــد أدرك اليهود هـــذه الحقيقة فبدلوا الاتجاه المتطرف وأعتنقوا شعار الاعتدال والهدو .

لذلك كانت الدعوات الحارة للتعاون مع السلطات ، وخاصة النداءات إلى كبار القادة العسكريين للعمل على انهاض المانيا من كبوتها . فاليهود وحلفاؤهم كانوا باشد الحاجة إلى العسكريين للاستفادة من خدماتهم من جهة ومن جهة ثانية اتقاء لشرهم وقطع الطريق امامهم لمقاومة الوضع القائم .

لقد نجحت هذه المناورة اليهودية نجاحاً باهراً . لكن المتطرفين ، بعد أن لزم اسياد العهد جانب الحكمة والاعتدال ، حاولوا مقاومة هذا الاتجاه الجديد لكن اليهود استطاعوا تشتيت قواهم وذلك باحداث انقسام خطير في صفوف اكبر حزب ماركسي : الحزب الاشتراكي الديمقواطي . فقسم اقتنع بالوضع الجديد وقسم عارضه . وترتب على هذا الانقسام قيام معسكرين الأول شعاره الهدوء والثاني الارهاب . أما البورجوازية فكان عليها ان تختار بين الاثنين فأنتقلت الى المعسكر المعتدل .

وهكذا اصبح الموقف في مطلع شتاء ١٩١٩ كما يلي :

كانت الثورة من صنع فئة شريرة من الشعب ، تبعتها بعد ذلك الاحزاب الماركسية كلها . ولكن الذين استولوا على الحكم بدلوا مناهجهم وقرروا مبدأ الاعتدال مما اغضب المتطرفين فقاموا بسلسلة من الاعمال الارهابية في طول البلاد وعرضها . ولمواجهة هذا الخطر تعاون انصار الوضع الجديد مع انصار الوضع القديم لمجابهة الارهاب القائم .وهكذا نظم اعداء الجمهورية أنفسهم لمحاربة الجمهورية كنظام حكم متعاونين ايضاً مع الذين يحاربون الجمهوريه لأنها توشك أن تغرق البلاد في الفوضى لا لأنها نظام حكم .

وقد أيد هذا التحالف تسعة أعشار الشعب الالماني ، وفي الوقت الذي كان المتطرفون من الجانبين يقتتلون كانت الفئات المتوسطة وهي الاغلبية الساحقة تقبض على الزمام . ولم تتأثر الجمهورية بالاشتباكات الدامية ، فقد أدى التقاء الماركسية والبورجوازية الى تقوية مركزها مع أن البورجوازيين ، قبيل الانتخابات ، بدأوا يتوددون الى الملكيين متظاهرين بالحنين الى العهد السابق ،

لأنهم كانوا بحاجة الى اصوات المحافظين .

*

كيف تمكنت الثورة من النجاح بالرغم من افتقارها الى مقومات هذا النجاح؟ والجواب على ذلك هو :

١ ـ تحجر نظرتنا الى الواجب والطاعة .

٢ ـ سلبية احزابنا المحافظة .

ويعود تحجر نظرتنا الى الواجب والطاعة الى تربيتنا الوطنية التي تركز على مفهوم الدولة ولا تعتني بالقومية . وقد نجم عن هذا النقص عجزنا عن تمييز الواسطة من الغاية ، وفاتنا ان الشعور بالواجب واداء الواجب ليست غاية بحد ذاتها ، وكذلك الدولة . ولو لم نسهى عن هذه الحقيقة لكان موقفنا من مسببي الكارثة غير هذا الموقف المخزي الذي اساء الى سمعتنا اساءة بالغة . ففي الوقت الذي كان شعبنا يقاسي من الهوان والعذاب من جراء الخيانات ، كانت الطاعة لهؤلاء اجراماً بحق الوطن . ولو تجاهل البعض تنفيذ الاوامر المعطاة له وتصرف حسبما يمليه عليه واجبه ومسؤوليته الشخصية لتغير الوضع تماماً . ولكن ماذا نفعل بالبورجوازيين ونظرتهم الى الدولة ؟ فالطاعة العمياء هي أول واجبات البورجوازيين ولو كانت على حساب الشعب ، أما نحن الوطنيين الاشتراكيين فأننا نقدم طاعة الجماعة على طاعة الرؤساء الضعاف ، ونرى أن مسؤولية الشخص تجاه أمته تصبح في الظروف الحرجة اقدس الواجبات .

أما عن سلبية الاحزاب المحافظة فنقول :

لقد نتج عن تساقط الفئات الخيرة في ميدان القتال تجريد أحزاب اليمين من العنصر الوحيد الذي كان باستطاعته حمايتها وحماية النظام الذي تحرسه . وقد شاء البورجوازيون ، بعد أن أضاعوا القوة المادية ، أن يتولوا الدفاع عن مبادئهم على صعيد الفكر وبالاسلحة الفكرية . علماً أن خصمهم قد استعاض عن تلك الاسلحة وقرر فرض مبادئه بالقوة والعنف وقد أثبت الماركسيون بعد نظرهم ،

فكانت قوتهم سيدة الموقف ، بينما ضاعت بلاغـــة البرلمانيين البورجوازيين بين الضجيج وازيز رصاص الحمر . وبعد الثورة عادت الأحزاب البورجوازية باسماء جديدة وبرزوا إلى الميدان بسلاحهم القديم واهـدافهم القديمة : الاستيلاء على كرسي الحكم .

لقد أصيب البورجوازيون بهزائم شنعاء في البرلمان وفي الشارع ، وعندمـا قدمت الحكومة للبرلمان مشروع قانون حماية الجمهورية عارضه خطباء أحزاب الميمنة والوسط معارضة شديدة . وعلم الماركسيون أن المشروع لن ينال أكثرية الثلثين فاوعزوا إلى رجالهم بالتظاهر امـــام البرلمان ، فقدم حوالي مئتي الف ماركسي ، وباشروا الهتافات والصياح والتهويل ، فجبن المعارضون وتخاذلوا واضحت النتيجة اقرار المشروع باكثرية ساحقة .

وهكذا قامت الدولة الجديدة دون أن تلاقي أية مقاومة جدية . وكان هناك منظمات قامت لتقف في وجـــه الماركسية بشجاعة وهي « الكتائب الحرة » و « الحرس المـــدني » و « عصبة الدفاع عن التقاليد » و « وعصبة المحاربين القـدماء » .

لكن هذه المنظمات لم يكن لها أي تأثير لاسباب عديدة : فلم يكن لهـــذه الأحزاب المعتدلة أي سلطة في البلاد لافتقارها إلى العناصر المناضلة . وقد كان للمنظمات اليمينية وحدات صدام منظمة ومع ذلك بقي تأثيرها ضعيفاً لانهـا لم تكن ذات مباديء وليس لها أهدافاً سياسية واضحة .

لقد فاز الماركسيون وانتصروا على العقبـات بفضل الترابط بين الارادة السياسية والتصميم وبين شراستهم في العمل . ولو اجتمع لألمانيا القومية هـذا الترابط بين الشراسة والارادة القومية لما تمكنت الماركسية من الانفراد بتقرير مصير البلد . فقد كان للاحزاب القومية ارادة قوية ولكنها كانت بحاجة إلى القوة لفرض إرادتها هذه . أما المنظمات فقد كانت تتمتع بالقوة وكان بامكانها أن تفرض سيطرتها على الشارع وعلى الدولة ولكن كان ينقصها الدافع والهدف السياسي . وقد أستغل اليهود هذا النقص المزدوج وعملوا جاهدين لإقناع المواطنين

بقبول الاوضاع الحالية باعتبارها مناسبة . فقـــد راحت الصحافة ، بايعاز من اليهود ، تظهر الطابع الغير سياسي للمنظمات اليمينية وبالتالي تمتدحه ، كما كانت تمتدح الذين « يقابلون التحدي والعنف بالاسلحة الفكرية » . وقـد تبنى ملايين الألمان هذه النظرية السخيفة ولم ينتبهوا للخدعة اليهودية التي جردتهم من كل سلاح حين اعتمدوا الفكر وحده سلاح وحيد في معركة الحياة أو الموت ، فاصبحوا بذلك تحت رحمة اليهود وعصاباتهم الشرسة .

وهناك تفسير آخر لضعف الأحزاب البورجوازية والمنظمات اليمينية ، فقد نزلت إلى المعركة ولا مثاليه لها ، وفي التاريخ أكثر من مثال على حركة من هذا النوع ، فهي لا تتحلى بروح النضال الذي تتحلى بـــه الحركات ذات الرسالة . فالايمان بانتصار فكرة ما يعطي لرسل هذه الفكرة حق اللجوء إلى العنف حتى أقصى درجاته .

لقد نجحت الثورة الفرنسية لان اعلان حقوق المواطن بهر الجماهير ، فتبنته وتعصبت له وناضلت في سبيله . وقامت الثورة الروسية بفكرة لاقت صداها الحسن عند الجماهير ، فآمنت بها واستماتت في الدفاع عنها . كما أن الفاشستية استمدت قوتها من رسالتها الاصلاحية .

*

بقيام الحزب الوطني الاشتراكي قامت في ألمانيـا حركة غايتها اعادة بناء الدولة على أساس عنصري . وقـــد قرر الحزب اعتماد الوسائل الفكرية لنشر مبادئه ، مع الاحتفاظ بمبدأ القوة لدعم هذه المبادىء اذا لزم الأمر .

قلت في فصل سابق انه لا يمكن التغلب على حركة يدعمها الارهاب بأعتماد الاسلحة الفكرية ، فلا بد من مواجهـة تلك الحركة بحركة ذات عقيدة تعتمد ايضاً سلاح الأرهاب .

فقد ظلت الدولة الالمانية هدفاً لهجوم ماركسي عنيف طوال سبعين عاماً ، ولم تنجح في صد هذا الهجوم بالرغم من جهودهـا المريرة وكفاحها الشاق . فلم

تنجح في سحق المبادىء الهدامة بالرغم من تدابيرها الصارمة بحق زعماء تلك المبادىء . وهذا يرجع الى كونها اتخذت تدابير سلبية عوضاً عن مقابلة هـــذه المبادىء بمذهب فلسفي يقضي على مبرر وجودها . فالدولة التي ألقت السلاح في ٩ تشرين الثاني ١٩١٨ وتركت للماركسيين حرية العمـــل والاستيلاء على زمام الحكم ، لا يرتجى منها خيراً خاصة بعد وصول البورجوازيين الى الحكم في ظل النظام الجديد. فمنذ عام ١٩٢١ والحكومة البورجوازية تلاطف الحمر زاعمة انها لا تريد اغضاب البروليتاريا . فهذا الخلط بين الماركسية والطبقات الكادحة هو تزوير للتاريخ يتحجج به الحاكمون لتغطية فشلهم في انقـــاذ البلاد من مخالب المغامرين الدوليين .

تجاه هذا الخضوع للماركسية ، اخذت الحركة الوطنيـــة الاشتراكية على نفسها مهمة انقاذ المانيا ، فاتخذت على مسؤوليتها تدابير وقائية لتواجه بهـــا الارهاب الاحمر . وقد ذكرت أن حركتنا قد انشأت وحدات هجومية لحماية اجتماعاتنا ، وبعد ان توسعت دائرة نشاطنا جعلنا من الوحدات نواة ما دعيناه « الحرس الخاص » واتبعنا نظام المنظمات اليمينية في تنظيم الحرس التي عرفت بأسم « منظمات الدفاع » . ولكن وجه الشبه لم يتعد التنظيم . فالمنظمات اليمينية كانت تعمل معنا ، كما تقدم، بدون هدف سياسي واضح . اما « الحرس الخاص » الذي انشأناه فكانت مهمته حماية حركتنا القومية التي ترفض تكريس الوضع القائم وتناضل في سبيل خلق المانيا جديدة .

*

بعد معركة قاعة هوفمبروهوس اطلقنا على وحدة الحرس اسماً جديداً هو « فرقة الهجوم » وقد شعر الماركسيون بخطر حركتنا الزاحفة فزادوا من قوة نشاطهم محاولين بالارهاب وباستعداء السلطات علينـــا تعطيل اجتماعاتنا . وكانت الصحافـة الماركسية تلعب دورها في التحريض علينا وفي التهليـــل والتصفيق لكل محاولة يحالفها التوفيق .

ولكن ماذا نقول عن الاحزاب البورجوازيـــة التي كانت تفرح لفرح الماركسيين حين يتمكن هؤلاء من تعطيل أحد اجتماعاتنا ؟ فقد كان يفرحهم أن ينهزم حزبنا أمام الحزب الماركسي الذي كان قـــد هزمهم في السابق . وماذا نقول في الموظفين الاداريين ومدراء البوليس، وحتى الوزراء المتظاهرين بالوطنية الذين يتسابقون لخدمة الماركسية حين تصطدم بحزبنا الوطني الاشتراكي ؟

هذه العقلية المريضة هي التي اجبرت مدير البوليس السابق بوهنر ، هـــذا الموظف المثالي ، على القول للذين أرادوا رشوته : « لقد حرصت في حياتي ان اكون المانياً قبل ان اكون موظفاً . وأنا كأماني صميم لا اسمح لأحد بأن يشك في نزاهتي وطهـــارة ذيلي. وإذا كان لدينا موظفون يقبلون الرشوة. فهـــؤلاء هم حثالة شعبنا ، وأن الدم الذي يسري في عروقهم ليس دماً ألمانياً ناقياً » .

لاسباب كهذه كان علينا أن نوسع نطاق منظمتنا الدفاعية . وقد حرصنا على اظهار فرقة الهجوم بمظهر يستهوي الجماهير ، كما حرصنا على أن نجعل منها قوة معنوية مشبعة بالمثالية الوطنية الاشتراكية ، فلا يكون لها طابع الجمعية السرية ولا عقلية المنظمات البورجوازية المنشأة لاغراض دفاعية .

وقد قام هذا الحرص للاعتبارات التالية :

ان التربية العسكرية لدى المنظمات الخاصة تعتمد على المساعدات المالية التي تقدمها لها الدولة . يضاف إلى ذلك أن هذه المنظمات الخاصة تكتفي بالنظام الأختياري ، وهذا معناه عدم تمكين القيادة من معاقبة من يجب معاقبته .

لقد كان انشاء « الوحدات الحرة » ممكناً في ربيع ١٩١٩ لانها أُنشأت من المحاربين القدماء والجنود المسرحين حديثاً ، وكلهم سبق وتخرجوا من مدرسة النظام والانضباط أي الجيش الألماني . أما النظام والانضباط ففضيلتان لم تتوفرا لدى رجال « المنظمات الدفاعيـــة البورجوازية ، فهي لم تضم من الجنود والمسرحين إلا بنسبة عشرة بالمئة . وقـــد كان تدريب المتطوع في تلك المنظمات يجري بصورة شكلية . فالمتطوع الذي لم يحمل بندقية من قبل ، كان

يخضع لتدريب لمدة ساعتين اسبوعياً على أن تنتهي مدة تدربية خلال ستة أشهر .

عندما أقترح بعض الرفاق على جعل منظمتنا الهجومية ذات طابع سري عارضت هذا الاقتراح بشدة ، لان المنظمات السرية ستبقى ضمن نطاق محدود وضيق خوفاً من افتضاح أمرها تجاه السلطات . علماً أن شعبنا يميل إلى الثرثره ، فالمحافظة على سرية القرارات المتخذة أمر صعب جداً ، خاصة وأن للسلطات مؤسسات بوليسية تتزود بالمعلومات الأولية من المخبرين والجواسيس البارعين في فن الكذب والتلفيق . فحركتنا لم تكن بحاجة إلى مئة متآمر شجاع ، ولكنها تحتاج إلى جيش يضم آلاف المناضلين المتعصبين العاملين في وضح النهار ليبهروا الجماهير بمظاهر القوة وحسن التنظيم . وحركتنا لن تنتصر ما دام الشارع تحت سيطرة الحمر ، لذلك يجب علينا ان نبرهن لهم أن الوطنيين الاشتراكيين هم أسياد الشارع القابضين على الزمام .

أما خطر المنظمات السرية فيكمن في ظاهرة شائعة في ايامنا . فاعضاء هذه المنظمات لا يدركون عظمة مهمتهم ، وكل ما يدركوه أن مصير شعب من الشعوب يمكن أن تقرره جريمة قتل !

ويمكن الاخذ بنظرية الاغتيالات حين يكون الشعب خاضعاً لحكم طاغية مستبد ، ففي هذه الحالة يمكن أن يبرز مواطن من صفوف الشعب ويغمد خنجره في صدر الطاغية ، ولا ننسى ان شيلر مجد في « غليوم تل » جريمة من هذا النوع .

كان يخشى بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ ان تلجأ المنظمات السرية إلى سلسلة اغتيالات للانتقام من مسببي الكارثة ومن مستغلي محنة الوطن ، ولو أنها فعلت ذلك لجاء هذا الانتقام في غير محله . إذ أن الماركسية لم تنجح بفضل عبقرية قادتها ، بل نجحت لان العالم البورجوازي أفسح لها مجال العمل بانطوائه على نفسه ... ولا أستطيع أن أفهم كيف يلقي البورجوازي الفرنسي سلاحه امام رجال من طراز روبسبير ودانتون ومارا ، ولكن أليس من العار أن ينحني

البورجوازي الالماني امام أشباه الرجال أمثال شيدمان وارزبرجر وفردريك اليبرت وغيرهم من اقزام السياسة ؟ لذلك فاغتيال زعيم أو أكثر لن يعود على القضية القومية بأية فائده ما دام هناك من يستطيع أن يأخذ مكانه . جميع هذه الاعتبارات جعلتني اعارض مشروع جعل « فرقة الهجوم » ذات طابع سري، وحرصت منذ ذلك الحين على منع انصارنا من الانتظام في منظمات تعمل في الظـــلام .

بعد أن قررنا ازالة الطابع السري عن « فرقـــة الهجوم » وابعادها عن المنظمات الدفاعية ، انصرفنا إلى العناية بامور ثلاثة هي : التدريب ، وعلنية الاجتماعات والاستعراضات ، واللباس الخاص .

أما التدريب فلم ننظر اليه من ناحية عسكرية بحتة ، بل حرصنا على جعله منسجماً ومصلحة الحزب، فمثلاً أولينا الأفضلية للتمارين الرياضية بدلاً من التمارين العسكرية ، فقد كان رأيي دائمـــاً أن الملاكمة والمصارعة اليابانية افضل من التدريب على الرماية تدريباً ناقصاً .

ولإزالة الطابع السري عن الفرقة فقد حظرنا على الرجـــال التستر والتآمر بعد أن وسعنا نطاقها ، وحرصنا على توسيع افكارهم حتى يشعروا انهم حمـــاة فكرة مثالية واعداء عقيدة غريبة تريد بالوطن شراً .

اما بالنسبة للباس الخاص فقـــد حرصنا على جعله لائقاً بالرجال من حيث اللون والزي ونوعية القماش .

وفي أواخر صيف ١٩٢٢ جاءت ثلاث مناسبات كانت بمثابة امتحان للفرقة، فأجتازتها بنجاح باهر أدى الى نموها وعاد على الحركة بالفوائـــد الكثيرة . أما المناسبات الثلاث فكانت :

أولاً : التظاهرة التي قامت بها الهيئات الوطنية في ساحـــة كونيفس في ميونيخ احتجاجاً على قانون حماية الجمهورية .

فقد اشترك حزبنا في التظاهرة، ومشى الرجال في صفوف متواصلة، منتظمة

وكانت فرق الهجوم الخاصة بمدينة ميونيخ تتقدم الصفوف بنظام بديع تحمل على سواعدها خمس عشرة راية . وقد استقبل الشعب هذه الفرق لدى دخولها استقبالاً حماسياً رائعاً ، وكان لي شرف الكلام بأسم الحزب فتلوت خطاباً جريئاً ألهب شعور ستين ألف مستمع .

وفي ذلك اليوم بالذات حاول الحمر التعرض لموكبنا ، فتصدت لهم فرقة الهجوم وصفت حسابهم في دقائق . وهكذا أثبتت حركتنا أنها قادرة على النزول الى الشارع وفرض سيطرتها عليه مزيلة ما كان باقياً من أوهام في اذهان الشعب حول قوة الحمر في ميونيخ .

ثانيا : زيارة مدينه كوبورغ .

قررت المنظمات « العنصرية » عقد مؤتمر الماني في كوبورغ في تشرين الاول ١٩٢٢ ، وقد تلقيت دعوة للحضور مع الرجاء بأن اصطحب معي نفراً من انصار الحزب الوطني الاشتراكي . فقررت أخذ ثمانماية من رجال فرقة الهجوم ونقلهم بقطار خاص من ميونيخ الى كوبورغ . وبناء للتعليمات المرسلة الى انصار الحركة في الاماكن التي مر بها القطار ، كان يستقبلنا في كل محطة وفود الوطنيين الاشتراكيين ومعهم اعلامهم ، مما كان له أكبر التأثير في نفوس السكان .

ولكن في محطة كوبورغ كانت تنتظرنا مفاجئة مزعجة .

فقد استقبلتنا لجنة تنظيم المؤتمر وأبلغتنا أن النقابات المحلية والحزب الاشتراكي المستقل والحزب الشيوعي والسلطات المحلية قررت بالاشتراك مع منظمي المؤتمر عدم السماح بدخول المدينة إلا بمجموعات صغيرة بدون أي مواكب أو اعلام ... وقد رفضت دون تردد هذه الشروط الغريبة قائلاً أن هذا المسلك غير مشرف وصرحت لهم ان فرق الهجرم ستدخل المدينة صفوفاً متراصة تتقدمها الاعلام والموسيقى ... وهكذا كان ...

وقبل أن نغادر المحطة وصلت جماهير غفيرة كانت تنتظر اشارة من خصومنا لتتحرش بنا ، وراحت تكيل لنا الشتائم لكن فرقنا لم تلتفت إليها واستمرت في تنظيم صفوفها ، ووصلت قوات من البوليس ورافقت الموكب الى قاعة هوفمبروهوس في وسط المدينة، وقد لحقت بنا الجماهير الغاضبة دون أن ترتد عن التحرش بنا . وما أن دخلنا القاعة حتى هجم المشاغبون يريدون اقتحامها، لكن البوليس سارع الى اقفال الابواب كمن يريد وضع الاجتماع تحت حمايته ، فجمعت الرجال فوراً وطلبت منهم أن يكونوا على استعداد تام ثم طلبت فتح الابواب حالاً وقلت لقائد البوليس بأننا قادرين على حماية الاجتماع بطرقنا الخاصة عندما يحين الموعد وافهمته أننا نريد الذهاب الى مركز الحزب في كوبورغ. فأمر بفتح الابواب وسلكناطريقاً آخراً متجهين الى المركز منشدين الاناشيد القومية . ولما وجد الحمر وحلفاؤهم ان الشتائم لم تخرجنا عن وقارنا عمدوا الى رشقنا بالحجاره ، فنفذ صبر الرجال وشمروا عن سواعـــدهم القوية وهجموا على المعتدين وفي أقل من عشر دقائــــق خلت الشوارع من المشاغبين .

وقد حصلت اصطدامات عنيفة في الليل في عدة احياء من كوبورغ . وقد اعتدى الحمر علىاخوان لنا من ابناء المدينة بشكل وحشي ، ولكن رجال فرقة الهجوم اعادت الكرة عليهم ونظفت الشوارع منهم وسحقت ارهاب الحمر الذي سيطر على كوبورغ لسنوات .

لكن الماركسيين لم يكتفوا بما حصل، فدعوا الى تظاهرات شعبية يمشي فيها الوف العمال، وزعمت نشراتهم أن « الوطنيين الاشتراكيين دخلوا المدينة ليقوموا فيها بحملة ارهابية ضد العمال المسالمين » ولما علمت بالخبر أمرت فرق الهجوم بتجهيز الف وخمسماية رجل بالاشتراك مع الانصار المحليين ، ومشيت على رأس هذه القوة إلى قلعة المدينة مروراً بالميدان الذي دعي العمال إلى التجمهر فيه ،وقد كان هدفنا تحدي الخصوم وتلقينهم درساً لا ينسوه . لكننا لم نجد في الميدان

إلا بضع مئات من الرجال والنساء والاولاد ، فمررنا بهم تتقدمنا الأعلام والموسيقى دون أن يحركوا ساكناً أو تبدو من أحدهم بادرة عداء .

كان لمظاهرتنا فعل السحر في نفوس السكان ، فبعد أن كانوا غير مكترثين لنا وقفوا على الارصفة يحيونا ويهتفون لحركتنا ، كما أنهم شيعونا في المساء لغاية المحطة . وهناك فوجئنا برفض الموظفين المختصين قيادة القطار العائد بنا إلى ميونيخ ، وكان هذا بتحريض من النقابيين الماركسيين الذين تجمهروا حولنا ليراقبوا تطور الموقف . ولكني فاجأتهم بقولي بأنني لن اتورع عن احتجاز العشرات منهم في إحدى عربات القطار الذي سنتولى نحن قيادته بالرغم من عدم معرفتنا بالقيادة ، وإذا تدهور القطار سنهلك ويهلك معنا الذين احتجزناهم ، وهذا الاقتراح ينسجم مع مبدأهم في المساواة حتى في الموت . وكان لهذا التهديد نتيجة حسنة إذ تحرك بنا القطار من المحطة في الموعد المحدد ووصلنا ميونيخ في اليوم التالي سالمين .

لم تظهر نتائج رحلتنا إلى كوبورغ دفعة واحدة ، ولكن رجال « فرقة الهجوم » عادوا من رحلتهم وقد أزدادت ثقتهم بانفسهم وبرؤسائهم . وكذلك الذين استخفوا بحركتنا في بدايتها ، فقد بدأوا ينظرون إلى الحزب الوطني الاشتراكي كمؤسسة قوية ستتمكن يوماً ما من الوقوف في وجه الوباء الماركسي في المانيا .

أما انتصارنا في كوبورغ فقد شجعنا على مواجهة الأرهاب الأحمر في كل مدينة وقرية ، وتمكنا من سحقه حتى في المناطق الخاضعة لسيطرة الحمر . وهكذا أعاد حزبنا حرية عقد الأجتماعات وتنفس الناس الصعداء في بافاريا لسقوط كابوس الماركسية الرهيب . وما أن أنتهى عام ١٩٢٢ حتى أصبح لدينا أفواجاً جديدة ألفنا منها ومن الأفواج السابقة « جيش الهجوم » .

ثالثاً : في اذار ١٩٢٣ أحتل الفرنسيون منطقة الروهر . فاجمعت الاحزاب

والمنظمات ذات الطابـع القومي على ضرورة جعل المنظمات الدفاعية كوحدات عسكرية ذات طابـع هجومي . وقـد ساهمنا نحن في ذلك واتحنا لجيش الهجوم فرصة المساهمة في الدفاع عن شرف الوطن . وما أن أنتهى هذا التدبير المؤقت حتى أعدنا لجيش الهجوم طابعـه الأول : جندي الحركة وعنوان قوتها وحامي مثاليتها .

الفصل التاسع عشر

القناع الفيديرالي

أثناء عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ اضطر حزبنا الناشيء إلى تحديد موقفه من قضية كان قد جرى حولها جدال طويل أثناء الحرب .

في فصول سابقة وصفت اعراض الانهيار الذي كان يهدد البلاد وهي منصرفة إلى منازلة الاعداء الشديدي المراس ، والمحت إلى المحاولات التي لجأت إليها الدعايات الانكليزية والفرنسية لتوسيع الخلاف بين جنوب المانيا وشمالها . ففي ربيع عام ١٩١٥ ظهرت نشرات حليفة تحمل بروسيا وحدها تبعة نشوب الحرب . وفي شتاء عام ١٩١٦ تركزت الدعايات على المان الجنوب مشجعة اياهم على التحرر من سيطرة البروسيين . ولا بد من الاعتراف أن الدعايات حول الحوادث الدامية بين ألمان الجنوب والشمال لم تكن دائماً كاذبة ومغرضة ... ولا بد من الإقرار أيضاً أن السلطات الالمانية المدنية والعسكرية وخاصة السلطات البافارية تلام أشد اللوم لعدم تعرضها للصحافة الالمانية الثرثارة التي كانت تنشر مقالات تبرز النزعات الانفصالية .

بدأ الحقد على بروسيا والبيت المالك أول ما بدأ في ميونيخ، ولا يسعنا إلا الاعتراف بأن الشعب لم يكن ليقع في شرك الدعايات الحليفة لو لم تكن الأدلة

كافية على سوء نية ولاة الشأن . فقــد كانت ادارة الاقتصاد القومي سيئة جداً . وكانت برلين مستأثرة بالسلطة ، وبرلين في نظر الرجل العادي هي بروسيا . . .

كان الشعب يعلم ان أمور الحرب التي تبرم منها متجمعة كلها في برلين، ولكنه كان يجهل ان منظمي أمور الحرب لم يكونوا برلينيين أو بروسيين وأن معظمهم لا يمت الى المانيا بصلة . . . أما حكومة بافاريا فكانت على علم تام بكل شيء ، ومع ذلك بقيت متجاهلة تفاقم التيار المعادي لبروسيا بدلاً من أن توقفه وتزيل ما علق بأذهان الناس من اوهام .

أما اليهودي الماكر الذي نظم مصالح الحرب ليسرق الشعب بواسطتهـا ، فقد تنبه الى أن النقمة ستنفجر بوجهه ، ولتفادي هذا الانفجار عمد الى التفريق بين ابناء الوطن الواحـــد ، فحرض بافاريا على بروسيا والعكس بالعكس ، ووقعت كلتاهما في الفخ الذي نصبه ونسوا خطورة العلقـــة الدولية التي كانت تمتص دماء الشعب .

واستمرت الحال على هذا الشكل الى ان نشبت الثورة ، فأنتهزها اليهود والبلاشفة فرصة ذهبية لتفكيك روابط الوطن الالماني . وعيّن منظم الثورة في بافاريا نفسه وصياً للمصالح البافارية، مع أنه آخر من يحق له الكلام بأسم الشعب البافاري وهو اليهودي الشرقي ذو الماضي المجهول .

لقد حرص منظم الثورة البافارية ، كورث اميزنر، على صبغ الحركة بطابع الهجوم على باقي أجزاء الرايخ ، وهـــو إذ يحرص على هذا إنما ينسجم مع نفسه كيهودي اصيل ومنفذ لتعليمات اليهودية العالمية التي شاءت تقطيع اوصال الوطن الالماني قبل بلشفة شعبه .

وحين انقذت القوات الالمانية بافاريا من مخالب البلاشفة ادعت دعايتهم أن نضال الحمر في سبيل بقاء سيطرتهم بأنه « نضال العمال البافاريين ضد العسكريين البروسيين » . وقـــد كان لهذه الدعاية المغرضة صداها المطلوب فأزداد نفور

البافاريين من بروسيا كما ازداد حقدهم عليها ...

في ذلك الحين نزلت أنا الى المعترك لكي أساهم في الحد من هذه الدعايات ، ودعوة المواطنين الى تفهم عواقب انقسامهم .

كانت مهمتي صعبة لأن النقمة على بروسيا بلغت حداً من الذروة في الاوساط البافارية ، ففي كل مدينـــة أو قرية كانت تقوم منظمات خاصة تحض السكان على كراهية البروسيين وتدعوهم الى الانفصال .

لكني قررت الصمود في وجه التيار فحضرت اجتماعاً عقده غلاة الانفصاليين في قاعة لوفن – بروكلر في ميونيخ ، وذهبت برافقة بعض الاصدقاء . وبعد أن انتهى أول الخطباء ، نهضت من مكاني وارتجلت كلمـــة صريحة نددت فيها بالنزعة الانفصاليـــة ، وقلت لهم أن النزاع القائم لن يفيد منه إلا المغامرين الدوليين من يهود وماركسيين. لكن صراحتي هذه اغضبت الحاضرين وتصدت لي جماعة منهم تريد مهاجمتي لولا ان احاطني رفاقي الشجعان بسواعدهم واخرجوني من القاعة .

وتكررت مداخلاتي منذ ذلك الوقت وازداد عـــدد المؤيدين والاصدقاء ، ولكن الانفصاليين لم يتركونا وشأننا بل كانوا يعتدون على رفاقي بالضرب واللكم بشكل وحشي مؤسف .

وبعد قيام الحزب تبنى وجهة نظري وقـــام بالعبء الضخم الذي قمت به لوحدي في عام ١٩١٩ والاشهر الأولى من عـــام ١٩٢٠ ، معتمداً على وطنية المناصرين من أبناء بافاريا الذين بذلوا جهدهم لتنوير اذهان مواطنيهم ، متحملين انواع الأذى وشتى انواع الاعتداءات .

ولما ازدادت حملة الحزب ضد الاتجاه الانفصالي عمد اليهود الى تكتيك جديد لتغطية لعبتهم الخطرة فزعموا أن الحركة الي افتعلوها تهدف الى انشاء دويلات الرايخ على أساس اتحـاد فيدرالي ، بشرط أن تقطع بروسيا لمصلحة الدويـلات المجاورة لها ، وهكذا افتضحت اللعبـــة الانفصالية الخطيرة وتسهلت بالتالي

مهمتنا الى حـــد كبير ، وجاءت حادثة دورتن الانفصالي الريناني الخائن ، فأزالت الوهم العالق في اذهان المخدوعـين من ابناء بافاريا وتبين لهم أن زعمـاء الحركة الانفصالية والفيدرالية مأجورون للاجنبي ويعملون لحساب انكلترا أو فرنسا .

وقد لاحظنا أن الحمـلة التي استهدفت بروسيا انصبت على العناصر البروسية المحافظة دون غيرها ، بأعتبار ان المحافظين رفضوا دستور فيمار الذي وضعه المان الجنوب واليهود ... وعندمـا شعر اليهود بتلاشي الحركة الانفصاليـة صرفوا الاذهان عن اعمالهم في السلب والنهب والايقاع بين المحافظين البافاريين والمحافظين البروسيين .

أما الشعب فكان في غفلة عن دسائس اليهود ، وفي شتاء عام ١٩١٩ حاولنا تنوير الاذهـان الى الخطر اليهودي المتفاقم لكن النـاس استنكروا هذه الحملة ونعتونا بالمتعصبين . ولا بـد من الاعتراف أن الفضل الأكـبر في اثارة المسألة اليهودية يرجع الى « عصبة الدفاع والهجوم » التي نشأت في العام المذكور ، والتي تبنى فكرتهـا الحزب الوطني الاشتراكي وجعلهـا محور حركة شعبية واسعة النطاق. لكن اليهود علموا بهذا الخطر الجديد فبادروا الى حماية أنفسهم معتمدين طريقتهم التقليدية . فأثاروا القضايا المذهبيـة في ثلاث صحف مأجورة ووقفوا يتفرجون على الجـدل العقيم بين الكاثوليك والبروتستانت ، وعلى ما نجم عن هذا الجدل من أنقسام بين صفوف العنصريين القائمين بالحركة اللاسامية .

نسي الكاثوليك والبروتستانت عـدوهم المشترك ليقاتلوا بعضهم البعض ، نسوا هذا الغريب ذا الشعر الاسود والأنـــف الطويل الذي يعيش عالة عليهم ويدبر لهم المؤامرات ويلطخ دمهم الآري . نسوا أن اليهودي الوسخ هو عدو المسيحية لا فرق عنده بين كاثوليكي وبروتستانتي ، وهو الذي يتجاسر على هدر كرامة الآري النبيل حامل مشعل الحضارة عبر الاجيال .

نسوا كل هذا ليدخلوا في جدل عقيم حول قضايا بعيدة عن جوهر الدين بعد الارض عن السماء ، وقامت الصحافة الماركسية والملحدة لتزيد النار اشتعالاً بنشرها آراء الطرفين السخيفة . وبدلاً من أن يبادر العنصريون الى اخماد النار نزلوا الى المعترك وادخلوا الحركة العنصرية في النزاع الديني القائم . وفي هذه الاثناء كان اليهودي يتابع تلويث دم شعبنا وهدر كرامته وتحطيم مصالحة ، وكان اعداءنا في الخارج يقسمون العالم فيما بينهم ساخرين من مشاكلنا الداخلية الحقيرة .

*

اضطر الحزب الوطني الاشتراكي إلى تحديد موقفه من النزاع القائم بين الفدراليين وأنصار الدولة الموحدة . فقد وجب عليه ابداء رأيه في هذا النزاع دون أن يتدخل تدخلا فعلياً .

كان علينا ، والحالة هذه ، أن نحدد مفهومنا للدولة الاتحادية لأن هذا التعبير قد اسيء فهمه حتى في عهد بسمارك .

فالدولة الاتحادية هي مجموعة دول مستقلة اتحدت فيما بينها وتنازلت لهذا الاتحاد عن بعض حقوقها كدول ذات سيادة . وهذا التعريف لم يطبق عملياً في الدول الاتحادية الموجودة ، فالولايات المتحدة الاميركية مثلا لم تنشأ عن اتفاق دول ذات سيادة بأعتبار ان هذه الولايات التي تألف منها الاتحاد لم تكن دولاً ذات سيادة أصلاً ، حتى ان بعضها جاء نتيجة الاتحاد نفسه كذلك الولايات لم تمارس أية سيادة لا قبل الاتحاد ولا بعده ، فهي تمارس الحقوق التي حددها لها الدستور واصبحت كامتيازات محلية .

كذلك لا ينطبق هذا التعريف على المانيا انطباقاً تاماً، رغماً عن كون الدول التي يتألف منها الاتحاد قد سبق قيامها انشاء الاتحاد. فالرايخ الالماني لم ينشأ عن اتفاق بين الدول الالمانية أو نتيجة تعاون متساو بينها ، بل كان نتيجة تفوق احداها أي بروسيا .

فبروسيا كانت من حيث المساحة أكبر الدول الألمانية ، وأكثرها عطاء ، فكان من البديهي أن تتزعم حركة تكوين الدولة الاتحادية ، يضاف إلى ذلك أن سيادة الدويلات الألمانية كانت اسمية فقط ، وبذلك يمكن القول أن هـــذه الدويلات تنازلت للاتحاد عن حقوق لم تمارسها أو ربما مارستها جزئياً .

ليس هناك مجال لبحث قضية هذه الدويلات ، وتكفي الأشارة إلى ضعف تركيب هذه الدويلات أن نذكر أن انشاءها كان لاعتبارات سياسية محضة وفي اسوأ العهود التي مرت بالرايخ ، أي عهود ضعفه وإنهياره .

عندما انشأ بسمارك الرايخ الألماني أخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار ، فجعل تمثيل دول الاتحاد في مجلس « البوندسرات » متناسباً مع اهمية كل منها . وكان معتدلاً في تعزيز سلطة الرايخ على حساب الدويلات التي يتألف منها ، فما أخـذ منها إلا ما كان الاتحاد بحاجة ماسة إليه ، كما حرص في نفس الوقت على احترام العادات والتقاليد المحلية . وقد شاء المستشار الحديدي مداراة الدويلات الألمانية تاركاً للزمن إتمام ما بدأ به هو ، لأن الطفرة غـير مضمونة العواقب ، وبذلك برهن عن بعد نظره وسلامة تفكيره . وهكذا نما الرايخ نمواً كبيراً على حساب الدويلات الألمانية .

أما بعد الحرب والهزيمة ، فكان من البديهي أن تفقد الدويلات الألمانيـــة اهميتها بمجرد زوال الانظمة الملكية ، ورأينا الكثير من هذه « الدول الوهمية » تندمج في دول أخرى مجاورة لها أو تتعلق بركابها .

وبالاضافة إلى الضربة القاصمة التي وجهت إلى نظام الرايخ الأتحـادي نتيجة لإنهيار النظام الملكي ، فقد أجهزت على هذا النظام الشروط والالتزامات التي فرضتها علينا معاهدة الصلح . إذ أن الرايخ جرد الدول الالمانية من صلاحياتها المالية عندما فرضت عليه التزامات مرهقـــة لا يتمكن من احتمالها بالاعتماد على الوسائل العادية المتوفرة لديه ، ولم يكن تأميم السكك الحديدية والبريد سوى نتيجة حتمية لسياسة التخاذل التي تبعهـــا الرايخ حيال المنتصرين فقـد

أضطرته الحاجة الماسة إلى المال ليقوم بالتزاماته إلى أن يضع يـده على موارد البلاد كلها .

فلو عرفت الأحزاب الألمانية كيف تنهي الحرب نهاية حسنة لما أضطر الرايخ إلى الاستئثار بالسلطة وتجريد الدول الألمانية من معالم سيادتها ارضاء للمنتصرين. لكن الأحزاب تجاهلت حقوق الرايخ ومصالحه أبان الحرب وذلك لتلتفت لخدمة مصالحها الخاصة .

ان الذين يبكون اليوم على السيادة الضائعة والحقوق السليبة هم من المنافقين الذين يحاولون تغطية مساوئهم. فهم ساهموا مساهمة مباشرة في القضاء على الأسس التي وضعها بسمارك للدولة الفدرالية ، وقاموا اليوم باتهام الرايخ بالانانية ليبرئوا أنفسهم تجاه الناخبين . والادهى من ذلك أن الاحزاب تحاول أن تضع اللوم على الحكومة الاتحادية في برلين وتعتبرها المسؤولة عن اشراف الرايخ على ماليـــة الدويلات الألمانية ، هذا الاشراف الذي أثار الحقد في الاوساط الشعبية .

أن الشعب الألماني لم ينقم على الرايخ لانه انتزع من الدويلات التي يتكون منها مقومات سيادتها ، بل هو نقم عليه لانه لم يعبر عن أمانيه . وقـــد بقي الرايخ الحالي منقوماً عليه من الألمان ، ولئن تكن القوانين الاستثنائية والتدابير الأرهابية ضامنة لسلامة المؤسسات الجمهورية ، لكن هذه القوانين لن تنجح في تقريبها من قلوب الشعب .

كيف نطلب من الشعب أن يتعلق بالدولة ، حينما يشعر أن دولته خاضعة تمام الخضوع للقوى الدولية التي تسببت في خراب بلاده وجرتها الى هذه النهاية المؤسفة ، فقد كان الشعب فخوراً بانتمائه إلى الرايخ الألماني السابق وكان يجد فيه الطمأنينة في الداخل كما يجد فيه مظاهر العظمة والقوة في الخارج . أما الجمهورية فتضطهد المواطن في الداخل بينما تتخاذل حيال الخارج .

ان الدولة القوميه النشيطة ليست بحاجة إلى سن القوانين العديدة في الداخل ،

فالمواطنون يحترمونها ويؤيدوها وبالتالي يبعدون عن كل ما يسيء إلى سمعتها . لكن الدولة ذات الطابع الدولي تسخر رعاياها بالقوة وتعاملهم معاملة العبيد، لذلك فالنظام الحالي في المانيا لا يمكن أن يصف مواطنيه بانهم « مواطنون احرار » . فهذا كان شأنهم أيام الرايخ السابق ، أما الان فالجمهورية تستعبد شعبها لخدمة الأجنبي وليس لديهامواطنين ولا هي تملك علماً قومياً . أما الرمز الذي اختارته فقد احتقره الشعب ولم يعترف به .

تجد الدولة الحالية نفسها مضطرة الى تجاهـــل حقوق الدويلات الالمانية لا لاعتبارات مادية فحسب ، بل لاعتبارات سيكولوجية . فهي حين تتبع طريقة ارهاق الشعب بالضرائب والكبت والتضييق على الحريات تخشى انفجار النقمة الشعبية يوماً ما وتتحول الى ثورة مكشوفة ، وهي تجنح تدريجياً الى الاستئثار بالسلطة كلها منتزعة من حكومات الدويلات الالمانية البقية الباقية من معالم السيادة .

من الواضح أن دول العالم المتمدن تتجه الى المركزية ، والمانيا لن تشذ عن هذا التطور . فالتشبث بسيادة الدويلات في الرايخ الالماني هو السخف بعينه ، سيما والدويلات هذه قد فقدت اهميتها ومرتكزها الأساسي لسيادتها «الملكية». فالنظام الفدرالي كان له ما يبرره حين كانت وسائل النقل والمواصلات بطيئة . أما اليوم فبفضل المخترعات الحديثة اختصرت المسافات الطويلة وأصبح بالامكان الانتقال من ميونيخ الى برلين في ساعات معدودة .

اذن فالاتجاه نحو المركزية هـــو تطور لا بد منه .. أمـا نحن الوطنيين الاشتراكيين نجد أنفسنا مجبرين على محاربة هــــذه المركزية حين تتم في الوقت الحاضر لمصلحة دولة تسيء استعمال سلطتها. فالرايخ الحالي لم يؤمم مثلا السكك الحديدية تمشياً مع نهج قومي واضح نبيل ، لكنه اعتمـــد التأميم لينفذ شروط المنتصرين وينزل عند رغباتهم .

لذلك وجد حزبنا نفسه معادياً للمركزية . وهنـــاك سبب آخر لمعاداة

المركزية ، فهي قد تؤدي الى تقوية نظام حكم معين كان ولم يزل وبالاً على الأمة الالمانية . ولما كان هدفنا الرئيسي القضاء على النظام «الديمقراطي ـ اليهودي» وأقامة دولة عنصرية يتوفر فيهـا للشعب جو العمل والابداع ، فقـد قررنا والاحزاب البافارية ، التي بدأت تتبرم بأزدياد صلاحيات الرايخ الجديد ، وتعادي المركزية . وقد حاولنا رفع القضية الى مستوى رفيع يجعل منها قضية قومية والمانية بعكس ما يريدها « حزب الشعب البافاري » قضية محلية ذات طابع خاص .

وهناك سبباً آخراً لا يقل أهمية عن السببين السابقين ، فقد تجمع لدينـا أكثر من دليل على أن اليهود هم وراء جنوح برلين نحو المركزية المطلقة ، وان ما يدعى « بالتأميم من أجل الرايخ الالماني » لم يكن في الحقيقة إلا محاولة لسحب المشروعات الكبيرة من الدويلات ليتمكن اليهـود والاحزاب التي يوجهونها من استثمار تلك المشاريع بأنفسهم ولمصلحة مؤيـــديهم . فبعد تأميم البريـد قامت السلطات بطرد موظفي الادارة القدامى وعينت مكانهم اشخاصاً تثـــق بهم وبولائهم الى الجمهورية ، وعهدت بفريق من الخبراء اليهود لعملية الاشراف على الاستثمار ...

يجب أن لا نفسر محاربتنا للمركزية بأنها محاربة للمبدأ بحد ذاته ، فنحن من محبذي توسيع صلاحيات الرايخ ، لأن الدولة نفسها ليست اكثر من شكل، أما الجوهر الذي يحتويه هذا الشكل فهو الشعب . ومن الواضح ان مصلحة الدولة يجب أن تخضع لمصلحة الشعب وتنسجم معها . ولـما كانت النزعات الخاصة لكل دويلة من الدويلات الالمانية تتعارض ومصلحـــة الشعب الالماني ، فنحن نكون ضد هـذه النزعات ولا نعترف للدويلات بحقوق الدولة ذات السيادة ، ونطالب بمنعها من تبادل الممثلين الدبلوماسيين مع الخارج ، بأعتبار ان هـــذه النزعة الخاصـــة تكشف عن ضعف الرايـــخ في العواصم الاجنبية وتغري به الطامعين .

فالدولة القومية التي نطمح إليها إنما هي دولة موحـــدة لن تعتبر المركزية كوسيلة للاستئثار بالمنافع ، ولن تعمل على القضاء على ميزات البافاريين وابنـاء الساكس والبروسيين وغيرهم ... فهي ستشجع مثلاً بقاء ميونيخ عاصمـــة الفن لالماني الرفيع ، وليبزيـغ عاصمة العلوم ، ولكنها بنفس الوقت لن تسمح بأنه يكون لبافـاريا جيش ذو طابع بافاري وللساكس جيش ذو لباس وأعـــلام خاصة به ... فالجيش الالمـــاني في الدولة القومية يجب أن يبقى بعيداً عن التيارات الخصوصية لأن الدولة القومية ستجعل منه بوتقة تنصهر بها النزعات المختلفة ، فينسى الجندي البافاري أنه له وطنين : بافاريا والرايخ ، فيعتز بأنه ينتسب إلى الأمة الالمانية .

قلت ان الحزب الوطني الاشتراكي هو ضد المركزية التي تتم لمصلحة الرايخ الحالي . لكن الحزب يرحب بكل خطوة تخطوها الجمهورية لتنظـيم الجيش واخضاعه للمركزية ... اليس من العار أن يبقى الجندي البافاري في ثكنة ميونيخ والجندي من وارتمبورغ في ثكنات شتوتغارت وابناء امارة فرنكوني في ثكنات نورمبرغ ؟ إلا يكون افضـل للبافاري ان يتـاح له فرصة زيارة بلاده فيرى تباعاً رينانياو وستفاليا ومنطقة بحر الشمال ؟ وأن نتيح لأبن هامبورغ رؤية الألب ولأبن بروسيا الاقامة في ميونيخ لبعض الوقت ؟

إن الدولة التي ندعو لهـا بالمركزية هي التي تكمل ما بدأه بسمارك دون ان تتعرض للطابع الخاص لكل جزء من اجزاء الوطن الالماني ، وهي التي تحمل هذه الاجزاء على التنازل بمحض إرادتها واختيارها عن آخر حـق من حقوقها في السيادة .

هذه الدولة التي نطلب هي الدولة العنصريةالتي تسود فيها العقيدة الوطنية الاشتراكية .

أخيراً يتهمنا الانفصاليون في بافاريا أننا نعمل لمصلحة برلين بينما يتهمنا

الحمر بأننا انعزاليون متعصبون ، كذلك تتهمنا برلين بأننا نقـف في طريق المركزية التي تريدها ..

إن الحركة القومية تسخر من الحدود المصطنعة والنزعات المفتعلة لأنها تعمل على تحقيق الوحدة الالمانية الشاملة ، والسير بالأمة الواحدة في طريق المجد والعظمة ..



هتلر والحركة النقابية

الفصل العشرون

الدعاية والتنظيم

كان لعام ١٩٢١ معنى خاص بالنسبة لي شخصياً وبالنسبة إلى الحركة الوطنية الاشتراكية . فبعد ان أصبحت عضواً في حزب العمال الألماني اضطلعت بمهمة تنظيم الدعاية للحزب والاشراف على توجيهها ، وذلك بعد مضي بضعة أشهر من انضمامي إلى الحزب . وقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن مسؤليتي ستتعدى التنظيم والاشراف من الناحية الادارية ، بل ستتعداها إلى نشر الفكرة نفسها ، فالدعاية يجب أن تسبق التنظيم لتجمع حول الفكرة أكبر عدد ممكن من الناس. ولم ابدل رأيي هذا فيما بعد لاقتناعي أن الترتيبات المرتجلة لا يمكن ان تنبثق منها منظمة حية ، لان المنظمات تستمد وجودها من كائن عضوي ينمو نمواً طبيعياً مستمراً .

عندما يتبنى فريق من الناس فكرة ما نراهم يسارعون إلى تنظيم جمعية أو حزب ينضمون اليه ، وهذا التطور السريع له ميزته الكبرى ، ولكن في أغلب الاحزاب تبرز في هذه المنظمة أو الحزب شخصية موهوبة تصلح للزعامة فتفرض نفسها والحركة لا تزال في بدايتها وتعمل على رسم سياستها وتوجيهها . لكن هذا

الاستئثار قبل ان تنتشر الفكرة بشكل كاف يؤدي في أغلب الاحيان إلى نتائج سيئة ويكون وبالاً على الفكرة وعلى الحزب الذي يأخذ بها .

لذلك يجب العمل على نشر الفكرة اولاً ، وحين تجمع حولها عدداً ضخماً من المؤيدين ، يمكن البحث عن الأشخاص المؤهلين للزعامة . ويخطىء من يعتقد أن العلوم النظرية تكفي للشخص بان يصبح مؤهـــلا لاحتلال مركز الزعامة ، فالمفكرون قلما يصلحون للتنظيم لان عظمة المفكر ومؤسس المنهج تقوم على المعرفة وسن القوانين لكن المنظم يجب أن يكون رجلاً عملياً مطلعاً على نفسية البشر ليعـالج القضايا بشكل موضوعي ، ولا يسقط من حسابه ، في محاولته انشاء منظمة حية ، الضعف البشري والنزوات الحيوانية .

من النادر أن نجد صاحب فكرة مؤهلاً للزعامة . ولكن باستطاعتنا إيجاد زعماء بين صفوف المحرضين مثلاً لانهم يكونون أعلم من غيرهم بنفسية الجماهير نتيجة احتكاكهم بها . فالمفكر دائماً منطو على نفسه مستغرق في تأملاته بمعزل عن الناس . فالتوجيه والقيادة يعنيان تحريك الناس أو الشعب . أمـــا موهبة خلق النظريات والمباديء فانها لا تؤهل صاحبها للزعامة .

لقد اجهد فريق من المتناظرين أنفسهم في [illegible]من طويل حول مسألة عقيمة هي : من يستحق شكر الانسانية : صاحب الفكرة أم منفذها ؟ وقد سهى عن بالهم أن أعظم الأفكار تبقى بدون قيمة ان لم يخلق لها زعيم يتمكن من جذب الجمهور إليها ، كما ان أقدر الزعماء واذكاهم يبقى عاجزاً عن توجيـــه حركة لا يضع أهدافها رجـــل مفكر . ولكن إذا اتفق واجتمعت في شخص واحد مواهب الفكر والتنظيم والزعامة ، وهذا نادر ، انبثق من هذا الاجتماع الرجل العظيم — الفوهرر —

قلت اني انصرفت إلى تنظيم الدعاية بعد انضمامي للحزب . وقـد وضعت نصب عيني توفير نواة العتاد البشري الذي يمكن اعتماده كأساس للعمل المنظم . وبتوفر النواة تألفت العناصر الأولى المنظمة ، فقسمناها إلى قسمين : الانصار

والاعضــاء . وأصبح من واجب الدعاية حشد الأنصار ، ومن واجب المنظمة نفسها كسب الاعضاء أما الفرق بين الانصار والاعضاء فهو ان الأنصار تؤيد مبادىء الحركة وأهدافها ، أما الأعضاء فهم الذين يجاهدون في سبيل هـذه الحركة .

ان عمل الدعاية هو في كسب الأنصار ، وعمل الأعضاء هو في اختيار الأنصار وجعل المناسب منهم عضواً في الحركة. ولا يتطلب من الانصار أكثر من الاخذ بالفكرة ولكن العضو عليه أن يمثل هذه الفكرة ويدافع عنها وينشرها . لذلك كان الأعضاء قلة في المنظمة وكان الانصار أكثرية ساحقة ...

كان على الدعاية التي عهد الي بتنظمها وتوجيهها ان تجمع الانصار للفكرة ، وبعد ذلك تختار الحركة الاعضاء من بين هؤلاء الانصار ، ولم يكن على الدعاية ان تغربل هؤلاء الانصار وتصنفهم حسب كفاءاتهم ومعارفهم ، فهذه الغربلة من اختصاص المنظمة نفسها التي يمكنها اختيار الاعضاء الصالحين لتوجيه الحركة السير بها الى النصر .

*

تعمل الدعاية على نشر فكرة ما بين الشعب كله ، أما المنظمة فلا تدخل لديها إلا الذين لا يستطيعون ، لأسباب سيكولوجية ، ان يقفوا حجر عثرة في طريق انتشار الفكرة .

*

تدخل الدعاية في ذهن الشعب فكرة من الافكار وتعمل على ترسيخها في أذهانهم معدة اياهم ليوم النصر. أما المنظمة فتكافح في سبيل النصر معتمدة على هؤلاء الانصار وخاصة على الذين يتصفون بالشجاعة والاقدام .

*

يتوقف انتصار الفكرة على مـــدى النجاح الذي تحرزه الدعاية في كسب الانصار . اما انتصارها فيبقى مرتبطاً بتنظيم الهيئة التي يعهـــد إليها بقيادة النضال .

*

تظل الحركة بحاجة الى العديد من الانصار مهما بلغ عددهم ، ومتى تمكنت الدعاية من اقناع شعباً كاملاً تتمكن بالتالي المنظمـــة من استغلال هذا النجاح بقبضة من الرجال . لذلك فإن كل خطوة موفقة تقوم بها الدعاية تخفض من عدد الاعضاء العاملين ، أما وبحال فشلت الدعايات المنظمـة فإن الحركة ستحتاج الى جهاز أكبر من الموظفين والاعضاء . لذلك يمكن القول ان عدد الانصار يزداد نتيجة فشل الدعاية وينقص نتيجة نجاحها ..

*

أول مهمات الدعاية اجتذاب الناس الى الحركة ،وأول مهمات المنظمة كسب هؤلاء الناس ليتابعوا الدعاية وثاني المهمات الدعائية هي أثارة النقمة على الاوضاع السائدة واقناع الناس بأعتناق العقيدة الجديدة . أما مهمة المنظمة الثانية فهي الجهاد من أجل القوة لاستخدامها في تهديم أسس الاوضاع السائدة ونصرة العقيدة الجديدة .

*

يُضمن النجاح لحركة ثورية جديدة اذا مهد لها بتعليم الشعب كله مفهوماً جديداً للكون وللحياة ، أو حتى بفرض هذا المفهوم فرضاً عند اللزوم ، ففي كل حركة ذات أهداف انقلابية يجب على الدعايةأن تقوم بنشر مبادىء تلكالحركة وتشرحها وترسخها في عقول الناس ، أو على الأقل تسعى لزعزعة العقائدالقديمة . والدعاية بحـــاجة إلى مرتكز قوي يمكن توفيره بواسطة قوة المنظمة التي تعتبر كمرتكز للدعاية وعلى المنظمة أن تختار اعضاءها من بين الأنصار الذين استمالتهم

الدعاية إلى صفوف الحركة الجديدة . وتشتد قوة المنظمة حين يقبل الناس على اعتناق الفكرة كما يتسع نشاط الدعاية حين يكون وراءها منظمة قوية .

*

على المنظمة أن تسعى دائماً لمنع ظهور أي خلافات بين أعضائها ، تلك الخلافات التي من شأنها احداث شقاق يؤدي إلى إضعاف الحركة ، وبالتالي عليها أن تسهر على الابقاء على روح الكفاح مشتعلة لتقوى وتزداد يوماً بعد يوم . ولتحقيق هذا الغرض المزدوج لا تحتاج المنظمة إلى زيادة مطردة في عدد اعضائها ، لان الحزم والشجاعة هما من صفات القلة المختارة ، وفي التاريخ أكثر من دليل على ما آلت إليه الحركات التي نمت بسرعة من ضعف وتفكك ، لانها فتحت ذراعيها بعد نجاحها الذين رفضوا الاعتراف بها ومساعدتها قبل أن تبلغ هذا النجاح .

ان الحزب ذو الاهداف الانقلابية سيفقد طابعه الثوري حين يزداد عدد اعضائه بصورة غير طبيعية على اثر احرازه انتصاراً حاسماً . لأن الجبناء والاثانيين الذين وقفوا موقفاً لا مبالياً من الحركة اثناء كفاحها الأول لا بد لهم بعد انتصارها من التزلف لها وخطب ودها . فإذا هي قبلت بهم وادخلتهم في منظمتها فسرعان ما يحولوها عن اهدافها الحقيقية ويسخروها لخدمة مصالحهم الخاصة .

لذلك كان علي اقناع رفاقي بوجوب اقفال الباب في وجه الجمهور حين نحرز أول انتصار حاسم لنا ، لنتمكن من المحافظة على النواة السليمة والخيّرة التي اوكلنا إليها مهمة القيادة والتوجيه والسعي لتحقيق اهداف الحركة .

*

باشرت بإعداد الافكار الجديدة للحركة الوطنية الاشتراكية ، بصفتي مديراً للدعاية في الحزب ، وحرصت في نفس الوقت على تصفية العناصر المائعة والمترددة والخائفة وإقصائها عن اللجان التنفيذية والهيئات العاملة . وقد أقر لي المئات من الانصار انهم مع كونهم مخلصين للحركة بكل صدق ، لكنهم يفضلون في نفس الوقت عدم الدخول في الحزب كأعضاء عاملين وذلـك لاعتبارات شخصية أو خوفاً من المتاعب التي هم بغنى عنها . فلو فتحنا مجال الدخول لعضوية الحزب امام هذا النوع من الانصار المترددين لكنا قضينا على الحركة في مهدهـا ولأصبحت حركتنا حركة اخاء وحب وتقوى .

وقد ترتب على إعطاء الشكل النضالي الحي لحركة الدعاية التي تسلمتها، ترتب على ذلك إظهار الحركة الوطنية الاشتراكية بمظهر التطرف ، مما اقصى عنهـا الاتـكاليين والوصوليين والانتهازيين وضعفاء النفوس ، وجعل عضويتها وقفاً على المتصفين بالجرأة والإقدام.

في صيف عام ١٩٢١ لجأ فريق من العنصريين النظريين الى الاتفاق مع رئيس الحزب لوضع أيديهم على الحركة والانحراف بها عن غايتها ، لكننا أحبطنـا المحاولة وانتخبتني الجمعية العمومية رئيساً للحركة وأعطتني صلاحيات مطلقـة للعمل . وفي نفس الوقت وافقت الجمعية العمومية على مشروع نظام يخول الرئيس المنتخب صلاحيات جديدة ويحد بالتالي من صلاحيات اللجان والهيئـة المركزية أي مكتب الحزب . وقد بدأت عهدي الجديد بإعادة تنظيم الحزب لأن الحركة كانت قد تبنت الأنظمة التقليدية ووزعت السلطة بشكل ضاعت معه المسؤوليات.

ففي عامي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ قامت بإدارة الحركة لجنة انتخبتهـا مجالس الأعضاء. وكانت هذه اللجنة تتألف من رئيس ورئيس ثان وامين صندوق وأمين ثان وامين سر ومعاون ، يضاف اليهم جميعهم لجنة من الاعضاء ورئيس لشؤون الدعاية وغيرهم وغيرهم ...

وكانت هذه اللجنة المنتدبة صورة مصغرة لما كانت الحركة تحاربه اي النظام البرلماني. وكانت اجتماعات اللجنة صورة طبق الاصل عن جلسات البرلمان، فالقرارات تتخذ

بالأغلبية والمسؤولية تائهة ضائعة وكذلك المؤهلات .

وكان للجنة امناء سر وأمناء صندوق وهيئة لتنشئة الاعضاء الجدد وهيئة للدعاية وغير ذلك ... وكان هؤلاء يشتركون جميعهم في درس القضايا المعلقة ويصوتون عليها . وهكذا كان الرجل المختص في شؤون الدعاية يصوت مثلا على القضايا المالية وامين الصندوق يصوت على شؤون الدعاية والتنظيم .

لقد انتقدت هذه الفوضى حين كنت عضواً عادياً ، وبعد أن كلفت بشؤون الدعاية انقطعت عن حضور الاجتماعات ، ومنعت اعضاء اللجنة من التدخل في الحقل الذي أفردته الحركة لنشاطي.

وما ان انتخبت رئيساً وخولت الصلاحيات الكاملة بموجب النظام الجديد حتى باشرت بوضع حد للفوضى السائدة ، وحصرت المسؤوليات بي شخصياً . وابتداء من شهر ايلول ١٩٢١ اصبح الرئيس الاول هو المسؤول الوحيد عن الحركة: فهو الذي يكلف اعضاء اللجنة بمهامها ، ويختار معاونيه ويوجههم ويعتبر كلا منهم مسؤولاً تجاهه عن المهمة التي كلف بها ، وسرعان ما ألفت الحركة مبدأ المسؤولية المطلقة . أما الأقلية التي لم ترق لها الأوضاع الجديدة فقد طردتها من الحزب وبلغت جميع الفروع بوجوب طرد كل عضو يحنّ الى مبدأ الاكثرية، لأن الحركة التي اخذت على عاتقها محاربة النظم البرلمانية يجب ان تحرر نفسها من تلك النظم قبل تحرير البلاد . وقلت في خطابي الذي ألقيته في الجمعية العمومية ان الحركة التي تقوم في زمن طغى فيه مبدأ الاكثرية على مبدأ مسؤولية الفوهرر ، هي الحركة المؤهلة لتغيير الاوضاع القائمة وإنشاء نظام جديد يصلح ما أفسدته الأنظمة القديمة .

عندما انضممت الى الحزب في خريف ١٩١٩ ، كان عدد الاعضاء المؤسسين ستة فقط . ولم يكن للحزب مكتب ولا موظفون حتى ولا أدوات للكتابة ، وكانت اللجنة المؤسسة تعقد اجتماعاتها في المقاهي أو الحانات . ولكن منذ أن انضممت إلى الحزب حاولت ان اجد مكاناً يصلح لعقد الاجتماعات . وكان عليّ ان اراعي حالة الحزب المالية فلا أرهق ميزانيته في المصاريف ، فوجدت في

حانة سترينكر في شارع « ثال » حجرة كانت ملتقى مستشاري « الامبراطورية المقدسة » في بافاريا كلما ارادوا عقد اجتماع سري .

كانت الغرفة مظلمة تطل نافذتها الوحيدة على زقاق ضيق ، حتى اننا كنا نلاقي صعوبة في تبين طريقنا الى الباب،في النهار . ولم يكن باستطاعتنا استئجار مكان أنسب منه باعتبار ان وضع صندوق الحزب لا يسمح بذلك . ومع هذا كان ما حققناه في هذا المضمار يعتبر خطوة لا بأس بها . ولم تمض مدة طويلةحتى أوصلنا الكهرباء الى الغرفة المظلمة و كذلك حصلنا على هاتف خاص كما تبرع بعض الرفاق المقتدرين بشراء مكتب وبضعة كراسي وخزانة صغيرة . ولما لم يكن للحزب موظفون للأعمال الروتينية فقد اقترحت تعيين امين سر للحزب فوقع اختيارنا على احد اصدقائي القدامى وهو جندي قديم يدعى شوسلر الذي اضطلع بأعباء المهمة دون ان ينفك عن عمله . فكان يعمل في المكتب ساعتين يومياً من السادسة صباحاً حتى الثامنة، ثم ازدادت مسؤولياته كأمين سر وذلك بازدياد نشاط الحزب واتساع نطاق عمله فترك عمله الخاص وحصر نشاطه في خدمة الحزب ، واستجلب آلة ناسخة كان يمتلكها ووضعها في المكتب لتساعده في عمله ، ولكن الحزب اشتراها منه بأموال التبرعات ، كما اشترى صندوقاً حديدياً لحفظ الملفات والوثائق الهامة .

في نهاية عام ١٩٢٠ انتقلنا الى مكتب جديد في شارع كورينوس مؤلف من ثلاث غرف وقاعة كبيرة . وفي شهر كانون الاول من العام نفسه عمل الحزب الوطني الاشتراكي على إصدار جريدة،فأخذ علىعهدته إصدار جريدة«فولكيشر بيوباختر » التي كانت تعطف على النزعة العنصرية ، فبدأنا بإصدارها نصف اسبوعية إلى ان اصدرناها في مطلع عام ١٩٢٣ يومية وبحجم كبير. لكنها كانت الجريدة الوحيدة ذات الميول العنصرية في بلد تتلاعب بعقول سكانه الصحافة اليهودية المضللة . وقد شعرت في اللحظة الاولى لانتقال الجريدة الى الحزب انها أضعف من ان تثبت ضد حملات الصحفالمعادية وأن تنافسها من حيث الانتشار والرواج . أما سبب الضعف فيعود إلى قلة الامكانات المالية وقصر نظر القائمين

على ادارة الصحيفة. فقد اعتقد هؤلاء ان جريدة الحزب يجب ان تكتفي بمواردها الخاصة، أي بما تجنيه من اجور اشتراكات وإعلانات ومبيعات. أما انا فقد اعتبرت الجريدة مشروعاً تجارياً وقد ناقشت اللجنة المركزية مراراً الى أن أقنعتها وحملتها على الأخذ بوجهة نظري، فعملت بعد ذلك على اختيار مدير تجاري لجريدة الفولكيشر بيوباختر. وشاءت الظروف ان تضع في طريقي احد الرؤساء في خط النار «ماكس امان» وهو رجل يتمتع بمواهب تنظيمية خارقة، وكان الحزب في ذاك الوقت يجتاز مرحلة دقيقة ويعاني أزمة مالية خانقة. فناشدته ان يدير شؤون الحزب المالية والتجارية، فوافق بعد تمنع كثير بسبب مشاغله الكثيرة الناجحة التي كانت تأخذ كل وقته. لكنه اشترط للاضطلاع بهذه المهمة ان تطلق يده في العمل، فلا تتدخل اللجنة في عمله ضمن الحزب.

وقد تولى ماكس امان الاشراف على الجريدة من الناحية المالية، ولم تمض ثلاثة أشهر حتى كانت مالية الحزب منتظمة على اساس تغطية النفقات العادية بالعائدات العادية، وإنفاق المداخيل الاستثنائية في الوجوه الاستثنائية. وقد نظم ماكس العمل في الحزب كأنه ينظم عملاً تجارياً، فأبعد العناصر التي تنقصها الكفاءة من الوظائف في الحزب وفي الجريدة. واستعان في بعض الحقول بأشخاص لهم من الكفاءات والمؤهلات ما ينسجم والمصلحة المالية، رغماً عن كونهم غرباء عن الحزب. وقد عارض المسؤولون هذا الاسلوب، لكن ماكس لم يلتفت لمعارضتهم هذه باعتبار ان الانتساب للحزب لا يؤهل المنتسب لأداء مهام هو غير كفؤ لها. إلا ان هذا لم يمنعه من الاستغناء عن خدمات الغرباء حين يجد بين الاعضاء من تتوفر فيه الشروط المطلوبة.

وبفضل حزم المدير الجديد للحركة استطاع الحزب أن يتخطى الأزمة المالية بسلام، فازدهرت جريدة «الفولكيشر بيوباختر» وتصدرت مكانها اللائق بين الجرائد الرئيسية في بافاريا، وبعد أن انتخبت رئيساً للحزب تخلص ماكس نهائياً من مداخلات اللجنة لأن النظام الجديد وزع الاختصاص توزيعاً دقيقاً

انتفى معه تعارض الصلاحيات ، وأصبح كل عضو مسؤولاً عن الحقل الذي تعود اليه إدارته . وعندما حلت السلطات الحزب يوم التاسع من ايلول عـام ١٩٢٣ وصادرت أمواله وممتلكاته بما فيها جريدة « فولكيشر بيوباختر » بلغت قيمـة هذه الممتلكات ١٧٠ الف مارك ذهبي .

*

الفصل الحادي والعشرون

الحركة النقابيـــة

في عام ١٩٢٢ اضطرنا نمو الحركة الى تحديد موقفنا من قضية لم تظفر حـتى يومنا هذا بحل نهائي .

فحين كنا نبحث عن الوسائل التي تمكننا من غزو قلوب الشعب كنا نصطدم باعتراض لا سبيل إلى إنكار أهميته : لا يتمكن العامل او أي شخص كادح آخر، ان ينذر نفسه للحركة التي ندعو اليها طالما ان مصالحه الاقتصادية ممثلة في اشخاص تختلف آراؤهم السياسية عن آرائنا .

ذلك ان اي عامل أو ذي حرفة لا يتمكن من ممارسة أي عمل خارج النطاق النقابي ، فضمن نطاق النقابة يشعر بالاطمئنان الى وجود حماية له ولحرفته. وعند ظهور حركتنا كان هناك ثمانين بالمئة من العمال واصحاب الحرف منتظمـــين في نقابات وجمعيات تعاونية ناضلت طويلاً في سبيل رفـــع الاجور وتخفيض ساعات العمل .

وقد وقف البورجوازيون ، أحزاباً وأفراداً ، من الحركة النقابيـــة موقف المتفرج اللامبالي ، ولكن ما أن اشتد ساعد النقابات وسيطرت عليها الماركسية حتى وقف البورجوازيون لمحاربتها على الصعيد النظري البحت ، عوضاً عن معالجة هذه القضية بروح إيجابية محاولين استمالة هـــذه الحركة الجديدة إلى جانبهم ليستخدموها في مكافحة الماركسية .

وقد دافعت ، في فصل سابق ، عن الحركة النقابية واعترفت بحق الطبقات العمالية في التحالف والتكتل والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم ما دام هناك أرباب عمل أنانيون لا يهمهم إلا الكسب المادي ومراعاة مصالحهم الخاصة . ولم تتغير وجهة نظري مذ ذاك لأن عقلية أرباب العمل لم تتغير ، لذلك وجب على الحزب ان يحدد رأيه وموقفه من هذه القضية قبل ان يحاول استمالة العمال الى صفوفه لا سيما النقابيين .

فكان علينا ان نفصل في القضايا التالية :

١ — هل من الضرورة قيام النقابات ؟

٢ ـ أينبغي للحزب النازي ان يعتبر نفسه هيئة تعاونية أم يجوز له أن يعمل على إدخال أعضائه في إطار نقابي معين ؟

٣ ـ اذا أنشأ الحزب نقابة نازية محضة ، فما هي اهداف تلك النقابة وما هي واجباتها ؟

اظن انني وضحت رأيي في المسألة الأولى ، حين اعترفت بضرورة قيام النقابات في الاوضاع الراهنة . لأن المؤسسات النقابية تأتي في طليعة المؤسسات ذات الأثر في حياة الأمة اجتماعياً واقتصادياً لأن شعباً يؤمن لسواده حاجاته الحيوية ضمن نطاق مؤسسة نقابية معترف بها ، لهو شعب قادر على الانتصار في معركة البقاء بفضل تمتعه بقوى روحية ومادية ضخمة .

ولا ننسى أهمية النقابات في البرلمان الاقتصادي الذي يجب أن تؤلفه الغرف التجارية والاقتصادية في الدولة العنصرية .

إن الاعتراف بضرورة قيام الحركة النقابية يجعل المسألة الثانية سهلة الحل . فالحركة النازية (وقد أسميناها كذلك منذ عام ١٩٢٣) التي تهدف الى إنشاء الدولة العنصرية لن تسمح بوجود مؤسسات على هامش الدولة ، بل ستحرص على قيامها جميعاً من صميم الدولة . لكن حركتنا لن تقع في الخطأ الذي وقع فيه سواها ،فتحاول إعادة تنظيم الأجهزة قبل ان تحصل على العناصر المؤهلة للتنظيم ، لأن القيام بخطوة حاسمة في هذا السبيل يجب أن يسبقه اختيار رجال مشبعين

بالفكرة مؤمنين بها . نعم ، من الممكن فرض مبادىء زعيم أو دكتاتور على جهاز اجتماعي ما ، لكن هذه المبادىء تبقى ضعيفة اذا لم يأخذ بها جيش بشري منتخب وقادر على تحقيق فكرة الفوهرر .

لن تقع النازية في الاخطاء التي وقعت بها الاحزاب في العهد الجديد - العهد الجمهوري - فقد اعتقدت تلك الاحزاب ان مجرد سنها دستوراً جديداً للبلاد سيضمن لها الاستقرار والبقاء . وقد رأيناها ترتجل دستور «فيمار» وتقدمه هدية الى الشعب الالماني ، ثم وجدناها تهدم المؤسسات القائمة وتشيد على انقاضها مؤسسات جديدة تتوكأ عليها الدولة كأسس لسلطتها .

سيكون للدولة النازية مؤسساتها ، ولكنها لن ترتجل هذه المؤسسات لأن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تبنى على الرمال، ولكنها تنظم نفسها منذالآن كما لو انها دولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وكل مؤسسة نازية تقوم الآن تكون بمثابة النواة لأن تصبح فيما بعد إحدى دعائم الدولة النازية ، وهكذا تصبح حركتنا بمنظماتها ومبادئها ومفاهيمها المؤسسة الكبرى التي نعتبر تحقيقها المبرر الوحيد لقيام حزبنا .

لذلك وجب على الحركة النازية ان تنظم نفسها على اساس التعاون ، أو أن تؤسس تعاونيات نازية صرفة، كما ينبغي للحركة النازية ان تربي العمال وأصحاب العمل تربية نازية مسهلة للطرفين سبيل التعاون ضمن إطار المصلحة المشتركة ، فبغير هذا التقارب يبقى الجهد المبذول في سبيل بعث الجماعة الشعبية حبراً على ورق ...

بقيت لدينا المسألة الثالثة :

لن تكون الحركة النقابية النازية كجهاز للنضال الطبقي ، بل ستكون جهازاً للتمثيل الحرفي . فالدولة النازية لا تعترف بالطبقات ولكنها تعترف من الناحيةالسياسية فقط بوجود بورجوازيين متساوين في الحقوق والواجبات العامة، وكذلك بوجود رعايا لا يتمتعون من الوجهة السياسية بالحقوق المعترف بها للمواطنين .

فالتعاونية لا تعني بالنسبة للحزب الوطني الاشتراكي او النازي اداة للنضال، لكنها تعني ذلك بالنسبة للماركسية التي سخرتها في الصراع الطبقي كأداة لتفكيك روابط الجماعة الشعبية ، كما استخدمتها اليهودية العالمية في الوقت نفسه كأداة لهدم أسس الاقتصاد القومي لكل دولة مستقلة ليتسنى لها استعباد الشعوب الحرة.

لن يكون الإضراب بالنسبة للنقابات النازية ، وسيلة لتخريب الإنتاج القومي وتقويض أسسه ، بل سيكون الاضراب وسيلة من وسائل الازدهار لهذا الإنتاج ، فبفضل جهاد النازية وكفاحها ضد العوامل المصطنعة التي تفوّت على الاقتصاد القومي فرصة الإفادة من نشاط السواد ستبعث بذلك الإزدهار والنمو للإنتاج القومي.

يجب علينا ان نرسخ في عقل العامل النازي ان ازدهار الاقتصاد القومي ، يفسح له الفرصة للتمتع بالبحبوحة المادية .

يجب علينا ان نفهم رب العمل النازي ان ازدهار مشاريعه تتوقف على اطمئنان عماله الى مستوى معيشتهم وارتياحهم الى وضعهم .

في الدولة النازية يمثل أرباب العمل والعمال الشعب الألماني في الميدان الذي يعملون فيه ، ويتمتعون بقدر كاف من الحرية الشخصية ، لأن إنتاج الفرد يزداد بحال أعطيت له حرية العمل ضمن الحدود التي ترسمها المصلحة العامة .

لكن حق الإضراب فتنكره قطعاً الدولة النازية على النقابات اذا كانت اسباب الرفاهية والطمأنينة متوفرة للعامل. ويوم تتجاهل الدولة – سواء كانت نازية او غيرنازية – حقوق العمال والكادحين وتعتبر نفسها حامية لمصالح ارباب العمل، يصبح عندئذ الاضراب واجباً مقدساً بل من أقدس الواجبات للتعاونيات النازية .

إن المنازعات القائمة اليوم بين ملايين البشر يجب أن توجد لها تسويات عادلة بواسطة الهيئات الحرفية والبرلمان الاقتصادي المركزي الذي سيضم ، في كنف الدولة النازية ، ممثلين عن الصناعيين والتجار كما يضم ممثلين عن النقابات . وبقيام هذه المؤسسات يجب أن يزول التنازع بين البروليتاريا وأرباب العمل ، وبالتالي

سيمتنع العمال عـــن المطالبة برفع الاجـــور وتخفيض ساعـات العمل ، كي يتمكن ممثليهم في البرلـمـان الاقتصادي من حل هذه المشاكل بالاتفاق مع ممثلي الفريق الآخر وذلك لمصلحة الطرفين التي لا تتعارض مع مصالح الدولة .

ولكن كيف يمكننا إنشاء هذه التعاونيات التي تتوفر فيهـــا الشروط المذكورة .

ان وضع الاسس في ارض بكر اسهل من وضعه في ارض سبق استعمالهـــا للفرض نفسه . وليس هناك أسهل من فتح دكان في منطقة خالية من الدكاكين ولكن فتح الدكان هذا في منطقة تشكو تضخماً في الدكاكين لهو مغامرة كبرى، لا سيما إذا كان الدكان يبيع نفس البضاعة الموجودة في الدكاكين القديمة ، ففي هذه الحالة يتوجب على الجديد ان يضاعف جهوده ليتمكن من الثبات، كمايتوجب عليه السعي لإزالة المزاحمين من طريقه . وهذا ينطبق على النقابات تماماً ، فقيام نقابة نازية إلى جانب نقابات أخرى لن تعطي ثمارها لأن هذه النقابات لن تتسامح مع النقابات الاخرى ولو كانت هذه النقابات صديقة ،ولا تدخر وسعاً في سبيل القضاء عليها ليخلو لها الجو ، لذلك فقد وجدت حركتنا نفسها أمام أمرين .

١) إنشاء تعاونية نازيه ومحاربة النقابات الماركسية القائمة .

٢) التسلل داخل النقابات الماركسية ونشر مبادىء حركتنا في صفوف النقابيين لكسبهم جنوداً لمثلنا.

لم يكن حزبنا في وضع مالي يمكنه من اعتماد الطريقة الأولى ، وكان تدهور النقد الالماني بشكل مطرد من الأسباب التي لم تشجع الحزب على الاغراءبالفوائد المادية للذين تمكن دعوتهم إلى الانتظام في تعاونية وطنية اشتراكية صرفة.يضاف إلى هذا العامل الرئيسي عاملاً آخراً لا يقل عنه أهمية هو افتقار حركتنـــا إلى شخصيات قوية يمكن الاتكال عليها في أمور تنظيم الحركة النقابية الوطنيـــة الاشتراكية . ولو وجدت هذه الشخصية وقدر لها نشر فكرة التعاونية النازية والقضاء على النقابات الماركسية ، لو وجدت هذه الشخصية لوجب علينا رفعهـا

إلى مرتبة العظماء الألمان وان نقيم لها تمثالاً في كل مدينة وقرية ..

إن الذين يسيطرون على مقدرات النقابات الماركسية ليسوا افذاذاً ، وحتى الذين انشأوا هذه النقابات ورسموا لها اهدافها لم يكونوا نوابغ ، علماً ان هذه النقابات حين تم إنشاؤها لم يكن عليها أن تزيل المنافسين من طريقها ، لذلك كانت مهمة الذين انشأوها سهلة لكن الحركة النازية اليوم تواجه عملاقاً قوياً ثابت القدم متأكداً من مقدرته على الكفاح الطويل .

ان قلعة التعاونية الماركسية يمكن ان يدير شؤونها رجل عـــادي اليوم ، ولكن لا يمكن اقتحام اسوارها بحملة من الهجوم العادي ، ولكن يجب علينا للوصول إلى هذا الغرض ، ان نسلم القيادة إلى رجل عبقري يتصف بالجـــرأة والحزم . فإذا لم نجد رجـــلا كهذا فلا لزوم لنا ان نجهد انفسنا ونحاول قلب الأوضاع الراهنة .

ألا يكون افضلا التخلي عن مشروع ما بدلاً من تحقيقه بشكل ناقص لعدم وجود الامكانيات ؟

كان وراء تخلينا عن اعتماد الطريقة الأولى اسباباً اخرى منها اقتناعنا التام بان إدخال الاقتصاد في نشاطنا النضالي من شأنه إضعاف هذا النشاط . إذيكفي ان تقول الدعاية انه بوسع الفرد الألماني ان يبني بيتاً إذا هو اقتصد قليلا ، يكفي هذا القول ليتحول الفرد بكل اهتمامه إلى هذه الناحية وينصرف عن السياسة انصرافاً كلياً ، ويرفض أن يمد يد المعونة إلى الذين يناضلون في سبيل القضاء على اللصوص الذين يسلبون المواطنين أموالهم التي وفروها .

وكان رأيي في الاجتماعـــات الحزبية أن حركتنا لاتزال فتية وطريـــق الكفاح أمامها لا يزال طويلا ، فعليها قبل ان تجابه الحركات النقابية الماركسية وغيرها من الذين يدورون في فلكها على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي ان تعمل أولاً على نشر مبادئها ودعوة الشعب إلى اعتناق هذه المبادىء ، ولـــن تتمكن الوطنية الاشتراكية من النجاح إلا بعد ان تجند جميع قواها لهذه المهمة ، أما

اذا وزعت قواها واعتنت بالاقتصاد والسياسة معاً ، فإنها ستخسر المعركة في الميدانين .

بقيت الطريقة الثانية وهي ذات اتجاهين : فإما أن ندعو الوطنيين الاشتراكيين إلى ترك التعاونيات التي هم أعضاء فيها ، او نطلب منهم البقاء فيها ليحاولوا بنشاطهم هدمها . وقد اقترحت الاتجاه الثاني ، وكان رأيي دائماً ان الاعتناء بالحركة التعاونية سابق لأوانه ، اما حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فيجب ان يقوم بها الحزب بعد وصوله إلى الحكم. وعندما اصر بعض الرفاق على وجوب إنشاء هذه التعاونيات النازية ودعمت الأكثرية هذا الإقتراح حدث الانقلاب في الحزب وانتخبت أنا رئيساً له ، فاستبعدت الفكرة نهائياً واوضحت في نشرة دورية أن تعاونيه نازية تكون مهمتها الوحيدة منافسة التعاونيات الماركسية لن تفيد حركتنا شيئاً ، كما ان الحزب بوضعه المالي الراهن لا يتحمل اعباء مالية جديدة لانشاء تعاونيات تصلح للوقوف في وجه الحركة النقابية اليسارية ،لأنه يفتقر إلى المغريات ولأن أنصاره من الكادحين لم يتشبعوا بالفكرة الوطنية الاشتراكية بشكل كاف ، بحيث يمكنهم فهم رسالتهم ، كنقابيين نازيين ، بانها كفاح مرير لا ضد النقابات الماركسية كنقابات فحسب ، بل كعقيدة يجب القضاء عليها .

واوضحت في نشرة لاحقة ان خصوم الحركة يقولون ان الحزب النازي يناصب الحركة النقابية العداء لأنه ذو ميول رأسمالية ، وقلت ان الحركة النازية لم تكن موجهة ضد النقابات من حيث انها مؤسسات ترعى مصالح العمال ، ولكنها ضد النزاع الطبقي وتحارب كل تجمع نقابي يقوم على هذا الأساس.

***

ان الأحزاب التي قامت بعد الحرب لم تكن تدري بهذه الحقائق التي عرضتها فحاولت ان تقلد الماركسيين في الحقل النقابي ، وانشأت بين ١٩١٩ - ١٩٢٢ ست نقابات يمينية ونقابتان مستقلتان ، إحداهما نقابة عمال الصناعات الخفيفة .

لكن جميع هذه المؤسسات لم تدم طويلا ، لأنها كانت بحاجة إلى التنظيم وإلى المثالية ، ولأن الذين انشأوها كاداة لمحاربة الماركسيين لم يحسنوا تقــدير قوة خصمهم الذي سحقهم سحقاً حين تحرشوا به ، ولم تقم لهم قائمه بعـــد ذلك .

***

الفصل الثاني والعشرون

سياسة المحالفات

لم يكن لحكومات الرايخ أي نهج تسلكه في سياستهـــا الخارجية ، ولم يكن لديها مبادىء ترتكز عليها سياسة المحالفات التي تنسجم ومصالح البلاد . اما الثورة فلم تفعل شيئاً بل تركت الفوضى تدب في الصفوف ، لأنه لم يكن من اهداف الماركسيين واليهود في وقت من الأوقات النهوض بالدولة الألمانيـــة وتقويتها في الداخل والخارج باتخاذ سياسة بناءة مستوحاة من مصالح الشعب الألماني ، بل كان اول اهداف مجرمي تشرين الثاني ١٩١٨ القضاء على الانتاج في المانيا وإخضاع البلاد لسيطرة الرساميل الدولية . ولم يسهى عن بال رجـــال الثورة ان تخلص الرايخ من القيود التي فرضها عليه المنتصرون يعني زوال نجمهم ، لأن تحرر البلاد من السيطرة الاجنبية يفسح أمامها طريق الحرية لتتمكن من إعادة الأمور الى مواضعها وذلك بطرد الخونة والمغامرين الدوليين.

ذلك ان الشعب الناهض لتحرير نفسه ينمو فيه الشعور الوطني نمواً عجيباً وتستيقظ حواسه إلى كل نشاط للعناصر الغير قومية ، فيحاربها دون هوادة . والشعوب تنتفض دائماً هذه الانتفاضة كلما واجهت ضغطاً اجنبياً يؤدي إلى تفجير الأحقاد الداخليه ، فيصب الرأي العام جام غضبه على الفئات الموالية للأجنبي أو التي تقف في سبيل نهضته القومية.

وقد ادركت الطفيليات التي استغلت حوادث تشرين الثـــاني ان سياسة المحالفات ان كانت رشيدة فستقوي الشعور الوطني وتعيد الثقة إلى نفوس الألمان فيعيدونها إلى القعر الذي خرجت منه ويخلصون البلاد من آثامها . وهذا مـا يبين لنا سبب تخبط السياسة الخارجية الألمانية بعد الحرب وسلوكهـا السبيل الأعوج ، وسوء الادارة الداخلية وتجاهلها لمصالح الأمة الحيوية .

لم تكن الحكومات مسؤولة لوحدها عن هذا الوضع الشاذ ، فقد شجعها على تجاهل مصالح البلاد البرلمان المؤلف من اكثرية لا قومية ، والشعب الذي ضرب رقماً قياسياً في الصبر وطول البال. ولا بد من الاقرار ان حزبنا لم يهتم بالسياسة الخارجية اهتماماً كبيراً وهو بعد حركة ناشئة تحاول ان تثبت وجودها . وكانت حجتنا ان كسر القيود التي فرضها الاجنبي لا يتم إلا بعد القضاء عـلى الضعف الداخلي والاطاحة بالذين يستغلون هذا الضعف. لذلك ركزنا الاهتمام على الاصلاح الداخلي اولاً والشؤون الخارجية ثانياً .

وعندما قويت الحركة وازداد عدد انصارها وجدت نفسها مضطرة إلى تحديد موقفها من المسائل التي كانت تثيرها معاهدات الصلح ، وهي لم تكتف بهذا القدر ، بل عمدت إلى وضع الأسس التي يجب ان تتمشى عليها السياسة الخارجية الألمانية ، دون ان تبتعد عن المخطط العام الذي ترتكز عليـه مفاهيمنا العقائدية .

كان على حركتنا ان تثقف الشعب وتـدل المسؤولين الى الطـرق الواجب اتخاذها ليتمكن شعبنا من استخلاص حقوقه واستقلاله . وقد وضعنا امامنا المبدأ الاساسي التالي :

السياسة الخارجية هي الواسطة لبلوغ غاية ساميه ، والغايـة هي خدمـة مصالـح الشعب . فكل مسألة مـن مسائل السياسة الخارجيـة يجب أن تراعي بحلولها مصلحة الشعب في حاضره ومستقبله وان تنبذ كل حل يعود بالضرر على هذه المصلحة .

هذا هو الاعتبار الوحيد الذي يجب علينا أننقف عنده والذي تسهل أمامه جميع الأعتبارات الأخرى من دينية وانسانية وغيرها ..

*

قبل الحرب كان على السياسة الخارجية ان تهتم بتوفير الغذاء لشعبنا بتمهيد السبل الموصلة إلى هذه الغاية ، وان تؤمن للرايخ قوة اضافية باعتمادها نظـــام محالفات مستوحى من الأختبارات . وقد بقيت هذه المهمة عينها بعد الحرب مع فارق واحد ، فقبل عام ١٩١٤ كان على المانيا أن تحافظ على كيان الشعب وتؤمن له مسببات البقاء ، معتمدة على دولة قوية ومستقلة ، أما اليوم فعلينا أن نعيد إلى شعبنا المقدرة على بعث الدولة القوية الحرة ، فبدون هـــذه الدولة القوية لا يمكن ممارسة سياسة خارجية قادرة على صون كيان الشعب وتأمين غذائه واسباب نموه .

ومجمل القول: يترتب على سياسة المانيا الخارجية في الوقت الحاضر ان تهيء للشعب الالماني السبل التي يجب عليه ان يعتمدهـــا ليستخلص استقلاله ويسترد اعتباره وحريته . ولا يسهى عن بال الذين يثبطون العزائم بآرائهم السخيفة أن توحيد اراضي الدولة ليس بالشرط الاساسي لنجاح الثورة التحررية ، فيكفي ان يحصل على الحرية جزء صغيرمن الدولة ليتولى اعداد العدة للكفاح واسترداد حقوق الشعب المسلوبة .

وعندي ان شعباً يفضل العبودية على رؤية بلاده مجزأة هو شعب لا يستحق الحرية ، وأفضل منه ألف مرة شعب ينهض القسم المتحرر منه لتحطيم الاستعمار وقيادة معركة الخلاص التي تزيح الكابوس عن الشعب كله . ولا يكفي ان يعلن القسم الحر الطليق ان الشعب متحد اتحاداً روحياً وثقافياً ، بل عليه ان يتخذ الاجراءات الكفيلة بدعم بقية الشعب الذي يزرح تحت وطأة الظلم فيمده بالسلاح ويدربه على استعماله ويحثه على العمل المشترك لجمع شتات الأمة .

وعندما يكون الأمر متعلقاً بدولة اضاعت جزءاً من ارضها ، يتوجب على

الوطن الأم ان يبدأ بأسترداد اعتباره واستعادة قدرته السياسية قبل ان يفكر بأسترداد الجزء الذي اضاعته. وبكلمة أخرى ان مصالح الاراضي المفقودة يجب ان يضحى بها في مثل هذه الاحوال وذلك للالتفات الى ناحية أهم وهي تحرير الوطن الأم . ذلك ان تمنيات الجزء المغتصب ومعارضة الاجزاء المتمتعة بالحرية لن تفيد شيئاً ولا تؤدي بالتالي الى تحرير المناطق الخاضعة لسيطرة الاجنبي ، فمهمة التحرير مناطة بالاجزاء المتحررة ، ولكي تتمكن هذه الاجزاء من القيام بهذه المهمة ينبغي لها ان تقوى نفسها وتزيد من امكانياتها ليصبح في مقدورها يوماً ما ان تحمل السلاح في وجه العدو المستعمر وتجبره على الرحيل .

ان صناعة سلاح الانتقام والتحرير يجب ان تقوم به سياسة الحكومة الداخلية. كما ان مهمة السياسة الخارجية فتكون في تمكين صانع السيف من العمل في جو يسوده السلام والطمأنينة .

*

في الجزء الأول من الكتاب شرحت العوامل التي انحرفت بسياسة المانيا الخارجية عن اهدافها قبل الحرب. فقد كان هناك اربع وسائل بإمكاننا اعتمادها كلها أو احداها في محاولاتنا الحفاظ على كيان شعبنا وتأمين الغذاء له . وقد اختارت السلطة في ذاك الوقت احدى الوسائل فنهجت سياسة استعمارية وتجارية ظناً منها أن هذه السياسة لن تشكل خطراً على المانيا ولن تضطرها بالتالي الى مسك السلاح . ولكن النتيجة كانت اندلاع الحرب العالمية وهزيمة الرايخ .

كان على الرايخ ان يلجأ الى وسيلة غير التي اتبعها : : فكان بامكانه التوسع في اوروبا نفسها وعلى حساب اوروبا نفسها ومن ثم يفكر بنهج سياسة الاستعمار. أما التوسع في اوروبا فيجب ان يسبقه تفاهم بين المانيا وانكلترا أو تخصيص موارد الدولة كلها على تعزيز الجيش بحيث تزداد قوتها العسكرية وتنمو على حساب نشاطها في بقية الحقول ولا سيما الحقل الفكري . لكن الرايخ لم يقدم على هذه

الخطوة، وقد سهى عن بال المسؤولين ان النهضة الفكرية هي بنت الاستقلال السياسي ، وان الأمة التي تنتابها الهواجس ويستبد بها القلق على مستقبلها لن تتمكن من تقديم نتاجاً فكرياً ذا قيمة . فالتضحيات مهما كانت قيمتها فإنها تهون في سبيل حرية الأمة ، ومتى توفر لدى الأمة قوة عسكرية ضخمة وذهب عنها الخوف امكنها عند ذلك أن تعوض عن ما فاتها في ميادين الثقافة. فالنهضة الفكرية في عصر بيركليس جاءت بعد حروب طاحنة بين الإغريق والفرس . وقد رأينا الجمهورية الرومانية تنصرف الى العلوم والفنون وغيرها من ميادين التثقيف حالما تحررت من المخاوف والهموم التي سببتها الحروب .

ولكن هل كان منتظراً من الاكثرية الجاهلة أو البرلمانيين الثرثارين والساسة الانتهازيين ان يقدموا الأهم على المهـم وان ينشئوا الاعداد العسكري الكافي ، مضحين في هذا السبيل بما يعتبره الشعب الجاهل مصالح هامة .

كل هذا كان ممكناً تحقيقه على يد رجل مثل فردريك الكبير الذي كان شغله الشاغل تقوية الرايخ ، عسكرياً وسياسياً . أمـا الذين كانوا يأملون من النظام البرلماني الديمقراطي اليهودي خطوة كهذه فقد كانوا اغبياء حقـاً ، لأن تقوية الرايخ عسكرياً وسياسياً هي آخر ما يفكر به البرلمانيون الذين باعـوا أنفسهم للشيطان .

دخلت المانيا الحرب العالمية دون ان تكون مستعدة لهـا ، وعندما شعر المسؤولون بالضعف كان الاوان قد فات فأضطروا ، والحالة هذه، الى البحث عن حلفاء يعتمدون عليهم ليسدوا هذا النقص ولكنهم من بـدلاً من ان يحالفوا الانكليز ليتوسعوا في الشرق أو يحالفوا الروس ليأمنوا شرهم ويتفرغوا لمقارعة الاعداء في الغرب ، اغضبوا الروس والانكليز معاً ، ولم يجدوا من يحالفوه إلا آل هابسبورغ .

*

هكذا كانت سياسة المانيا الخارجية قبل الحرب العالمية . أمـــا سياستنا الخارجية في هذا العهد فهي تتخبط في دياجـــير الفوضى ولا يعرف لها نهج ولا هدف .

إذا قمنا بدرس اوضاع الشعوب الاوروبية من حيث قـــوة كل شعب منها نطلع بالحقائق التالية :

إن ابرز ما نجده في تاريخ اوروبا منذ منتصف القرن السابع عشر الى اليوم هو سياسة توازن القوى التي اتبعتها انكلترا، فهي توقع بين دول القارة الاوروبية من وقت لآخر لتتمكن من تحقيق اهدافها الاستعمارية دون عنـــاء . ومنذ ان أن تولت الملكة اليزابيث تميزت الدبلوماسية الانكليزية بطابع تقليدي لا يزال لاصقاً بها وهو التصدي بجميـع الوسائل لقيام دولة اوروبية قوية تستطيـع اخضاع اوروبا لسيطرتها أو الوصول الى مركز مرموق بين مجموعة الدول الاوروبية .

ولتنفيذ هذه السياسة اعتادت انكلترا اللجوء الى وسائل عديدة ، ولكن بعزم وقوة إرادة لم تخذلانها ابداً ، فكانت تقوى وتتوسع بعد كل نزاع يدمي اووربا ويستنفذ قواها . وعندما انفصلت عنها مستعمراتها في اميركا الشمالية حرصت على حماية ظهرها ، فبدأت بتصفيه حساب هولندا واسبانيا باعتبارهما دولتان بحريتان، وبعد ذلك تفرغت للوقوف في وجه فرنسا ومنعها من السيطرة على القارة . وقد تم لها ذلك حين غاب نجم نابوليون .

أما بالنسبة لالمانيا ومطامحها التي كانت تنمو ببطء لأن الشعوب الالمانية لم تكن موحدة الكلمة ، ولا تشكل بالتالي أي خطر أو عقبة تعترض مشاريـع الدبلوماسية الانكليزية وأهدافها البعيدة. يضاف إلى هذا أن السلطات البريطانية تحرص دائماً على اعداد الأفكار للخطوة التي يعتزمون القيام بها ، حتى لا يفاجأ الرأي العام بهذا الاتجاه الجديد في السياسة ، وكي لا يلقى الحكام عناء كبيراً في

تبريره ، أما هذا الاعداد فيستغرق بعض الوقت ، لكن الدعاية تتولاه ببراعـة .

حددت انكلترا موقفها من المانيا تحديداً صريحاً بعـد الحرب السبعينية مباشرة ، أما ساستنا فقد ضيعوا فرصاً ثمينة في ذلك الوقت للتفاهم مع بريطانيا التي كانت تبحث عن حليف قوي يعتمد عليه في مواجهة روسيا الاخذة بالنمو ، واميركا التي اقضت بنشاطها الصناعي مضاجع رجال الاعمال في العالم المتمدن . وعندما سحقت قواتنا الجيش الفرنسي في سيدان بعـد ان تقدمت الصناعة في بلادنا بشكل جعلها تنافس بريطانيا ، رأينا لندن تنظر إلينا بغضب وتخطط من جديد لسياستها الأوروبية جاعلة هدفها الجديد وضع حد لنمو المانيا الاقتصادي ومنعها من غزو العالم اقتصادياً ... وقد تكتلت الدول ذات القوة العسكرية ضدنا بتحريض من انكلترا تحت ستار المحافظة على السلم وحالفتها لانهـا كانت مقتنعة ان هذه الدول لن تتمكن من الوقوف منفردة في وجه الجبار الالماني . أما الذين عابوا على انكلترا لجوءها إلى الخـداع وتشويه الحقائق لحمل الدول الاوروبية على معاداتنا ، فقد فاتهم أن كل وسيلة تصبح مشروعة عندما يكون الأمر متعلقاً بصون كيان الشعب وضمان مستقبله ، وان الترفع عن الخداع في مثل هذه الاحوال هو تقصير في الواجب أن لم نقل خيانة له .

وجاءت الثورة الالمانية لتضع حداً للقلق الذي راود انكلترا وهي تتابع نمونا المطرد فلم يعد لها من مصلحة في أن ترى بلادنا تتمرغ في الحضيض بعد أن حطمت الحرب اضلاعها وقصمت ظهرها . وقد فوجئت انكترا ، بعد الانهيار الألماني ، الذي أدى إلى اختلال التوازن الأوروبي بشكل افسد عليها خططها ومشاريعها البعيدة المدى ، فهي قد عملت وناضلت طوال أربع سنوات لهـذه اللحظة واستعدت الدول الكبرى على المانيا لتقلع الشوكة التي كانت تضايقها وها قد انهارت المانيا التي كانت تهدد بالسيطرة على أوروبا كلها ، ولكن في هذه اللحظة برزت لها شوكة جديدة هي فرنسا .

لم يكن في وسع الدبلوماسية الانكليزية أن تفتح صفحة جديدة عندما فوجئت بهذا الواقع ، ولا يمكنها تحويل الرأي العام ، الذي اعدته الدعاية للوقوف ضد المانيا ، لا يمكنها توجيهه وجهة مماكسة بين ليلة وضحاها ... يضاف إلى ذلك ان انكلترا خرجت من الحرب مثخنة بالجراح هي الاخرى ، ولم يكن من الحكمة مناصبة فرنسا العداء في وقت كانت فيه فرنسا قد اخذت مكان الصدارة وراحت تفرض مشيئتها في مفاوضات الصلح وفي المؤتمرات الدولية ، تساعدها في ذلك دويلات اعتادت السير في ركاب القوي .

كانت المانيا الدولة الاوروبية الوحيدة التي يمكن لانكلترا أن تعتمد عليها في مواجهة فرنسا والحد من مطامعها ، لكن المانيا كانت في ذلك الوقت فريسة الحرب الأهلية، وكان ساستها يتسابقون إلى أرضاء فرنسا مسلمين بكل ما يطلب من بلادهم . ولما لم تجد انكلترا من تعتمد عليه اضطرت إلى العمل مع فرنسا يداً بيد كيلا يفوتها القطار ويستقل الفرنسيون في العمل لوحدهم .

عندما اشتدت حدة التوتر قبيل الحرب، كانت بلادنا من الناحية العسكرية في وضع لا تحسد عليه ، فقد كان في اوروبا دولتان بريتان قادرتان على سحق المانيا بتفوقها العسكري هما فرنسا وروسيا ، فكيف إذا تعاونتا مع انكلترا الدولة البحرية الأولى ؟ ان مركز فرنسا اليوم هو غير مركز المانيا قبل الحرب ويختلف عنه اختلافاً كبيراً ، ففرنسا اليوم الدولة العسكرية الأولى في القارة الأوروبية وليس لها أي منافس قوي في هذا الحقل ، ويحمي ظهرها من الجنوب حدود طبيعية تتحطم عليها كل محاولة يمكن أن تحاولها اسبانيا أو ايطاليا ، وقد اطمأنت فرنسا إلى جانب المانيا بعد أن سقطت هذه مكسورة الجناح، فضلاً عن أن فرنسا تشرف من سواحلها الغربية على المرافق الحيوية في الجزر البريطانية التي تمسي تحت رحمة المدافع البعيدة المدى وفي متناول السلاح الجوي بحال نشوب حرب مع انكلترا . ويمكن أيضاً للغواصات الفرنسية أن تضرب المواصلات

البحرية البريطانية ضربات قاصمة من قواعــدها المنتشرة على شواطيء المحيط الاطلسي والبحر المتوسط .

بذلك تكون انكلترا قد جنت على نفسها . فهي حين سعت إلى القضاء على المانيا ، أتاحت الفرصه لفرنسا في بسط سيطرتها على القارة الأوروبية ،وفي نفس الوقت اضطرت إلى مسايرة الولايات المتحدة الاميركية إذ اعتبرتها نداً لهـا باعتبارها دولة بحرية . أما في الحقل الأقتصادي فقد تنازلت لحلفائها عن مناطق كانت لها فيها مصالح حيوية ضخمة .

ومما يذكر أن اهداف الدبلوماسية الفرنسية كانت تتعارض والأهداف الدبلوماسية الانكليزية . فالانكليز يترصدون ميزان القوى في القارة حتى اذا ظهر لهم ان هناك دولة ستبدل من هذا النظام في ميزان القوى عمدت فوراً الى اضعافها لئلا تمكنت هذه الدولة من الظهور على مسرح السياسة العالمية .

أما الفرنسيون فيسلكون نفس المسلك لكن على نطاق اضيق ، فالمهم عندهم أن يمنعوا المانيا من الوقوف على قدميها ، فقد علمتهم التجارب ان المانيا الموحدة تشكل قوة ضخمة لا يمكن التغلب عليها ، لذلك اعتمدت الدبلوماسية الفرنسية اضعاف بلادنا بشتى الوسائل ، متوسلة الى ذلك بتشجيع الحركات الانفصالية وافتعال تيار يكون في مصلحة النظام الاتحادي على أساس اللامركزية، وهكذا يقوم بين الدويلات الالمانية توازن يشبه التوازن الاوروبي الذي تهـتم به انكلترا .

*

نتيجة لما تقدم لست ارى أي طريق لألمانيا ان تسلكه في بحثها عن اصدقاء، افضل من التقرب الى انكلترا وكسب صداقتها . أنا لا أنكر ان سياسة الحرب التي اتبعتها انكلترا قد جرت علينا الويلات ، ولكن ماذا سيفيدنا الحقـد على دولة لم يعد لها أي مصلحة في القضاء علينا نهائيـاً بعد أن وجدت هـذه الدولة

نفسها تجاه خطر جديد محدق بها هو خطر المطامع الاستعمارية الفرنسية التي تجاوزت كل حد ؟

إن مصالح الشعبين الانكليزي والالماني يمكن ان تلتقي ما دام العدو مشتركاً. ولكني احذر الساسة المسؤولين من مغبة التعلق في الأوهام ، فقد تعود ساستنا ان يستسلموا للاحلام السعيدة كلما لمسوا عطفاً من زعيم اجنبي على القضية الالمانية. فليفهم الذين يتوهمون ان الانصاف لن يأتي من رجل دولة اجنبي ، ان الانكليزي يبقى انكليزياً قبل كل شيء وكذلك الاميركي والايطالي ، لذلك من السخف التفكير بأعتماد عطف رجال الدولة الاجانب كأساس للمحالفات فالشرط الاساسي لربط مصير شعبين هو الفائدة التي يمكنه ان يجنيها كل شعب منهما نتيجة لهذا الارتباط . أما الاحترام والعطف فلا وجود لهما في هذا الارتباط . ان رجل الدولة الانكليزي مثلاً يمكنه ان يعتمد سياسة انكليزية بحتة تعود بالخير والنفع على الشعبين الانكليزي والالماني معاً ، دون ان يكون ملزماً بأعتماد سياسة تكون في مصلحة الشعب الالماني لوحده .

إن في اوروبا دولاً يقلقها بقاء المانيا مكسورة الجناح في حين ان فرنسا تنمو وتشتد ويبرز تفوقها العسكري والاقتصادي . ونحن الالمان لا نعرف لنا عدواً لدوداً ، عدواً مميتاً لا يرحم سوى فرنسا وسواء حكم هذه الدولة البوربون أم اليعقوبيون، آل بونابرت أم الديمقراطيون البورجوازيون الجمهوريون المعتدلون أم الماركسيون، فهدفهم سيبقى كما هو لا يتغير : احتلال رينانيا وتجزئة المانيا بحيث لا تقوم لها قائمة .

تكره انكلترا أن ترى للمانيا تتقدم وتنمو وتزدهر اما فرنسا فتريد ان تزيل المانيا من خريطة أوروبا والعالم . والفرق بين ما تكرهه انكلترا وبين ما ما تريده فرنسا هو شاسع جداً . واليوم لا نناضل في سبيل استرداد مكانتنا كدولة عظمى ، بل علينا أن نعمل ما في وسعنا في سبيل ضمان كيان الوطن ووحدة الأمة واطعام اولادنا. وإذا استعرضنا الحلفاء الذين يمكننا الاعتماد عليهم

في اوروبا فلا نجد أمامنا إلا انكلترا وايطاليا . فانكلترا لا تريد لفرنسا ان تشتد وتقوى كي لا تهدد مصالحها وتعرقل لها مشاريعها وتفسد عليها خططها. ولا يعقل أن تقف انكلترا موقفاً لا مبالياً من استيلاء فرنسا على مناجم الحديد والفحم في اوروبا الغربية ، لعلمها أن حليفة الامس تستطيع بفضل هذه المناجم الغنية ان تلعب دوراً بارزاً في توجيه الاقتصاد العالمي . كما لا يعقل ان تقف انكلترا موقف المتفرج إزاء تزايد نفوذ فرنسا في القارة ومحاولتها تسيير دفة السياسة العالمية .

كذلك تراقب ايطاليا النفوذ الفرنسي في اوروبا بمزيد من القلق. فالايطاليون يتطلعون الى حوض البحر المتوسط ويطمحون الى التوسع على حساب البلاد المجاورة لممتلكاتهم الافريقية . فإيطاليا لم تدخل الحرب لتشارك في اعلاء شأن فرنسا ، بل دخلتها وفي نيتها توجيه ضربة قاضية الى جارتها النمسا دون أن تنسيها رفقة السلاح أن في فرنسا منافساً خطيراً لا يقل خطورة عن جارتها الشرقية .

بناء لما تقدم يمكننا اعتبار انكلترا وايطاليا الدولتان الوحيدتان اللتان لا تمانعان في قيام أمة المانية موحدة بأعتبار ان توحيد المانيا لن يمس بمصالحها ، بل ربما كان قيام هذه الامة القوية والموحدة لصالح الدولتين .

عند دراستنا لمسألة العلاقات التي يمكن ان تقوم بيننا وبين الانكليز والايطاليين، ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار عوامل ثلاثة يتعلق اولها بنا مباشرة أما العاملان الباقيان فأنهما يتعلقان بانكلترا وايطاليا .

هل ستقدم دولة ما على التحالف مع المانيا في وضعها الحاضر ؟ هل يعقل أن تجازف دولة ذات اهداف هجومية بالتحالف مع دولة يحكمها منذ سنوات حكام غير اكفاء وتعمي بصائر الكثرة الساحقة من ابنائها المبادىء الديمقراطيه والتعاليم الماركسية فيخونون شعبهم ووطنهم ؟ وأي منفعة ستجنيها دولة قوية من التحالف مع دولة خانعة لا تتحرك للدفاع عن كيانها ولا تفعل شيئاً للتحرر من

الاعباء الضخمة التي فرضت عليها ، لان امكاناتها أصبحت في قبضة حكام خونة غير صالحين ، ولأن أيادي المغامرين الدوليين أمتدت لتسرق مقدرات البلاد؟

أن دولة تحترم نفسها وتعتبر التحالف أكثر وأهم من صفقة تعقد مع برلمانيين يطمعون في الربح . ان دولة كهذه لا تقدم على التحالف مع ألمانيا في وضعها الحاضر ....

كما لا يخفى أن أجهزة الدعايا في كل من انكلترا وايطاليا أعطت فكرة جد بشعة عنا اثناء الحرب ، وليس في تصرفنا اليوم ما يسهل مهمة هذه الأجهزة إذا هي حاولت تغيير منهاجها وإقناع الرأي العام أن عدو الأمس يمكن أن يصبح اليوم حليفاً يعتمد عليه .

ولا ننسى أن اليهودية العالمية ترحب ببقاء المانيا دولة ضعيفة وتعتبر هذا الواقع منسجماً ومصالحها وموافقاً لمخططاتها. ولم يعد خافياً على الجميع أن سياسة انكلترا التقليدية تتعارض وسياسة المؤسسات المالية الخاضعة لسيطرة اليهود ، فاليهود يريدون هدم أسس الاقتصاد والسياسة في المانيا ، وقد رأيناهم يعملون بكل قواهم ودهائهم على بلشفة المانيا ليتسنى لهم وضع أيديهم على مفاتيح الاقتصاد القومي ، ولما احسوا بعجز الماركسية الألمانية عن تقويض أسس الدولة القومية في ألمانيا ، أشعلوا نار الحرب العالمية وبذروا بذور الثورة الحمراء داخل المانيا واستغلوا الكارثة في الوقت المناسب استغلالاً بارعاً .

لقد اختارت اليهودية العالمية بلادنا مسرحاً لدسائسها وهدفاً لمؤامراتها لأن بلشفة البلاد وتخريب الوجدان القومي الالماني يخضع الانتاج القومي لاشراف المؤسسات المصرفية اليهودية ، مما يجعل من هذا الإشراف خطوة واسعة نحو اخضاع العالم باجمعه للسيطرة اليهودية . ويستفاد من مضمون احد وثائق « بروتوكولات حكماء صهيون »وهو دستور الحركة اليهودية ، أن محور النضال اليهودي يجب ان يكون في ألمانيا لتحقيق حلمهم في السيطرة العالمية ، فاذاتمكن « الشعب المختار » من اخضاع المانيا يكون قد تخلص من أهم العقبات الرئيسية

التي تعترض طريقه .

واليهودية العالمية تتقلب حسب كل حال وحسب كل وضع ، فهي حين تسعى إلى خداع الرأي العام وتسميم افكار الامم والشعوب ، تعتمد طرقاً وأساليب كثيرة ومختلفة ، فتخاطب كل أمة بطريقة خاصة تترك أثراً عميقاً في نفسها ففي المانيا حيث تكثر الاختلاطات الدموية ، ينشر اليهود مبادىء خاصة مستخرجة من المثالية السلمية فيزعمون أنهم امميو النزعة . أمـــا في فرنسا فتستغل اليهودية النزعة الفردية والنفور من الاجانب ، وفي انكلترا تضرب على وتر المصـــالح الاقتصادية واعتبارات السياسة العالمية .

ولئن يكن التناقض واضحاً بين مفاهيم السياسة القومية ومطامح اليهودية العالمية في كل من انكلترا وايطاليا ، فالتفاهم والانسجام موجود في فرنسا بين القوميين وملوك البورصة الممثلين باليهود ، وهـــذا التفاهم يشكل خطراً كبيراً جداً على المانيا ، ويشكل من فرنسا عدواً مميتاً لا يجب ان نسهى عنه أو نسقطه من حسابنا لحظة واحـــدة . فالشعب الفرنسي الذي يهبط تدريجياً بمستواه إلى مستوى الزنوج ، يعرض كيان الجنس الأبيض في القارة الأوروبية لخطر الزوال والانقراض بمسايرته مشاريع اليهودية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم .

ولا نظلم الفرنسيين حين نقول أن لهم يداً في تلويث الدم الألماني في رينانيا ، لان هذا الشعب المتهتك لا يختلف عن اليهود برغبته في القضاء على حيوية شعبنا حين يشجع الاجناس المنحطة على تلقيح الالمان بدمها النجس ..

إن الدور الذي تلعبه فرنسا ، بدافع من الحقد وبتحريض من اليهود ، هو اجرام بحق الجنس الابيض، وسيأتي اليوم الذي تتكاتف فيه الشعوب الاوروبية وتلقن هذا الشعب المجرم درساً لن ينساه وتنزل به العقـــاب الصارم الذي يستحق .

يجب على المانيا ان تتناسى احقادها وتمد يدها الى انكلترا وايطاليا معـاً ، هاتين الدولتين التين تراقبان بكثير من القلق تزايـــد النفوذ الفرنسي وتضخم

المطامع الفرنسية .

*

من تتبع المراحل التي مرت بها السياسة الخارجية الالمانية منذ قيام الثورة ، ومن راقب خاصة نشاط رجال الدولة ، لن يتمالك نفسه من اليأس . فمنذ تشرين الثاني ١٩١٨ حتى اليوم لم يفعل هؤلاء الرجال اكثر من ترضية فرنسا والخضوع لها بأعتبارها « الأمة العظمى » ، والمبالغة في اكرام ممثليها لكسب عطفهم . وهذه السياسة المبنية على تقديرات خاطئة كانت تلاقي تشجيعاً من جانب المسكين بالخيوط من وراء الستار لعلمهم ان خضوع المانيا واستسلامها يتفقان والخطط اليهودية ، وان تقرب المانيا من فرنسا يؤدي قطعاً الى إزالة كل سياسة تحالف تتفق مع مصلحة الشعب الالماني .

وفي نفس الوقت تطوعت الصحافة الالمانية الخاضعة لنفوذ اليهود لزرع بذور الحقد في نفوس الشعب على انكلترا ، كما حاولت تخويف انكلترا وتحريك هواجسها حين دعت السلطات الى اعادة تكوين الاسطول الالماني، والمطالبة بالمستعمرات قبل تحرير البلاد وتقوية مركزها في القارة الاوروبية .

لقد اجاد اليهود تمثيل ادوارهم واتقنوا لعبتهم بشكل لائق : فهم يلهون شعبنا الطيب القلب السليم النية بمسائل ثانوية جداً ، ويدفعونه الى التظاهر والاحتجاج ، في حين تمعن فرنسا في تقطيع الجسم الالماني وتضع الالغام تحت مرتكزات استقلالنا . ألم تتطوع الصحافة اليهودية في أثارة مسألة « التيرول » الجنوبي ، لتلهي الشعب الالماني ، ألم تثر هذه القضية وتدعو الشعب الى السير في مظاهرة سلبية صامتة وتطيير برقيات الاحتجاج الى عصبة الامم ؟

و « التيرول » الجنوبي الذي يبكيه البرلمانيون اليوم ، كنت أنا في عداد المدافعين عنه والمقاتلين في سبيله ابان الحرب العالمية ، في حين كان المتباكون يلغمون الجبهة من الداخل ، ويحرضوا العمال في المصانع على الاضراب ليطعنوا الجيش في ظهره ويلحقوا الأذى والعار بالقضية القومية في الرايخ .

عندما كان « التيرول » الجنوبي ميداناً للمعارك الدامية لم يكن بالامكان استعادته إلا بالسلاح . وقد أبلت الجيوش الالمانية في هذا القطاع بلاء حسناً وبقيت صامدة الى ان فوجئت بانهيار الجبهة الداخلية وانقطعت عنها الامدادات. فالذين سببوا الانهيار في الجبهة الداخلية قد خانوا التيرول وخانوا بقية الاراضي والاجزاء الالمانية، والذين يعتقدون اليوم انه بالامكان حل مسألة التيرول الجنوبي بالاحتجاجات والتظاهرات السلمية .. هم اما مصابون في عقولهم أو سذج يصدقون كل ما يقال لهم . متى يفهم المواطنون ان استرداد الاراضي السليبة لا يتم بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى ولا بتطيير برقيات الاحتجاج إلى عصبة الأمم . ان استعادة الاراضي السليبة يكون على إيدينا حين نصبح قادرين على مجابهة اعدائنا .

والادهى من ذلك ان الدين يبجحون اليوم بان خسارة « التيرول » الجنوبي كانت غلطة جسيمة وخيانة وطنية ، لم يفعلوا للحفاظ عليه سوى ذرف دموع التماسيح والتشدق بثرثرات فارغة . ولو طلبنا منهم اليوم حمل السلاح لاسترداد الاراضي السليبة ، لقبعوا في جحورهم يرتعدون خوفاً ....

ان المتباكين على مصير التيرول الجنوبي من حملة الاقلام واسياد المنابر ، الذين يطالبون باعادته إلى الوطن الأم ، هم انفسهم الذين يدعون في خطاباتهم إلى الكف عن ازعاج المنتصرين، خاصة فرنسا ، بمطالب لايمكن تلبيتها . وقد رأيناهم بالأمس يدانمون عن معاهدة فرساي ويشجبون أعمال « كتائب التحرير » في نسف الجسور في الروهر . ولكن الاعيب هؤلاء افتضحت، فهم طلعوا بنغمة التيرول حين شعر اليهود واذنابهم بان الشعب راغب في قيام تحالف مع ايطاليا وخاصة بين الاوساط التي تنظر بعين المصلحة إلى البعيد . ومن الطبيعي أن يعمد اليهود وانصار آل هابسبورغ إلى قطع الطريق امام كل محاولة تهدف إلى تقوية مركز المانيا الدولي .

وبدافع من الحقد على كل ما هو الماني صميم ، وانسجاماً مع طبيعة « الشعب

المختار » الضليع في فن الكذب والتلفيق ، راح المتباكون على مصير « التيرول» الجنوبي يكيلون التهم للقوميين الاقحاح ويصفونهم بالخونة ويقولون أن العسكريين البروسيين هم السبب في خسارة هـــذا الجزء الهام من الوطن الالماني ، فلهؤلاء المنافقين المتجنين على المخلصين اقول :

ان كل الماني قادر على حمل السلاح ولكنه امضى سنوات الحرب قابعاً وراء مكتبه ولم يقدم خدماته إلى وطنه هو خائن ...

وكل الماني لم يشارك خلال سنوات الحرب في تقوية المقـــدرة على النضال والثبات في نفوس الشعب الذي كان يواجه اعداء متفوقين عليه هو خائن ...

وكل الماني ساهم في ثوره تشرين الثاني ان بالافعال أو بالسكوت عن المجرمين، محطماً بسكوته السلاح الذي كان بامكانه انقاذ التيرول الجنوبي هو ايضاً خائن... لم يخن التيرول الجنوبي فقط بل خان الوطن الالماني كله .

كذلك الاحزاب وممثلوا الاحزاب الذين وقعوا معاهدتي فرساي وسان جرمان هم خونة بحق الوطن والأمة .

وللشعب الألماني أتوجه بالقول : أن استرداد الاراضي السليبة لا يتم بالخطب النارية يتفوه بها من يتقن صناعة الكلام ، فتحرير الوطن لا يتطلب ألسنة حادة بل يتطلب سلاحاً حاداً . وليس معنى هذا انني أطلب اشعال الحرب لاستعادة التيرول الجنوبي ، فانا لا اوافق على هدر دماء الشعبين الالماني والايطالي في سبيل تحرير مئتي الف مواطن ، في وقت يرزح فيه سبعة ملايين من اخواننا تحت نير الاحتلال الأجنبي في رينانيا .

فإذا كانت المانيا مصممة على تغيير هـــذا الوضع الذي من شأنه في حال استمراره أن يزيلها من خريطة اوروبا ، عليهـــا أن تتجنب الوقوع في الخطأ الذي وقعت فيه قبـــل الحرب عندما استعدت العالم كله لأنها لم تعرف كيف تختار اصدقائهـــا . لذلك عليها ان تعرف من هو عدوهـــا الألد وتتفرغ له

لتضربه بكل قواها ، وتغض الطرف عن اعدائها الثانويين ولو كلفها ذلك بعض التضحيات .

يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين ان ننادي بالفكرة القائلة انه يجب أولاً استخلاص حرية الوطن واستقلاله قبل البدء باسترداد الاراضي المغتصبة ، وأن ندعو دائماً الى وجوب نهج سياسة محالفات مستوحاة من الواقع الالماني والاوروبي معاً. فقد حكمنا عواطفنا حين تحالفنا مع آل هابسبورغ فأصبنا بالهزيمة الشنعاء. لذلك لن تسمح حركتنا لمحترفي السياسة في هذا العهد ان ينهجوا على صعيد السياسة الخارجية نهجاً يتعارض ومصلحة الامة الالمانية .

*

انتقل الآن الى مناقشة الاعتراضات ضد المسائل الثلاث التي عرضتها في سياق هذا البحث :

١ ـ هل تقدم الدول على التحالف مع المانيا وهي بوضعها الحاضر ؟

٢ ـ هل يصبح اعداء الأمس من وضع يمكنهم من تغيير اتجاههم بحيث يحالفون اليوم الأمة التي اعطوا عنها بالامس ابشع صورة ؟

٣ ـ هل تتغلب النزعة القومية عند بعض الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح المانيا ، على النفوذ اليهودي الذي يناهض قيام هذا التحالف ؟

من البديهي ان ما من دولة تحترم نفسها وتغار على مصلحتها تقدم على التحالف مع المانيا بوضعها الراهن ، وليس هناك من دولة تغامر في ربط مصيرها بمصير دولة لا توحي أي نوع من الثقة .

يحاول بعض السطحيين أن يجد عذراً للحكومات وتفسيراً لمسلكها الشائن في تدهور الشعب خلقياً وتدني معنوياته . لا انكر ان معنويات شعبنا اليوم تفرح العدو ، وهو مستسلم منذ سنوات لمشيئة القدر لايحرك ساكناً في الحقل الايجابي، ولكن لا ننس ان هذا الشعب نفسه كان لسنوات خلت مضرب المثل في الشجاعة

والنبل وعلو المقام . فهو الذى اذهل العالم منذ عام ١٩١٤ إلى ان القى السلاح ، هذا الشعب الذي ادهش العالم بثباته وفضائله الانسانية . ولا اعتقد ان هناك من يذهب في التجني علينا إلى حد الزعم بأن الواقع المخجل الذي صرنا اليه اليوم هو نتيجة مع فطر عليه هذا الشعب من ميوعه واستسلام .

ان ما يجري حولنا ، وما نكابده في قرارة نفوسنا ، وما يدفع اعداءنا واصدقاءنا على اساءة الظن بنا ؛ كل هذا ناجم عن جريمة التاسع من تشرين الثاني عام ١٩١٨ ، وقد صدق القول القائل « لا يتولد من الشر إلا الشر » ، ومع ذلك يمكن القول ان السجايا التي يتحلى بها شعبنا لم تموت ، انها الآن ترقد في أعماق ضمائرنا ، وتظهر في بعض الأحيان بشكل التماعات خاطفة تشق الفضاء المتشح بالسواد ، وستذكر المانيا ان هذه الالتماعات تبشر بدخول المانيا دور النقاهة . وانا لنجد اليوم آلافاً من الشباب على أتم الاستعداد لتقديم أرواحهم في ميادين التضحية في سبيل الوطن العزيز على قلوبهم ، كما نجد ملايين من الالمان منصرفين إلى العمل البناء كأنه لم تكن هناك ثورة ولا خراب ، فالحداد منهمك في عمله امام عدته ، والفلاح وراء محراثه ، والعالم وراء مكتبه ، والجميع يقومون بواجباتهم بكل إخلاص ونشاط . أما ما يعاب على الشعب الألماني من تخاذل واستسلام ، فمسؤول عنه الحكام الذين حكموا البلاد منذ عام ١٩١٨ . وعلى الذين يرثون الى حال امتنا اليوم ان يتساءلوا : هل جرب الحكام رفع معنويات الشعب ، وهل حاولوا ان يوقظوا هممه فما استجاب لهم الشعب ؟ وماذا فعلت الحكومات الألمانية منذ عام ١٩١٨ إلى اليوم من اجل تقوية الشعور الوطني ، وهل اقدمت على خطوة من شأنها إثارة كبرياء الألمان وتفجير ما يختزن في صدور الشعب من احقاد ؟

عندما فرض المنتصرون معاهدة الصلح عام ١٩١٩ ، اتاحوا للشعب الالماني الذي ضعضعته الهزيمة فرصة ذهبيه للخروج من ذهوله ، ذلك ان معاهدات الصلح التي

تفرض على الشعوب قيوداً ثقيلة تفعل في نفوس الشعوب فعـــل قرع الطبول في نفوس الجنود وهم يهمون بالانقضاض على مراكز العدو . لكن شعبنا كان بحاجة الى من ينبهه ويفتح عينيه لكن الحكومة الألمانية كانت في شاغل عن هـــذا الواجب الوطني ، يصرفها عن اهتمامها بتأميم المرافـــق الحيوية في البلاد وعصر الشعب لتقدم للمنتصرين ما فرضوه من ضرائب ..

لو كان هناك دعاية منظمة لأتخذت من معاهدة الصلح المرهقة اداة لاثارة نقمة الجمهور ، بابرازها تدابير الاعداء الوحشية واساليبهم البربرية . لكان بامكانها ، لو كان هناك دعاية منظمة ، ان تحول عدم الاكتراث عند الشعب الى استنكار ثائر ، ولو غذته في الوقت المناسب فسيتحول الى نقمة جارفة تنضج في صدور ستين مليوناً من الرجـــال والنساء فتستيقظ السلطات على صراخهـم « سلحونا ، فنحن أمة لا تنام على الضيم » .

نعم ، فقد كان ممكناً اعتبار معاهدة الصلح النقطة الاخيرة التي تطفح بهـا الكأس ، ولكن هذا يعني تسخير كل مطبوعة وكل كتيب يوضع بـين أيدي التلاميذ حتى أرقى جريدة ، كما يعني ايضاً تسخير السينما والمسرح في تنوير الجمهور ورفع معنوياته ، فيمتنع عن الابتهال إلى الله صباحاً ومساء : « اللهم اعد إلينا حريتنا » ليقول : « ايها الرب القدير : بارك اسلحتنا ، وشدد من عزائمنـــا ، واجعل لنا النصر على مضطهدينا ! » .

ان الشعب الالماني ملوم ، ولكن اكثر اللوم يجب أن يكون على الحكومات الألمانية التي تظهر الدولة إلى العـــالم الخارجي بصورة بشعة بتصرفاتها المعيبة وباستسلامها الذي يكشف عن ضعف في الارادة . ولكي يصبح شعبنا مؤهـلا لمحالفة الشعوب التي تتلاقى مصالحه مصالحها يجب عليه أن يسترد اعتباره ، ولن يتمكن من ذلك إلا بعد أن تقوم في المانيا سلطة حاكمة ، تظهر من الشعب وتحس بأحاسيسه لكي تعبر عن ما يختلج في صدوره فتستند على ارادة شعبية تطلب الحرية .

لست انكر انه من الصعب جعل أعداء الأمس اصدقاء اليوم بين ليلة وضحاها . فقد اجهدت الدعاية نفسها اثناء الحرب في تلطيخ سمعة الأمة الألمانية وتشويه تاريخها . ولن يزول بسهولة هذا الشعور بالكراهية نحو كل ما هو ألماني إذا لم يسترد الرايخ الألماني بفضل الوعي القومي معالم الدولة القادرة على تمثيل دورها في القارة الاوروبية ، وعندئذ فقط تطمئن الدول إلى سلامة اوضاعنا فتمهد الطريق امام التحالف وايانا بحملة من الدعاية تعد النفوس لتقبل الخطوة الجديدة . اكن هذا الاعداد يتطلب وقتاً طويلاً ، لذلك وجب التمهل في كسب ود اعداء الامس ، لئلا يترتب على استعجال الامور إفساد المخطط الذي ترسمه الدعايات في البلد الآخر للحصول على النتيجة المبتغاة .

قلت واكرر القول انه لا يحق لألمانيا النظر إلى ما وراء حدودها قبل ان يبرهن الألمان ، حكومة وشعباً ، على انهم امة حية مستعدة للتضحية بل قادرة عليها في سبيل استعادة حريتها السليبة .

وهناك نقطة هامة لا يجوز ان نهملها : فقد يمر وقت طويل قبل ان يدرك الشعب المطلوب إعداده لتقبل الفكرة الجديدة عن عدو الأمس ، اهداف حكومته وذلك اما لأن الحكومة تفضل إخفاء هذه الاهداف أو لأن الرأي العام نفسه بطيء الفهم لنقص في تنشئته الوطنية ، وفي هذه الحالة يقوم بين المطلعين من يحارب هذه الفكرة الجديدة ويحمل الشعب على اتباعه ، ولما كان شعبنا ميالاً إلى الثرثرة الفارغة وكانت احزابنا ومنظماتنا تمارس السياسة في المقاهي والأندية ، فإن كل خطأ يرتكب يضع سلاحاً في ايدي خصوم التقارب من الجانب الآخر ليستخدموه في نسف المحاولات المبذولة .

ولا شك في ان العقلاء من المواطنين استسخفوا الدعوة إلى تحرير التيرول الجنوبي وإنشاء الاسطول الألماني والمطالبة بالمستعمرات ، وقد لفتت حركتنا الأنظار الى الاثر السيء الذي تتركه هذه الدعوة في نفوس الانكليز والايطاليين وإلى العراقيل التي تضعها مثل هذه الدعوات في طريق الداعين إلى نسيان الماضي

وإقامة العلاقات بين الشعب الالماني والشعبين الانكليزي والايطالي على أسس جديـــدة .

كانت الدعايات اليهودية تستغل اخطائنا في الحقل الخارجي ، وثرثراتنا التي لا فائدة منها ، واليوم يدفعنا اليهود إلى ترديد النغمة التي تغضب الذين يفـترض فينا كسب ودهم، لذلك يجب ان نضع حداً لهوس المهووسين ودسائس الدساسين قبل ان يعود اعداء الأمس الى التجمع ضدنا ، ولا يسهى عـــن بالنا اننا خسرنا الحرب لأننـــا اغضبنا الله والناس اجمعين وقد كان علينا ان نراعي الأقربـــين والابعدين لنتمكن من حصر جهودنا في جهة واحدة .

أما إذا جارينا الداعين الى معاداة انكلترا لانها سلبتنا مستعمراتنـا ، والى مقاطعة ايطاليا لانها تحتل التيرول الجنوبي . وإذا جارينا الناقمين على بولونيـــا وتشيكوسلوفاكيا لانهما بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، فلن يبقى عندنا من حليف نحالف إلا فرنسا، التي نسي غلاة « الوطنيين » انها هي الاخرى سلبتنا الالزاس واللورين .

ان فرنسا هي عدوتنا الحقيقية في اوروبا . لكن انكلـــترا وبقية الدول الاوروبية ، لم تكن عداوتها لنا الا عداوة مؤقتة ، لذلك يمكننا ان نحولها إلى دول صديقة حين نبهر شعوبها بنهضتنا وحيويتنا ونجعل من المانيا حليفـــاً ثميناً يتراكض عليه الباحثون عن حلفاء .

★

بقيت المسألة الثالثة وهي مقدرة ممثلي المصالح القومية في الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح شعبنا على تحدي اليهود والتخلص من سيطرتهم والقضاء على نفوذهم .

ان الحملة التي تشنها ايطاليا الفاشيستية للقضاء على الاسلحة الرئيسية الثلاثة لليهودية العالمية هي أحسن دليل على ما يمكن للحركات القومية المنظمة ان تفعله في هذا المضمار . اما التدابير التي تنادي باتخاذها فهي: حل الجمعيات السرية كالمحافل الماسونية وغيرهـــا ، وملاحقة الصحافة الماركسية بعد القضاء على الاحزاب

اليسارية ، وتثبيت المفهوم الفاشستي للدولة . هذه التدابير ستدعم من مركز الحكومة الايطالية قومياً ودولياً وستتمكن بالتالي من حماية مصالح شعبها سواء أحب اليهود ذلك أم لا ...

لكن الحال في انكلترا يختلف عن ايطاليا . ففي انكلترا حيث يمارس اليهودي دكتاتورية مطلقة ، تقوم المنازعات المتواصلة بين ممثلي المصالح القومية أي مصالح الدولة الانكليزية وبين دعاة الدكتاتورية العالمية التي يمارسها اليهود . وقد رأينا هذا النزاع يتفاقم بعد انتهاء الحرب العالمية حين تعارضت وجهات النظر بين الحكومة من جهة وبين الصحافة الخاضعة للنفوذ اليهودي من جهة أخرى ، حول كيفية العلاقات بين انكلترا واليابان .

بعد انتهاء الحرب العالمية مباشرة عادإلى الظهور خلاف أو عداء تقليدي بين اميركا واليابان . ومن الطبيعي ان لا تقف الدول الاوروبية موقف المتفرج من هذا العداء الذي يهدد السلام . وكان على انكلترا ان تراعي ارتباطاتها مع اميركا والصلات الاخرى العرقية التي كانت تربطها بأميركا ، كان عليها مراعاة هذه الارتباطات قبل ان تحدد موقفها من الدولتين المتنازعتين ، لكنها ترددت في الانحياز نحو اميركا باعتبار ان نمو هذه الدولة وتقدمها الهائل اصبح مصدر قلق لانكلترا ، وكيف لا يقلقهم تطور المستعمرة السابقة تطوراً هائلاً يمكنها من سيادة العالم في سنوات معدودة ؟

بحثت انكلترا عن حليف يمكنها الاعتماد عليه في الأوقات العصيبة يوم تضطر إلى الدفاع عن مركزها الدولي وسيادتها البحرية ، فلم تجد انسب من اليابان لهذه المهمة باعتبار ان العداء القائم بين طوكيو وواشنطن سيجعل من اليابان حليفاً ثميناً يمكن الاعتماد عليه في تقوية مركز الامبراطورية تجاه المطامع الاميركية ..

وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة الانكليزية تسعى جاهدة للابقاء على الروابط التي تشدها إلى الحليفة الآسيوية كانت الصحافة اليهودية في انكلترا وفرنسا تهاجم هذه السياسة . فاليهود بعد ان صفوا حساب المانيا بطريقة تتفق ومصالحهم كشعب يقاوم كل نزعة قومية في بلد متمدن ، وجدوا ان

اليابان الدولة الآسيوية العظمى لا يمكن ان تخضع لسيطرتهم إلا بعد ان يصفوا حسابها في ميدان القتال ، واليهود أذكى من ان يحاولوا إفساد الدم الياباني بمثل السهولة التي أفسدوا بها الدم الفرنسي والانكليزي والاميركي . لذلـــك يجب إضعاف اليابان بطريقة أخرى هي الحرب ، لأن بقاء اليابان دولة قومية وحيدة وسط مجموعة دول كبرى جردتها الدسائس اليهودية من معالم قوميتها تسهيلاً لاستعبادها يشكل خطراً على مشاريع اليهود الذين يحلمون ببلشفة العالم. فحلم اليهود لا يتحقق ما دام هناك دولة قادرة على سحق الطغيان بقوى الفكرة القومية .

ان الصحافة اليهودية في العالم وخاصة في انكلترا تحاول الآن ان تستعدي اليابان كما سبق ان استعدتها على المانيا ، وقـــد بدأت تضعف مقاومة الحكومة الانكليزية للذين يقفون ضد التحالف الانكليزي الياباني ، وسيأتي اليوم الذي تتزعم فيه انكلترا حملة صليبية ضد الدولة الصفراء اقتناعاً منها بأن النزعة القومية في اليابان تشكل خطراً على السلام العالمي .

ان الحركة الوطنية الاشتراكية ستسعى جهدها لتنبيه الشعوب الآرية حتى الشعوب المعادية لنا ، الى ما يبيته اليهود لنا ولها ، وستخطط للشعب الألماني سبل الخلاص بحيث يكون كفاح شعبنا في سبيل التحرر من سيطرة اليهود المشعل الذي يضيء الطريق أمام الشعوب الاخرى الراغبة في التخلص من جرثومة اليهود.

الفصل الثالث والعشرون

الاتجـــاه نحو الشرق

يدفعني الى بحث موضوع العلاقات الالمانية الروسية سببان هما:

اولا : إثارة هذا الموضوع في الصحف الماركسية في معرض حديثها عن عقد محالفات يقوى بهـا ساعد المانيا .

ثانياً : الاستخفاف الذي يعالج به المثقفون قضايانا الخارجية .

إن حركتنا لا تجد صعوبة في إزالة ما يعلق في أذهـان اليساريين من جراء الدعايات الماركسية، لأن هذا الفريق من المواطنين لم يأخذ بوجهة نظر الماركسيين إلا لأنه لم يجد من يوجهه ويرشده الى الطريق القويم فـيما يجب ان تكون عليه سياسة المانيا الخارجية . وقد وجد آلاف اليساريين في حركتنـا المشعل الذي اضاء أمامهم ظلام الطريق . وقد وجـدنا بقية باقية لديهم من الوعي القومي وغريزة حب البقاء مما سهل مهمتنا في إرشادهم .

لكن هذه المهمة لم تكن سهلة لدى المثقفين . فقد كان علينا إقناع رجـال خدرت وعيهم القومي مثاليات مضطربة ، فضحوا على مذبح الموضوعية آخر ما تبقى لهم من عزة قومية وغريزة حب البقاء. وقد حاول هذا الفريق من المواطنين الانحراف بسياسة المانيا الخارجية نحو المزالق الخطرة . لذلك وجدت انه من الواجب علي أن أشرح لأعضاء الحزب وانصاره أخطر قضية تواجههـا الدولة العنصرية في الحقل الخارجي : موقف الرايخ من روسيا . وقبل أن أدخـل في

صاب الموضوع أوضحت في أكثر من خطاب ومحاضرة ومقال ان السياسة الخارجية للدولة العنصرية يجب أن تسعى إلى إيجاد مقومات البقاء للشعب وذلك بإقامة نسبة عادلة ، ملائمة لقانون الطبيعة ، بين عدد السكان وزيادته المطردة من جهة ، وبين مساحة الارض وقيمتها من جهة اخرى .

وقد سبق لي وشرحت في فصل سابق ان اقوى ضمانة لحرية الشعب وبقائه هو في حصوله على المدى الحيوي الكافي ، على أن تحافظ على سلامة هذا المدى دولة قادرة سياسياً وعسكرياً ضمن إطار جغرافي ملائم ، على الدفاع عن كيانها وحماية مصالح شعبها الحيوية .

حين ينظر الشعب الالماني الى المستقبل ، عليه ان يعتبر ان بلاده هي دولة عظمى مدعوة الى تمثيل دورها على المسرح العالمي . فقد مثلت ألمانيا هذا الدور طيلة قرون ، وكان نشاط شعبنا جزءاً لا يتجزأ من التاريخ العالمي . فالحرب الأخيرة التي خضنا غمارها والتي كانت بالنسبة لنا صراعاً من أجل البقاء ، هذه الحرب قد أطلق عليها الأعداء اسم « الحرب العالمية » معترفين بأهمية الدور العالمي الذي يمثله شعبنا .

لقد خاض الشعب الألماني الحرب بصفته قوة عالمية مزعومة. اقول «مزعومة» لأن المانيا عام ١٩١٤ لم تكن قوة عالمية ، فقد حملت السلاح وهي غير مهيأة للحرب ، فقد كانت تنقصها المواد الاحتياطية التي تدفعها إلى الثبات مدة طويلة، لأن الأراضي الالمانية ضاقت بالسكان وبات جهد الشعب مقصوراً على استنباط تربة الوطن الخيرة ، لكن عطاءها قصر ، مع مرور الأيام ، عن سد حاجة السكان الآخذ عددهم في الازدياد .

والمانيا اليوم لا تعتبر قوة عالمية، ولن تصبح كذلك حتى في حال بعث الجيش الالماني ، لأن المانع الذي كان قائماً قبل الحرب لا يزال كما هو ، بل على العكس فقد ازداد وضعنا تدهوراً بخسارتنا لأجزاء هامة من الوطن الألماني ، فقد ترتب على فقدان هذه الأجزاء مشاكل جديدة ، فقد أصبح على ستين مليوناً من المواطنين والرعايا أن يتدبروا خبزهم اليومي في مساحة من الارض لا تزيد على

نصف مليون كيلومتر مربع .

وإذا نظرنا إلى المانيا من حيث مساحة الارض، نجد انها في وضعها الحاضر، أي بمساحتهـا الحاضرة ، دولة متوسطة عاجزة عن الوصول الى مستوى الدول الكبرى ، ولا يجوز الاستشهاد بصغر المساحة الأرضية الذي تشغله انـــكلترا للتدليل على خطأ هـــذه النظرية . فالواقع ان انكلترا تعتبر العاصمة الكبرى للامبراطورية الانكليزية المترامية الاطراف .

ويمكننا أن نعتبر دولاً عظمى كالولايات المتحدة الاميركية وروسيا والصين. فمساحة كل واحدة منها تبلغ عشرة أضعاف مساحة المانيا بوضعها الحالي. وكذلك فرنسا يمكن اعتبارها من الدول العظمى لأنها تملك أقوى جيش في العالم وتعززه باستمرار ، بفضل مواردها الخاصة وموارد أمبراطوريتها الواسعة . كما انها تسد النقص في المواليد باختلاطات عرقية ودموية إن لم يوضع لها حد نجم عن استمرارها لمدة قرن آخر قيام دولة افريقية – اوروبية مكان فرنسا اليوم .

لقد تنبهت الحركة الوطنية الاشتراكية لهذه الحقائق وندبت نفسها للقيام بجمع شتات الشعب الالماني وصهر شتى عناصره في بوتقة القومية الصافيـــة ، ثم الخروج به من الدائرة الضيقة ليضرب في آفاق جديدة واسعة ، لأن بقاءه في مكانه يعني له الانقراض أو الخضوع لنير الاستعباد .

إن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تقبل ان يعيش ستون مليون ألماني في بقعة من الأرض لا تزيد مساحتها على نصف مليون كيلومتر مربع ، وترى أن من أقدس واجباتها إزالة هذا الواقع الأليم وسد الثغرة التي أحدثتها السياسة الخارجية في العهد الأخير بين ماضينا التاريخي المجيد وحاضرنا الأليم .

ستعلم حركتنا الشعب الألماني كيف يعتني بنفسه كعنصر متفوق في الأصل ، وتنبهه الى وجوب الاعتناء بدمه لكي لا يدعه عرضة للاختلاطات المميتة، وتوجهه اتجاهاً يجعله جديراً بحمل المشعل الذي حمله أجدادنا .

***

إن سياسة المانيا الخارجية خلال السنين العشر الـــتي سبقت اندلاع الحرب

العالمية لم تكن بأفضل من سياستها الحاضرة التي نحملها أخطاء جسيمة ارتكبتها لأنها عاجزة عن الوقوف حيث يملي عليها الواجب . فقـد كانت لنا امبراطورية واسعة وكنا أقوياء نسبياً ، لكن قوة الدولة يجب أن تقاس بمقيـاس قوة باقي الدول ، وألمانيا قبل الحرب ظلت مقصرة عن بلوغ مستوى الدول المنافسة لها . لقد كنا نتقدم إلى الامام ببطء شديد بينما كان الآخرون يسرعون الخطى. ولئن تكن التضحيات الكبيرة التي قام بها شعبنا والتي ذهبت سدى ، فسبب ذلـك يعود الى عدم معرفة الحاكمين لاستعمال الطاقة الشعبية التي وجدت في متناولهم .

وإذا رجعنا إلى تاريخ المانيا واستعرضنا مآتيها العسكرية ودرسنا نتائجهذه المآتي النهائية كما تظهر لنا اليوم ، نجد أننا تجاه واقع ناطق بمهـارة الذين تولوا مقدرات شعبنا في ذلك العهد الذهـبي . فبفضل سياستهم الحكيمة توصلوا الى النتائج التالية :

١) استعمار المناطق التي تعتبر الباب المؤدي الى الشرق .

٢) احتلال المناطق الواقعة شرقي نهر الايلب .

٣) نجاح آل هوهنزولرن في إنشاء نواة الامبراطورية حـين تم لهم إنشاء الدولة البروسية .

لقد شدد المؤرخون الالمان على أهمية النتيجة الثالثة أي إنشاء الدولةالبروسية ولم يحفلوا كثيراً بالنتائج الأولى والثانية ، مع العلم ان التوسع في الشرق كان خطوة عظيمة بل من أعظم الإنجازات التي قام بها الأجداد ، ولو انهم لم يفعلوا ذلك لكنا اليوم مقاطعة تدين بالولاء لروسيا في الشرق ، أو لفرنسا في الغرب . فبفضل الزحف شرقاً ، الذي يعتبر المحاولة الوحيدة الناجحة من هذا النوع ، أمكن تحقيق الانسجام المطلوب بين عدد السكان المتزايد وبين المـدى الحيوي الـلازم .

ولا يُعتقد أن تشديدي على أهمية الزحف شرقاً واعتباري لهـا كخطوة موفقة قام بها أجدادنا ، لا يعتقد أنني لا أقدر أهمية الخطوة الثالثـة ، أي إنشاء الدولة البروسية وما تلاها من قيام الجيش الألماني رمز وحدة الأمة . فبفضل هذا

الحدث التاريخي العظيم شعر كل ألماني أن ما كان يشغله في الدفاع الفردي قد زال وحل محله الدفاع عن الأمة كلها في محيط المؤسسة العسكرية التي تمثلت فيها جميع عناصر الأمة .

وهكذا أصبح للشعب الألماني نظام جديد يجمع شمله ويوحد كلمته ويوفر له التنظيم الذي كان ينقصه .. ذلك ان التضامن الفطري القائم بين بقية الشعوب ، والذي لا نجده في مجتمعنا نحن قد ساد الى حد ما صفوف أمتنا بفضل التدريب العسكري . لذلك كان إلغاء الخدمة العسكرية الإجبارية وخيم العواقب في بلادنا التي لم تتخل بعد عن النزعة الفردية نهائياً ، والتي يساهم في تفريق كلمة أبنائها تعدد العناصر وانتشار المفاهيم الفلسفية المتناقضة .

من المؤسف القول أن أعداءنا يقدرون ويفهمون اكثر منا أهمية انتصاراتنا السياسية الحقيقية التي أحرزها شعبنا خلال ألف عام من النضال الشاق والكفاح المرير . لذلك وجب على حركتنا ان تعلم شعبنا كيف يميز بين الانتصارات السياسية الحقيقية وبين الحالات التي اهدرت فيها دماؤنا بدون طائل . ويمكننا القول دون أن نتجنى على الحقيقة ودون أن نغمط حقوق ساستنا : إن ألمانيا لم تكسب شيئاً من الخطوات التي خطتها منذ قرن إلى اليوم في ميدان السياسة الخارجية ، لأن المدى الحيوي لم يكن هدف هذه السياسة.

*

ما أكثر المتشدقين في أيامنا هذه وما أكثر الزاعمين ان سياسة ألمانيا الخارجية يجب أن تقتصر نشاطها على محو عار عام ١٩١٨ مقيمة بذلك الأدلة على زهدها في التوسع تطميناً للجيران . أما أنا فأقول إن التفكير في إعادة الرايخ إلى الحدود التي كانت له سنة ١٩١٤ هو جريمة بحق الوطن . ولا أنكر أن حدود ما قبل الحرب لم تكن معقولة من الوجهة الاستراتيجية ولا منصفة من الوجهة الإنسانية لأن ملايين من الألمان كانوا يعيشون خارج تلك الحدود . وأذهب أكثر من ذلك فأقول إن حدود الرايخ لم تكن نتيجة عمل سياسي مدروس . إنها كانت مؤقتة بانتظار الانتهاء من نزاع لا يزال قائماً . ولكن المطالبة بإعادة هذه الحدود من

شأنها اليوم إعادة الارتباط بين الحلفاء ، لأن أكثر ما يخافه هؤلاء هو بعث « الخطر الألماني » حسب قولهم الماثل في وحدة الأمة والتفاف أبنائها جميعهم حول رايتها .

لقد تناسى أعداؤنا عام ١٩١٤ ما بينهم من أسباب النزاع والقطيعة ليعقدوا العزم على محاربة ألمانيا القوية ، ثم وجدوا بعد ذلك أن تقسيم ألمانيا هو الضمانة الوحيدة لمنع الرايخ من النهوض مرة أخرى، فعندما يعلن ساستنا البورجوازيون أن سياستنا الخارجية يجب أن تقصر همها على إعادة حدود ١٩١٤ ، يقدمون إلى الأعداء السبب المطلوب للإبقاء على التضامن فيما بينهم ، لعلمهم أن ألمانيا القوية تخافهم مجتمعين ولكنها لن تتردد في الانقضاض عليهم حين يصبحوا متفرقين .

إن شعار عالمنا البورجوازي في إعادة حدود ١٩١٤ هو والحالة على ما ذكرت شعار في غير محله بالإضافة إلى أن وسائل تحقيقه غير متوفرة ، وانه في حال تحقيقه لا يستأهل منا هدر دماء أبنائنا في سبيله ، باعتبار أن حدود ما قبل الحرب لا قيمة لها في حساب الذين ينظرون إلى أبعد من أنوفهم . فهي لم تكن غطاء صالحاً في الماضي ، ولا يمكن أن تشكل قوة في المستقبل ، فهذه الحدود لم تحفظ لشعبنا وحدته الداخلية ولم توفر له قط أسباب العيش . أما من الناحية العسكرية فليس لتلك الحدود من قيمة دفاعية .

ليس بإعادة حدود ١٩١٤ يمكن لألمانيا ان تستعيد مكانتها السابقة . ونحن الوطنين الاشتراكيين مقتنعون ببطلان كل تخطيط لسياستنا الخارجية لا يتضمن إعطاء الشعب الألماني الارض التي يجب ان تعود اليه في هذا العالم . وبلوغ هذا الهدف يبرر هدر دمنا الالماني لأن احفادنا الذين سيتوالدون على الارض الجديدة سيغفرون لنا إرسال آباءهم الى الموت في سبيل تأمين مداهم الحيوي .

يعترض بعض الكتاب العنصريين على هذا النوع من التوسع زاعمين انه يشكل اعتداء على حقوق البشر المقدسة . لا أعلم من اين استخلص هؤلاء نظريتهم السخيفة ، ولكني متأكد بأن انتشار هذه النظرية لن تفيد الا اعدائنا في الداخل

والخارج . ويتناسى اعداء التوسع ان ما من شعب في هذا العالم تمكن من امتلاك شبر واحد من الارض بفضل احترامه لحقوق الآخرين وتقيده بالقوانين المنزلة او الموضوعة .

ان حدود الدول هي من صنع البشر وتبديلها يتم على أيدي البشر ، وحدود المانيا الحالية ليست سوى نتيجة لنضال طويل لم ينته بعد وكذلك حدود فرنسا وبولونيا وايطاليا وغيرها ...

ان حصول شعب من الشعوب على اراضي مترامية الاطراف ، لا يعني بشكل من الاشكال ان الشعوب المحرومة لا يحق لها منازعته ملكية هذه الاراضي . وان ما يقاسيه شعبنا اليوم من شظف العيش وما يعانيه من ضيق ضمن الاطار الارضي الصغير ، ليس من صنع القدر ، كما يزعم الاتكاليون ، وليس الكفاح في سبيل تغيير هذا الوضع تمرداً على هذا القدر . فأجدادنا لم يتلقوا الارض التي نعيش عليها هبة من السماء ، لكنهم احرزوها بقوة السيف بعد ان سقوا تربتها بدمائهم الزكية . والمدى الحيوي الذي نفتقر اليه اليوم لن نتمكن من الحصول عليه بنعمة « العنصرية » ، فسبيلنا الوحيد اليه هو القوة .

ان تصفية حساب فرنسا خطوة ضرورية اولى لا بد لكل الماني مخلص من اقرارها . لكن تظل خطوة عقيمة ان نحن اكتفينا بهذا القدر . فإزالة الشوكة التي تهدد ظهرنا في الغرب يجب ان تكون بداية الانطلاق نحو توسيع مساحة الارض التي نعيش عليها . وقد اوضحت في جزء سابق ان توسعنا خارج اوروبا لا يقضي على المشكلة ، فليس المطلوب إخضاع بعض الشعوب الملونة للسيطرة الألمانية ، إنما المطلوب الحصول على اراض اوروبية تتسع بها رقعة الوطن الأم . وطبعاً هذا التوسع سيكون على حساب الشعوب الاخرى ، ونحن الألمان إذ نفكر أن هذا التوسع على حساب الآخرين عمل غير مشروع نكون قد ابتعدنا عن المنطق وكذبنا التاريخ . ان حق الشعب بالاستيلاء على اراض جديدة يصبح حقاً مقدساً عندما يضيق الوطن بمن فيه ويوشك ابناؤه على الهلاك اختناقاً .

فأما ان تصبح لألمانيا قوة عالمية او لا تكون . والشرط الأساسي للوصول الى مستوى الدول العظمى هو في إحرازها المدى الحيوي الذي يؤمن لشعبها مقومات البقاء .

★

يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين ان نسعى لتبديل سياسة المانيا الخارجية وان نبدأ حيث انتهى أجدادنا منذ ستماية سنة . يجب ان نعمل على وقف الزحف الجرماني نحو الجنوب ونحو الغرب لنتجه بانظارنا نحو الشرق.

أجل ان حركتنا ستسعى إلى الحد نهائياً من السياسة الاستعمارية والتجارية لتؤمن لشعبنا مداه الحيوي في اوروبا نفسها ، ونحن إذ نهدف إلى ذلك لا يفوتنا ان اتساع الارض التي نعيش عليها لن يتم إلا بالتوسع على حساب روسيا والبلدان المجاورة لها .

ان القدر نفسه يشير باصبعه إلى روسيا ، فهو حين رمى بها في أحضان البلشفية قد انتزع من الشعب الروسي تلك الفئة من المفكرين الذين اقاموا صرح الدولة وتولوا مقدراتها . ذلك ان تنظيم الدولة الروسية لم يكن بفضل جهود الصقالبة ومقدرتهم على الخلق والابداع ، بل كان ثمرة جهود العنصر الجرماني المتمتع بعبقريات منظمة حيثما وجد واين ما حل . لكن روسيا لم تعرف كيف تحافظ على النواة الجرمانية التي خلقت الدولة ، لذلك اضمحلت هذه النواة مع مرور الأيام ، وظهر إلى حيز الوجود اليهودي في الوقت المناسب ليأخذ محلها .

قد تحاول روسيا التخلص من الكابوس اليهودي لكنها لن تقوى على التخلص منه بأساليبها الخاصة . ولا يفوتنا ان اليهود اضعف من ان يستمروا باخضاع دولة كبيرة لسيطرتهم لمدة طويلة ، لأنهم عنصر مخرب لا يحب النظام والبناء . لهذا فنحن نعتقد ان الدولة الجبارة في الشرق تقف على شفير الهاوية ، وان نهاية السيطرة اليهودية على روسيا تعني نهاية روسيا نفسها كدولة . وقد اختارنا القدر لنشهد هذه الكارثة التي تعتبر احسن دليل على صحة نظرياتنا العنصرية فيما يتعلق

بموضوع الاعراق البشرية .

★

من البديهي ان يعارض اليهود هذه السياسة بكل مـا لديهم من قوة ونفـوذ لأنها تتنافى ومبادئهم وخططهم ودسائسهم . ويكفي ان يقف اليهود في وجه هذه السياسة الحكيمة لنقنع الذين يشعرون بالقضايا القومية بفائدة هذا الاتجاه الجديد الذي وضعته حركتنـا . ولكن مع الأسف ، لم تختمر فكرة الاتجـاه والزحف نحوالشرق فيأذهان الكثيرين من القوميين الألمان وبعض «العنصريين» النظريين . فهم يستشهدون ، كلما اعوزتهم الحجة وخانهم المنطق ، بالاتجاهالذي رسمه بسمارك الذي حرص دائماً على قيام علاقات ودية بين المانيا وروسيا .وكان حرصه في محله وينسى الذين يستشهدون بما فعله بسمارك انه كان يعلق أهميـة كبرى على صداقته مـع ايطاليا لكي يفرض إرادتـه على النمسا وهي في شبه عزلة. فلم لا ينادي المعجبون بسياسة بسمارك بنهج المنهج الذي اعتمده المستشار الحديدي تجاه ايطاليا الحالية ؟ سيقولون ان ايطاليا اليوم ليست ايطاليا القرن التاسع عشر . ونحن نجيب ان روسيا اليوم ليست روسيا التي حرص بسماركعلى كسب صداقتها . اذن فالقضية ليست : ماذا فعل بسمارك ؟ بـل القضية هي : ترى لو كان بسمارك حياً فما هي الخطة التي سيتبعها ؟ لا شك أن هـذا الرجـل البعيد النظر ما كان يمد يده الى روسيا البلشفية المشرفة على الموت .

لا يسهى عنا ان بسمارك تبنى الرأي القائل بالاستعمار وغزو الأسواق العالمية كما ان قضية التنظيم الداخلي كانت شغله الشاغل . فمن الطبيعي والحالة هذه ان يعتبر وقوف روسيا على الحياد في خصامه ضد الغرب انتصاراً كبيراً لسياسته . ولكن ما كان صالحاً في ذلك الوقت لألمانيا هو اليوم في غير مصلحتها .

في عام ١٩٢١ جرت محاولات لخلق الروابط بين حركتنا التحررية وبـين بقية الحركات التحررية في البلدان الأخرى ، واقترح الوسطاء إنشاء « عصبـة الأمم المضطهدة » وقد اجتمعت عدة مرات مع رجال ادعوا انهم ممثلين عـن بعض الدول البلقانية والهند ومصر ، فأعربوا لي عن رغبتهم في إيجـاد تعاون

وثيق بين الحركات الاستقلالية في بلادهم وبين الحركة الوطنية الاشتراكية ، ولكني لم التفت إلى اقوالهم ولم اهتم بها ، لأنهم تكشفوا لي عن كونهم ثرثارين وأدعياء لا يفقهون ما يريدون .

إلا ان هؤلاء « الاستقلاليين » وجدوا من يسمع لهم ويتحمس لآرائهم في صفوف القوميين الألمان الذين اعتقدوا محدثيهم من تلاميذ هنود ومصريين ، بانهم الممثلين الحقيقيين لمصر والهند . وقد فاتهم ان هؤلاء التلاميذ لا يمثلون إلا انفسهم وبالتالي فالحديث معهم والدخول معهم في مفاوضات يعتبر مضيعة للوقت . وحتى لو كان هؤلاء معتمدين رسمياً من قبل بلادهم فالمشروع بحد ذاته لا قيمة له ويعود بالتالي على القومية الألمانية بأضرار فادحة .

لقد جربت المانيا التعاون مع دول لاقيمة عسكرية لها حين قامت بالتحالف مع تركيا والنمسا لتواجه أقوى الدول عسكرياً وصناعياً ، فكانت النتيجة الكارثة التي لا نزال نقاسي من ذيولها .

ويبدو ان هذا الدرس القاسي لم يكن كافياً بدليل تحمس المهووسين من المواطنين لمشروع « عصبة الأمم المضطهدة » اقتناعاً منهم ان هذه العصبة ستجرد المنتصرين الأقوياء من سلاحهم .

لقد قاومت هذه الفكرة وبينت سخف هذا المشروع لأنهما يحولان شعبنا عن إمكاناته الحقيقية ويحملانه على الاستسلام الى الاوهام والأحلام .

ما أقرب الشبه بين الألماني اليوم وإنسان مجهول مشرف على الغرق ، فهو يتشبث بعود من الكبريت يجده طافياً على الماء لكي يتفادى الموت غرقاً ، وهكذا وضعنا اليوم فإننا نجد في أوساط المثقفين انفسهم اشخاصاً يتحمسون لمشاريع وهمية كمشروع « عصبة الأمم المضطهدة » و « عصبة الأمم » وما شابهها .

واذكر حادثة شغلت منظماتنا « العنصرية » لعدة أشهر . فقد جاء إلى اوروبا عام ١٩٢١ طائفة من الهنود واستطاعوا إقناع الناس بأن الامبراطورية البريطانية مشرفة على الانهيار لأن الهند، وهي حجر الزاوية في هذه الامبراطورية

على ابواب ثورة هائلة . وقد وقف « العنصريون » في المانيا بانتظار انهيار الامبراطورية ، شأنهم شأن الاطفال في يوم عيد الميلاد .... فبرهنوا بذلك عن قصر شديد في النظر وجهل فاضح لتاريخ الفتح الانكليزي .

ان استمرار خضوع الهند للسيطرة الانكليزية هو أمر حيوي بالنسبة لهذه الدولة . فلا يعقل والحالة هذه ان تتخلى انكلترا عن الهند أو تترك « جوهرة التاج » تفلت من ايديها . وهذا لن يصير ألا إذا ادرك الانكليز الانحلال العنصري وهذا غير محتمل — أو إذا قضي على انكلترا بضربة قاصمة من عدو اقوى منها أما الزعم بأن قيام الهنود بثورة سيسبب انهيار الامبراطورية ، فهذا زعم باطل ويجوز ان يصدقه ابناء اميركا الجنوبية مثلاً ، ولكن لا يجوز ان يصدقه الألمان الذين اختبروا مقدرة الانكليز وتأكدوا انها امة قوية شديدة المراس .

ولم يكن « العنصريون » الذين تأملوا الخير من الحركة الاستقلالية في مصر ، اعقل من الذين قعدوا ينتظرون انهيار بريطانيا لأن الهنود ارادوا القيام بثورة ، فالحركات الاستقلالية في مصر قد تزعج بريطانيا ولكن لن تتمكن هذه الحركات من زحزحة الكابوس البريطاني ، ولن يقدموا على التضحية بانفسهم وارواحهم في سبيل « إخوانهم » الألمان كما يعتقد الخياليون من المواطنين .

ان المؤمنين بالكفاح المشترك أي الكفاح الألماني المصري الهندي لم ينظروا إلى حاضرهم الأليم . فهل من المعقول لحلف يضم ثلاثة مقعدين من مهاجمة عملاق يقظ لا يتورع عن استعمال اشد الاساليب للدفاع عن كيانه والحفاظ على ممتلكاته وانا كعنصري أتخذ من الاعراق ميزاناً أزن به القيمة البشرية ، لا أسمح لنفسي ولو بالتفكير بربط مصير شعب كالشعب الالماني بمصير شعوب تحتل ، من حيث التسلسل العنصري ، مرتبة وضيعة .

لا يمكننا ايضاً الاعتماد على روسيا في كفاحنا من اجل تحرير امتنا . فهي ايضاً ينطبق عليها ما سبق وقلته في « الشعوب المضطهدة » خاصة بعد أن اصبحت الامور بين ايدي جماعة من المغامرين الدوليين . ولو تم هذا الحلف فلن

تفيد المانيا منه شيئاً ، من الناحية العسكرية ، لان القتال سيدور ضمن الاراضي الالمانية دون ان تتلقى أية معاونة مهمة من روسيا ضد أوروبا الغربية ، باعتبار ان بولونيا تقف في طريق الجيش الروسي حين يزحف نحو الغرب لان بولونيا اليوم هي حليفة ثمينة لفرنسا . فيتوجب بالتالي على روسيا لتتمكن من نقل قواتها الى ارض المعركة الرئيسية ان تصفي حساب بولونيا اولاً .

هذا مع العلم ان المانيا ستكون بحاجة ماسة الى الوسائل التكنيكية أكثر من حاجتها إلى الرجال ، في حال نشبت الحرب بينها وبين الدول الغربية . وقد سبق لالمانيا ان تحملت وحدها عبء الحرب التكتيكية أثناء الحرب العالمية لانها لم تحسن اختيار حلفائها . لذلك لن نتمكن من مقابلة الدولة الغربية المجهزة بوسائل تكنيكية ممتازة ستقرر مصير الحرب ، مع العلم ان روسيا لا يُعتمد عليها من هذه الناحية لافتقارها الى تلك الوسائل . كذلك يمكن القول بالنسبة لالمانيا التي لا تملك المعدات التكنيكية اللازمة خاصة وان إمكاناتها محدودة جداً . وخلاصة القول ان دخولنا الحرب معتمدين على روسيا سيعني الخسارة المحتمة ...

يقول مؤيدي التحالف مع روسيا لا يعني بالتالي ضرورة قيام الحرب . فيمكننا عقد الاتفاق اليوم ومن ثم الاستعداد والتجهيز للغد . فإلى هؤلاء اقول ان هذا الحلف الذي يدعون اليه لا قيمة له . لاننا إذا رضينا وأقمنا التحالف مع روسيا وابتدأنا تجهيز انفسنا منذ اليوم إلى الحرب التي قد تنشب ، فالاعداء الذين يتطلعون ويراقبون نشاطاتنا لن يعطونا الفرصة الكافية لاستكمال هذا التجهيز والاستعداد للحرب . فسرعان ما يستدرجونا إلى ميدان الصراع ونحن لم نكمل بعد استعداداتنا ومن ثم يحملونا مسؤولية النزاع كما حدث سابقاً .

بالاضافة إلى كل هذا هناك حقيقتان هامتان :

١ – ان نظرة الحكام الحاليين لروسيا الى المعاهدات والاتفاقات لا قيمة لها ولا هم يقيمون لها أي وزن .

ان حكام روسيا الحاليين هم مجرمون لا تزال ايديهم مخضبة بالدماء . انهم حثالة البشر التي استغلت غفلة القدر لتنقض على دولة جبارة كبيرة وتصرعها وتفتك بالملايين من ابناء الطبقات الموجهة لتبني على الانقاض دكتاتوريتها المطلقة . فحكام روسيا اليوم هم ابناء الشعب الذي اتقن النفاق والكذب ، ابناء الشعب الذي يدعي انه سيسيطر على العالم ، ان حكام روسيا اليوم هم اليهود وأذنابهم . فاليهودي الذي يملك زمام الامور في روسيا لن ينظر إلى المانيا كدولة حليفة يمكن التعاون معها، بل ينظر اليها كضحية جديدة سينقض عليها حين تسنح له الفرصة المقبلة. فكيف يمكننا والحالة هذه أن نحالف شريكاً تقوم مصالحه على خرابنا ؟ وكيف يريد البعض ان نعقد الاتفاقات مع شعب شعاره الكذب والتلفيق والسرقة ؟

٢ - ان المرض الخبيث الذي قضى على روسيا اليوم ، هو نفس المرض الذي يهدد المانيا بالذات ، وليثق الذين يتغاضون عن هذا الخطر الداهم ان بلشفة روسيا هي خطوة أولى نحو اخضاع العالم لسيطرة اليهود . فاليهود ، كالانكلو ساكسون ، قد يتحولون عن أهدافهم لفترة محدودة ولكنهم لا يتخلون عن هذه الأهداف .

ان المانيا هي ضحية البلشفية المقبلة ، ولن تتمكن من الخلاص من براثنها إلا بواسطة فكرة قوية تجمع حولها المخلصون وتؤدي بالتالي إلى النهوض بشعبنا . والقول ان المانيا بحاجة إلى من تستند اليه في سعيها الى تحرير نفسها وان روسيا هي الحليف الصالح ، هذا القول يدل على جهل وقصر في النظر إلى الأمور أو يدل على سؤالنيه . فكيف يجوز لنا الاعتماد على دولة يحكمها اعداؤنا الألداء ؟

ان مكافحة البلشفية تتناقض والتفاهم مع روسيا السوفياتية ، فإذا تحالفنا مع السوفيات نكون قد تحالفنا مع ابليس لنطرد به الشيطان .

ذكرت في فصل سابق انه كان على الحكام في المانيا قبل عام ١٩١٤ ان يحالفوا انكلترا ليتمكنوا من التوسع شرقاً وهم مطمئنون ، او ان يتحالفوا مع روسيا ليأمنوا شرها ولكي لا يضطروا الى الحرب على جبهتين . اما اليوم

فالتحالف مع روسيا اصبح لا قيمة له ، بعد ان رسمت حركتنا لألمانيا سياسة خارجية مستوحاة من الواقع ومتفقة مع مصالح امتنا وهي تأمل ان يتمكن الحكام من الحفاظ على هذه المصالح والتقيد بالسياسة المرسومة التي تصلح ان تكون وصية سياسية .

اما الخطوط الرئيسية لهذه السياسة فهي التالية :

لا تسمحوا ابداً بقيام دولتين بريتين كبيرتين في القارة الاوروبية ، وفي كل محاولة لانشاء دولة كبرى قريبة من الحدود الألمانية تكمن محاولة خبيثة لتهديد بلادنا، ويجب عليكم اعتبار أية محاولة من هذا النوع كاعتداء مباشر على حدودنا كما يجب عليكم ان تمنعوا قيامها بكل الامكانيات والوسائل التي تملكون .

واحرصوا على ان يكون مصدر قوة المانيا في اوروبا ضمن الاراضي الألمانية ، ولا تطمئنوا الى وضع الرايخ ومصيره قبل ان توفروا للشعب الالماني المدى الحيوي الذي يحتاج اليه.

★

اعود الى موضوع التحالف بيننا وبين انكلترا وايطاليا لاركز على اهمية هذا التحالف من الوجهة العسكرية .

فالتحالف مع انكلترا وايطاليا يعطي نتائج عسكرية هامة ، عكس ما يعطيه التحالف مع روسيا . فتحالفنا مع انكلترا وايطاليا لن يؤدي الى نشوب الحرب . فالدولة الوحيدة التي تعارض هذا الحلف هي فرنسا . وهي لن تتمكن من افتعال الحرب لانها تعلم بأنها اضعف من ان تحارب هذه الدول الثلاث . يضاف الى ذلك ان التحالف مع الانكليز والايطاليين يعطينا الوقت الكافي للتأهب والاستعداد لمعركة الثأرالتي يجب ان نخوضها ضد فرنسا بعد ان تتمكن الدبلوماسية الالمانية من عزل فرنسا وانتزاع المبادرة منها عسكرياً وسياسياً .

وهناك اهمية تكنيكية للحلف الثلاثي هذا .فألمانيا لن ترهق نفسها بأعباء الحرب ومتطلباتها ، باعتبار ان حليفتيها قادرتان على تجهيز انفسهما تكنيكياً

بفضل اقتصادها المنظم ومواردها الضخمة .

اشرت في جزء سابق إلى العقبات التي تعترض تحقيق هذا المشروع ، ولكن هذه العقبات يمكن تذليلها . فقد قام تحالف ودي بـــين فرنسا وانكلترا ايام ادوار السابع بالرغم من العداء والنفور المستحكمين بين الدولتين المذكورتـين . ونحن بإمكاننا الخروج من هذه الحلقة التي ندور فيها منذ عشرات السنين ، يوم نتحرر من أوهامنا وننهج في الحقل الخارجي سياسة حكيمة تطلق ايـدينا في الشرق ، بعد ان نكون قد قلمنا أظافر فرنسا في الغرب .

وليعلم الحاقدون ان الاستمرار في معاداة أعداء الأمس سيزيدهم تكتلاً وقوة فالقسية الالمانية لا يمكن ان تكسب إلا من تفريق كلمتهم . لذلك يجب أن نفهم ان كل دولة لا ترضى عن تزايد نفوذ فرنسا في القارة الاوروبية هي حليفة طبيعية لالمانيا ، وانه لا يجوز لنا ان نحجم عن استمالة هذه الدولة خاصة وان كان هذا التفاهم أو التحالف يمكننا من سحق فرنسا التي تريد إبادتنا .

الفصل الرابع والعشرون

حق الدفاع المشروع

هناك اكثر من دليل تاريخي على ان الشعوب التي تلقي السلاح وهي لا تزال قادرة على الجهاد، تفضل بالتالي ان تتلقى الصفعات والاهانات والذل على معاودة القتال .

والظاهر ان الموجهين لسياسة المانيا ، من وراء الستار ، يحاولون منذ تشرين الثاني عام ١٩١٨ التدني بشعبنا الى المصير المحتوم الذي يصير اليه كل شعب يقبل بالاهانات والذل وهو مطأطيء الرأس لا يجسر على الدفاع .

وقد تركت دعوات الخضوع والاستسلام التام للمنتصرين التي يبثها بكل خبث الخونة والعملاء ، أثراً سيئاً في عقلية الساسة وفي تصرفات الشعب. ولما كان اليهودي وراء سياسة المانيا الخارجية منذ عام ١٩١٨ فمعنى ذلك ان الاخطاء التي نتخبط بها في حقل السياسة الخارجية ليست دائماً وليدة قصر النظر او الجهل والارتجال .... فالمؤامرات التي يحيكها اليهود هي التي تتلاعب بقدرات شعبنا وتحاول منذ عدة سنوات إهلاك الامة . لذلك يمكننا التأكيد بأن جميع الخطوات الغير موفقة التي خطتها بلادنا منذ عام ١٩١٨ حتى الآن لم تكن وليدة الاهمال او الخطأ ، بل كانت نتيجة حتمية للخطط التي رسمها اليهود .

عندما دحرت جيوش نابليون بروسيا عام ١٨٠٦ اعتقد الجميع انه لن تقوم

أية قائمة لدولة بروسيا بعد تلك الهزيمة . لكن بروسيا استعادت قوتها خـلال سبع سنوات وشهرت السلاح في وجه الاعداء .

أما المانيا فقد ازدادت ضعفاً خلال السبع سنوات التي مضت منذ هدنـة تشرين الثاني ١٩١٨ . والدليل على ذلك انها قبلت بالامس القريب احكام معاهدة لوكارنو الظالمة ؟

لقد القت المانيا سلاحها وهي لا تزال قادرة على الدفاع . وقبلنا بشروط المنتصر وضعفت عزائمنا واصبحنا عاجزين عن المقاومة . فقام الاعـداء بسلسلة تدابير قاسية لاذلالنا وتعذيبنا ولم نكن في وضع يدفعنا إلى مقاومة هذه التدابير . وقدعرف هؤلاء الاعداء كيف يخدرون عزة نفسنا وكبرياء شعبنا الالماني العريق فقاموا بفرض تلك التدابير ببطء وحذر لعلمهم ان هذه الطريقة اسلم عاقبـة فاستطاعوا ان يحققوا اهدافهم دون ان يضطروا الى استفزاز شعورنا واستثارة نقمتنا وكان نصيرهم في ذلك حكومتنا المستسلمة .

وهكذا استدرجنا المنتصرون الى التوقيع على معاهـدات الصلح والرضوخ لشروط وتسويات مرهقة جردتنا من الكرامة ومن اسباب البقاء . وقد بلغ بنا الاستسلام حداً كبيراً جعل البعض يعتقد ان مشروع وايغز هو حـدث بارز ومعاهدة كوكارنو نصر مبين .

*

ظهرت نيات فرنسا الحقيقية بوضوح في شتاء عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣ بعد أن حاولت كتمانها عن حلفائها في المؤتمرات التي عقدت قبل الحرب العالمية وبعدها مباشرة . فقد ظهرت المقاصد الخفية لفرنسا التي جـازفت بقدراتها وخاضت حرباً قاسية طيلة اربع سنوات ونيف ، وبانت الحقيقة بأن فرنسا لم تكـن تطمح بالحصول على مليارات الماركات لتعوض بها خسائر الحرب والدمـار أو لتقطتع الالزاس واللورين وتضمهما إلى أراضيها . كلا ، فقد قامت فرنسا بهذه المجازفة الخطرة التي تعتبر من أخطر المجازفات في تاريخهـا لأن اليهودية العالميـة التي توجـه سياسة فرنسا الخارجية ارادت انسجاماً مع مخططهـا ان تقسم

المانيا لتجعلها مقدونيا ثانية .

لقد تأملت فرنسا ان تبلغ هدفها بتقسيم المانيا أثناء الحرب وحاولت أن تنقل المعركة إلى داخل الأراضي الألمانية لكي يسهل على الحلفاء تقسيم البلاد وإنشاء دويلات متضاربة الاتجاهات مختلفة الأهداف ، بحيث لا تقوم أية قائمة لألمانيا الموحدة .

ولو قُدر للفرنسيين ان ينجحوا في محاولاتهم هذه وتمكنوا من نقل المعركة إلى الروهرر والراين والايلب بالقرب من هانوفر ولايبزغ ونورمبرغ وغيرها ، لما كانت هناك أية صعوبة لدى الحلفاء لتنفيذ مخطط فرنسا في تقطيع أوصال الرايخ الحديث العهد بالنظام الفدرالي ... لكن جيشنا الباسل صمد في حصونه ، واستمرت حرب الخنادق طيلة الاربع سنوات في الفلاندر وأمام فرصوفيا وريما وكوفنو . ويعود الفضل بنجاة بلادنا من ويلات الحرب ومن مؤامرات فرنسا واليهود إلى الجيش الألماني الباسل وحده ، لهذا يمكننا القول ان دم جنودنا الذين سقطوا في ميادين الشرف لم يذهب هباء....

كانت جيوشنا قد احتلت ، بعد انهيار المانيا ، قطعاً كبيرة جداً من اراضي الأعداء ، لذلك كان اهتمام فرنسا منصباً على جلاء جيوشنا عن اراضيها وعن الاراضي البلجيكية ، وما ان تم لهم ذلك حتى باشروا بتنفيذ مخططهم الأساسي وهو تقسيم الرايخ الألماني الكبير إلى دويلات صغيرة مجزئة ، لكن انكلترا اعترضت على هذا المشروع واكتفت بالنصر الذي حققته . لأن همها الوحيد كان إزالة المانيا الاستعمارية من طريقها والحد من منافستها لها في الميادين التجارية . فإنكلترا لم تفكر قط بالقضاء على المانيا قضاء مبرماً ، لأن في ذلك ما يتعارض ومصالحها وسياستها التقليدية في منع قيام أية دولة اوروبية قادرة على إخضاع القارة لسيطرتها .

وكانت معارضة الحلفاء كافية لايقاف فرنسا عند حدها ، فتراجعت عن موقفها مرغمة ، ولكن كليمنصو عبر عن أفكار مواطنية بكلمته «السلم بالنسبة لنا هو استمرار الحرب » .... وقد عمل الفرنسيون منذ ذلك الحين على إضعاف

بلادنا مستعملين شتى الوسائل والطرق الممكنة ، فتـــارة كانوا يحاولون الضغط علينا وتارة أخرى يلجأون إلى تشجيع النزعات الانفصالية في بعض المناطق . وكانت هذه السياسة التي لجأوا اليها ذات أثر فعال في الوصول إلى النتيجـة التي توختها فرنسا ، إذا استمرت بضع سنوات أخرى .

أدرك المخلصون خطوره ما تهدف اليه فرنسا وأيقنوا انها ستصل إلى هدفها ان لم تقف الارادة الالمانية في وجهها وتمنعها من تنفيذ مخططها هذا . وقد ادرك المخلصون ايضاً ان التصدي في وجـه فرنسا يجب ان يسبقه نسف الحلف الذي مكّن فرنسا مـــن النصر ، والا سيكون هذا التصدي ضرباً مـــن ضروب الانتحار .

وقد حاولت انا في خطاباتي المتكررة أن أركز على هذه الناحية بالـذات ، وقلت ان فرنسا لن تغير في مخططاتها تجاهنا لأنها تعلم أن بقاءها كدولة مرهون ببقاءنا نحن أمـــة ضعيفة مفككة الاوصال . ولو كنت أنا فرنسياً لنظرت إلى المانيا النظرة ذاتها .

يقول البعض ان الحل يكمن في قيام حكومة فرنسية معتدلة . وأنا أقول أن هذا الرأي هو كالمخدر لاعصابنا المريضة ، ومن يعتقد ذلك يكون موجهاً مـن قبل اعداء المانيا الداخليون من يهود وديمقراطيين . فكل فرنسي مخلص هـو كليمنصو أو بوانكاري . ولن نفيد نحن شيئاً من السلبية التي ينادي بها بعض « العنصريين » القائلين باللاعنف ، لان عدونا المتربص بنا لن تخيفه احتجاجاتنا وشكاوينا .

لن يخلصنا من فرنسا إلا ساعدنا القوي وتفكيرنا السليم ، وحين نستطيع ان نتفاهم مع حلفاءها بالامس ، يمكننا بالتالي عزلها جانباً ومناقشتها الحساب على انفراد ... لكن القضاء على فرنسا لن يكون أكثر من وسيلة لبلوغ غاية لا حياة لنا بدونها : يجب علينا بعضّ القضاء على فرنسا ، التي تهددنا بظهرنا ، ان نتوسع في الشرق لنؤمن لانفسنا المدى الحيوي الذي يجعل مـــن المانيا دولة

كبرى وقوة عالمية ضخمة .

★

في كانون الاول من عام ١٩٢٢ قامت فرنسا باحتلال حوض الروهر إمعاناً منها في إذلالنا وتحطيمنا اقصادياً ومعنوياً ، لكن هـذا الاحتـلال الذي ضرب المانيا ضربة قاصمة ، كان عاملاً رئيسياً في إذكاء الشعور الوطني . كما ان هــذا الاحتلال قد أثار غضب انكلترا حكومة وشعباً لان هذه المنطقة غنية بمناجم الفحم والحديد . واستيلاء الفرنسيين عليها يعني تفوق فرنسا سياسياً وعسكرياً واقتصادياً جاعلاً منها الدولة الاوروبية الاولى ، فتتمكن من منافسة انكلترا في جميع الميادين . وقد ذكرت إحدى الصحف الانكليزية الشبه رسميــة أن احتلال فرنسا للروهر قد انتزع من انكلترا كل مكاسبها .

كان لاحتلال فرنسا للروهر صدى غير مستحب في إيطاليا والولايات المتحدة الاميركية . وبدا على حلفاء الامس التذمر الشديد مما فسح المجــال لنشوب الخلافات وتفريق الشمل . لكن إذا كان حلفاء الامس لم يتحولوا الى اعــداء اليوم كما حدث بعد الحرب البلقانية الثانية ، فمرد ذلك الى افتقار بلادنا الى رجل كأنور باشا ، الذي يعرف كيف يستغل الخلافات الناشبة بين أعداء بلاده .

عندما دخل الفرنسيون منطقة الروهر اتجهت الانظار الى السلطات الالمانية وكان التساؤل يدور حول ردة الفعل المترقبة من الحكومة الالمانية . فكل شيء كان متوقفاً على قرار الحكومة ونتيجته في داخل البلاد وخارجها . ولم يكـن ثمـة مجال للتردد ، فالاعتداء الذي قامت به فرنسا يشكل خرقاً فاضحاً لمعاهدة فرساي ، بالاضافة الى النقمة التي اثارها هذا الاعتداء لدى الرأي العام الانكليزي والايطالي ، وقد حملت حكومة لندن على هذا الاعتداء السافر وصرح مجلس العموم البريطاني بأن حكومة فرنسا لم تراعِ شعور حلفائها ولا مصالحهم باحتلالها منطقة المناجم في المانيا السفلى .

كان على حكومة المانيا ان تستغل هذا الخلاف بين الحلفاء وتوسعه بشكل يضمن لها عدم قيام تعاون جديد بين هؤلاء الحلفاء اذا قاومت المانيا هذا الغزو

الفرنسي . كان على حكومتنا ان تجعل الروهر مـــا كانت موسكو بالنسبة إلى نابليون ، معتمدة على الشعور الوطني الذي أثاره العدوان الفرنسي .

لم يكن باستطاعتنا وقف الزحف الفرنسي على الروهر باللجوء إلى التدابـير العسكرية . ولم تكن المفاوضات لتجدي نفعـــاً .فبقي لنا اللجوء الى كسب الوقت وإلهاء القوات الغازية باصطدامات بسيطة تقوم بها العصابات ريثما ننظف الجبهة الداخلية من الخونة ، ونضمن في الخارج تأييد الانكليز والايطاليين.

لكن حكومة المستشار « العبقري » كونو لجأت الى حل آخر،فقد اكتشف هذا المستشار ان احتلال فرنسا لمنطقة الروهرلم يكن الالأن المنطقة غنية بالفحم وبالتالي تريد فرنسا الاستيلاء على هذا الفحم . لذلك فقد قرر هذا « العبقري » ان الوسيلة الوحيدة لإخراج المحتلين من الروهر هي اعلان الاضراب العـام في المنطقة ، فتكون النتيجة توقف حركة العمـــل لاستخراج الفحم . وبذلك لا يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على الغنيمة فيجلون عن المنطقة يجرون اذيال الخيبـة .

وقد نالت هذه الخطة اعجاب الأحزاب البورجوازية ، ولكنها وجـدت ان الاضراب لن يعطي نتائج حسنة الا بوجود الماركسيين ، أساتـــذة التحريض والاضرابات ، فوافق البورجوازيون على ضم الحمر الى « الجبهة الوطنية » . ومد المستشار كونو يده الى التعاون مع المغامرين الدوليين الذين باركوا هـذه الخطوة التي تعتبر بمثابة اشتراكهم في الحكم حين تتسلم « الجبهة الوطنية » مقاليد الحكم .

وهكذا واجه المستشار كونو الفرنسيين بحلف ضم الثرثارين والمحتالين الذين فتحت لهم الدولة طريق العمل لإشاعة الفوضى وتخريب الاقتصـــاد القومي .

لقد سعى المستشار كونو الى تحرير الشعب الألماني بتشجيعه على التقـــاعس والكسل . ولكن بدلاً من دعوة الناس الى الاضراب العـــام ، كان عليه ان يدعوهم الى العمل لمدة ساعتين اضافيتين يومياً لتزويد الشبيبة المتحمسة بالعتـاد اللازم . وبذلك تتمكن المانيا من كسب افضل النتائج في الداخل والخــارج

وتكسب لقضيتها عطف العالم الخارجي الذي وقف يرقب مدى الانتفاضة الألمانية .

أما النتيجة فكانت معروفة مسبقاً فالمقاومة السلبية لم تصمد طويلا ، والاضراب لم يمنع الفرنسيين من احتلال الروهر وتثبيت اقدامهم فيه .

أما موقفنا نحن الوطنيين الاشتراكيين فكان معروفاً وواضحاً من المقاومة السلبية و « الجبهة الوطنية » . فقد سفهنا الاولى وحاربنا الثانية . وقد اثبتت الحوادث صحة نظريتنا . فقد قررت العناصر الوطنية في البلاد بعد اسابيع من إعلان الاضراب العام في منطقة الروهر تنظيم حركة مقاومة فعلية ضد الغزاة كما دعت المضربين الى التعاون معها . فقام بعض العمال المخلصين وقرروا الانضمام إلى المناضلين وحملوا السلاح وساهموا في حرب العصابات. أما الماركسيون فكان جوابهم على ذلك انسحابهم من « الجبهة الوطنية » . ولم يلبثوا ان خضعوا لمشيئة الغزاة بعد ان خربوا مصالح البلاد والاقتصاد القومي تحت ستار المساهمة في المقاومة السلبية .

وأدى انهيار « الجبهة الوطنية » إلى تسليم السلطة بشروط الفرنسيين . ونبهت هذه الخيانة ملايين الالمان الى أهمية الحركة الوطنية الاشتراكية واهدافها الوطنية الصميمة وتحقق لديهم ان مصير المانيا مرتبط بنجاح هذه الحركة وبنمو مبادئها العنصرية .

.... وانتهت الحوادث البغيضة التي أدت الى حل الحزب الوطني الاشتراكي بعد اعتقال اركانه واعضائه والكثيرمن مؤيديه وانصاره. وهنا لا بد لي من القول ان ما قمنا به لم يكن بسبب رغبتنا بالحكم كما أراد اعداء حركتنا القول ، قد اثبتت حوادث ٨ تشرين الثاني ١٩٢٣ عما كان يجيش في صدور ملايين الالمان . وهنا أذكر كلمتي التي ختمت بها دفاعي في اليوم الاخير لمحاكمة حزبنا . فقد قلت متوجهاً بكلمتي الى القضاة :

« يمكنكم ايها القضاة ادانتنا من أجل ما فعلناه . ولكن التاريخ سيمزق ذات يوم هذا الحكم ، ويحلنا جميعاً من خطيئة لم نرتكبها ... »

سيذكر الجميع هؤلاء الرجال الذين سلكوا طريق الموت ليمهدوا لوطنهم طريق الخلاص ....



انتهى

النهاية ...

في أسفل مستشارية الرايخ ، وعلى عمق عشرة أمتار تحت الارض، بني ملجأ في أيام الحرب ، يمكن الدخول اليه عن طريق المستشارية بواسطة سلم خفية . وكان الملجأ يضم شقتين أولاهما تتألف من اثنتي عشرة حجرة لا تتسع كل غرفة منهما لأكثر من خزانة كبيرة .

في شقة من الاثنتين كان يقيم الفوهرر ، وفيها أمضى آخر أيام عهده، ومعه قضت عشيقته ايفا براون ايامها الاخيرة من عمرها القصير . فبينما كانت هي تشاطر عشيقها أحزانه وتخفف عنه الآلام ، كانت المدفعية الروسية تقصف برلين وتهز جوانب الملجأ هزاً عنيفاً .

كان الفوهرر آنذاك في حال من القلق والاضطراب والغضب لما آل اليه مصير المانيا ومصيره هو . فأضحى كتلة من الحطام الآدمية ، ذاهلاً شارداً ، أفلتت من يده الحيلة ، فريسة للاضطرابات المتلاحقة ، مقوس الظهر ، مخلع مهدم القوى ، متورم الوجه ، غائر العينين ، غارق في خضم من الأحداث الكبار التي لم يعد يملك عليها رقابة ولا يمسكها بزمام . فلم يكن يستعيد قواه وحيويته إلا ليندفع ، كعادته في عاصفة من الشتائم العنيفة الهوجاء ضد قوات الشرق، وضد برابرة الغرب كما كان يدعوهم ... وشهدت ايفا مشهداً لم يكن بودها ان تراه . ففجأة فتح باب حجرة هتلر الذي كان قد تناول كمية هائلة من الأدوية المسكنة والمنومه ، والذي أكسبه القلق والنعاس هيئة جثة فانية لا حياة فيها ولا روح .

فتح باب الحجرة ودخل اليها الطبيب موريل وهو يحمل بيده إبرة فيها سائل الهورمون ... وبعد أن أفرغ ما في الابرة في ذراع هتلر وردّ كمّ قميصه إلى معصمه ، انتفض الفوهرر كمن مس بسلك كهربائي ، وطفر واثباً على رجليه ليضرب الطبيب بقبضة يده ضربة موجعة وهو يصيح فيه :

— آه .. يا خائن ! وأنت أيضاً من أفراد العصابة !

فأغرق موريل نفسه في ثيابه الوسخة ، وطأطأ رأسه مرتعداً خائفاً ، قائلاً بصوت خافت :

— ولكن لا ، ماين فوهرر ، لا ! أنا آتٍ لأحقن ذراعك بالهورمون كما أفعل عادة !

— أنت كاذب ، كاذب كبير ! إنه مورفين هذا الذي تحقنني به ! أنتم جميعاً تريدون أن تحملوني قسراً على مغادرة برلين ... لن أغادر برلين !

فتراجع الطبيب إلى الوراء مرتعباً وقد هاله هذا الهياج وهذا الانفجار . ثم انحنى ذليلاً متوسلاً وهو يقول :

— إنك مخطىء ، ماين فوهرر ! أنا دائماً خادمك المخلص موريل !

فدوى صوت هتلر قاصفاً وقد بلغ آخر حدود الهستيريا !

— مخلص ؟ ليس هنالك مخلوق واحد يخلص لي ! الجميع يخونونني ! انكم جميعاً خونة سافلون ! لا أريد أن أرى وجوهكم بعد اليوم ! سأقتلكم بالرصاص !

وبكى موريل شاهقاً معولاً كأنه طفل صغير . واقترب من الفوهرر مرتجفاً ويده لا تزال تحمل ابرة الهورمون ، ثم سقط على قدميه قائلاً له :

— لا تقل لي ذلك يا مولاي ... لقد كنت دائماً مخلصاً لك كأنني كلب امين ... أرجوك ألا تعاملني كمجرم ...

غير أن يد هتلر كانت قد اتجهت إلى الباب تشير الى الطبيب بأن يخرج للحال ... وتساقط هتلر منهوكاً في ديوانه !

دخلت إيفا حجرة الفوهرر مشياً على أصابع قدميها وفي نفسها خشية من أن يطردها بعنف كما طرد موريل ! غير أنها ما كادت تقترب منه حتى ارتمى

بين ذراعيها فاستقر رأسه على كتفها وهمهم يقول :

– ليس لي أحد سواك ! ليس لي إلا أنت يا ايفا !

ولبثت تلاطفه بعاطفة هي أشبه ما تكون بالأمومة ، وتغمره بين ذراعيها وتؤاسيه ، حتى تغلب على هذه النوبة العصبية التي ألمت به . وبعد مضي نصف ساعة كان يرئس مجلس أركان الحرب ويعطي أوامره بضرورة اللجوء الى كل المحاولات الممكنة لإيقاف الجيش الأحمر .

وتجمع الآراء على أن أي امرأة ، غير ايفا براون لا يمكنها ان تقاسي ثمانية أيام بطولها ... في مثل هذه الأحوال الشاذة . ذلك ان ايفا كانت تستمد من حتمية مصيرها قوى جديدة للمقاومة ! فهي الآن ليست خليلة الرجل الذي تحبه بل ممرضته وامه ؟ وكما نسيت العالم إلى جانبه في أيام السعادة ، تنساه الآن في أيام البؤس . فجسدها وحده لم يعد يعنيها أمره ... كأنما هي تخفي في ثيابها امرأتين مختلفتين متناقضتين ، لا امرأة واحدة !

*

ولم تكن ايفا المرأة الوحيدة التي ضمها هـذا الملجأ القابع تحت الارض ، والذي شيد للمشكلات العسكرية البحتة . ففي كل لحظة ، كانت تلتقي في الممر باحدى سكرتيرات الفوهرر الجميلات . وكان فيه أيضاً زوجة غوبلز التي كان إخلاصها لزوجها وتعبدها لهتلر مضرب المثل في الأوساط النازية !

في الثاني والعشرين من شهر نيسان ، جمع الفوهرر ، حول طاولة شاي، جميع النساء اللواتي كن يشاطرنه أيامه الأخيرة . وفيما هو بينهن ، داعب شعره الاغبر بيد ، وسحب باليد الاخرى من جيبه شيئاً انصبت عليه أنظـار الحاضرات جميعاً. وكان هذا الشيء انبوباً يبلغ عشرة سنتيمترات طولاً، وسنتيمترين قطراً...

وانتزع هتلر من الانبوب غطاءه ، ثم وضعه باعتناء تام على الطاولة الصغيرة وتناول منه حبة مستديرة وقال :

– في هذه الحبة كمية من السم كافية لأن تقتل رجـلاً أو امرأة . ويكفي لأحداكن أن تضع حبة منه وتقضمها باسنانها كحبة الملبس .. حتى ....

وانقبضت يد ايفا براون بشدة على ذراعي مقعدها .. فإنها هي الوحيـدة

بين هؤلاء الفتيات التي كانت تتأكد من أن حياتها قد انتهت ، وان مصيرها الموت القريب . هي وحدها التي قررت أن تظل مخلصة له حتى الموت . ومع انها تخاف الموت ... لكنها قررت ان تسير اليه بملء اختيارها .

وفجأة ، وبصوت مرتجف ، قالت ايفا . وماذا يعني الاستنكار للموت ؟ انا لا يهمني أن أموت . غير أني لا أريد أن أتألم وأنا أغادر الحياه !

وكان بين هؤلاء امرأة واحدة ستشاطر ايفا براون مصيرها ، وهي مدام غوبلز ! غير انها لم تنطق بكلمة !

وفي العشرين من نيسان ، هبط كبار النازيين الذين كانوا في برلين إلى الملجأ كي يعربوا عن تمنياتهم للفوهرر بمناسبة عيد ميلاده . وكان كثير من النازيين الكبار قد غادروا برلين دون رغبة منهم في الرجوع اليها : فمنهم من غادرها يأساً من الحال وقد رأوا بأعينهم عالمهم النازي ينهار ويتقوض .

أما أولاء الذين آثروا البقاء إلى جانب هتلر في ملجأه ، فقد نظموا حياتهم في هذه الأيام الأخيرة على ما يستطيعون . وقد قالت البارونة فون فارو في مذكراتها ، وقد شهدت نهاية القوم . قالت :

« كان الجميع ، رجالاً ونساء ، يبحثون عما يفرقون به همومهم ، فجاؤوا بكميات عظيمة من الكحول ، وجعلوا يكثرون من الشرب والأكل ، ويصلون الليل بالنهار تدخيناً ... فقضينا أيامنا هذه وكأننا في عيد مستمر فقد كنا نشرب ونرقص بصورة دائمة ...

أما الفوهرر فكلما شعر باقتراب نهاية حكمه ، ازداد رغبة في أن يحيط به النساء الفاتنات . فقد كان بحاجة إلى إعجابهن به ، وإلى ما يبدينه من احترام له !

وفي ساعات الوحدة ، كانت ايفا تقلب انبوب السم القاتل وفيما كانت تقلبه يوماً سمعت مدام غوبلز تقول :

– ماين فوهرر ! لقد تم الاتفاق بيني وبين زوجي ! فحين يقبل اليوم الذي يجب أن نموت فيه ، كلينا ، فإن أولادنا أيضاً سيلحقون بنا إلى القبر ....

وتوالت الأحداث السياسية والعسكرية سريعة رهيبة . وفي هذه الأثناء كان الروس قد دخلوا برلين التي دخلت معركتها في طور حازم رهيب . فقد جعل الألمان والروس يتقاتلون في كل شارع ، وفي كل بيت ، وفي كل غرفـــة ، وإلى جانب الأنقاض ، وفي كل مكان من العاصمة الألمانية . وجعل الدكتور موريـل يكثر من حقن الفوهرر بالمقويات ليجعله دائماً على استعداد لقيادة الجيوش الألمانية المنتصرة ...

وكان هتلر في تلك اللحظات الحاسمة يشعر بالخيانة ويشتم رائحة الغدر المنتشرة في أجواء الملجأ .... فكان يصيح كلما تذكر أحد قادته !

– انني ضحية الخيانة ! لقـــد خانني الجميع وأنكروني في ساعات الهول والشدة ! أن هؤلاء الذين انتزعتهم من ظلمات الخمول وجعلت منهم من هم الآن ، يخونونني ويغدرون بي . لقد خانني غورنغ ، وخانني سبير ، وخانني هملر . وها أنا وحيد لا نصير لي فيما تتطلب الحال جهوداً متضافرة .

وكانت ايفا بقربه لتواسيه بقولها :

– انك لست وحيداً . فأنا معك . سأكون معك إلى الأبد !

وترتسم على شفتيه ابتسامة خفيفة ، ويقول : أجل ! ليس لي غـــيرك يا ايفـا ....

*

قبل وفاته بساعات خطر للفوهرر ان يكافيء عشيقته المخلصة فجمع حوله رفاقه في البؤس ونزلاء المنزل وتحدث لهم بصوت هادىء النبرات قائلاً :

ـ بما انني لم أفكر خلال سنوات الكفاح بأن في استطاعتي احتمال مسؤوليات الزواج ، فإنني أقرر الآن ، قبل أن أنهي مهماتي على الأرض ، أن أتخذ من ايفا براون زوجة لي . هذه الفتاة التي دخلت إلى هـــذا الملجأ المطوّق عملياً بمحض ارادتها واختيارها ، بعد أن قضت في صداقتي سنوات طويلة مخلصة ، لكي تتمكن من أن تشاطرني مصيري ... وبخالص رغبتها ستمضي معي الى الموت ...

ودخل غوبلز يتبعه كاتب السجل العدلي . ليسجلا العقد وبسط « الكاتب

العدل » السجل المدني للزواج كي توقع ايفا براون على ما فيه . وتناولت القلم وكتبت بيد ثابتة حازمة : « ايفا بـ ...

فاستوقفها المسجل قائلاً : ايفا براون .. هذا الاسم ليس اسمك الآن ...

فقهقهت ايفا من اعماقها وصححت اسمها على هذه الصورة : « ايفا هتلر ، المولودة باسم براون » . وهنا ، تروي الآنسة جنك احدى سكرتيرات الفوهرر قائلة :

« بعد ذلك شربنا الشمبانيا التي جرعت منها ، أنا ، ثلاثة أقداح كبار . وهتلر نفسه ، الذي لم يذق طعم الكحول في حياته ، غطس شفتيه في كأسه ! »

وعلى أثر هذه الجلسة الودية بين رفاق الشقاء ، انسحب الجميع من حجرة هتلر .

وحين استيقظ هتلر من رقاده في اليوم التالي ، علم ما صار اليه أمر زميله وأستاذه موسوليني ، وعشيقته كلارا بيتاتشي ، على أيدي الأنصار الايطاليين . اما ايفا ، فما كادت تعرف هذا الخبر حتى انفجرت في البكاء والشهيق اوسألت زوجها تقول : هل سيكون مصيرنا مثل مصير موسوليني وكلارا ؟

وبيد حازمة ربت على كتف زوجته الشاردة ،مطمئناً... وقال لها :

ـ كلا ! لن يكون مصيرنا كمصير موسوليني وكلارا. فإن جسدينا سيحرقان بالنار فلا يبقى منهما شيء يحقرونه ، حتى ولا رماد .

وفجأة سرت الرعدة في جسمه وهو يعد نفسه للموت . وأخرج من أحد الأدراج قمقماً ونادى الدكتور ستامبفغجر ، ثم سلمه إياه قائلاً :

ـ هذا القمقم أعطاني اياه هملر ، زاعماً أن فيه السم القاتل . غير ان هملر خائن جبان . فهل يسري مفعول هذا السم على الكلب كما يسري على الانسان ؟

فهز الطبيب رأسه وهويقول :

ـ جربه على بلوندي .

وبعد مضي ثوان كانت صرخات الألم تدوي في حجرات الملجأ ، وكان الكلب بلوندي هو الذي يحتضر بفعل السم . وما ان سمعت ايفا صرخات الكلب

المؤلمة حتى ارتمت على سريرها ، وهي ما تزال في ثياب النوم ، تتفجر بكاء . فهي لم تكن لتظن ان في السير الى الموت مثل هذه الصعوبة ، وهذه المـــدة ، وهذا الألم .

وفجأة انقطع صوت بلوندي ، وعاد الطبيب اليهما يقول :

ـ مات الكلب .

وظل هتلر محتفظاً بهدوئه وبروده . وتباعد عن ايفا التي ما تزال تنهد على سريرها وهو ممسك بذراع الطبيب الذي قال له :

ـ ان تأثير السم ليس تأثيراً مباشراً . لذلك يجب ان يرفق بطلقة نارية في الحلق .

فاستحسن هتلر هذا العرض ، وعاد للحال الى ايفا . فقال بهدوء :

ـ سيخبرنا الدكتور سامبفغجر بالطريقة التي يجب ان نموت بها . فأصغي الى تعليماته . فتلفتت ايفا اليهما وقد تاهت انظارها وغرق وجهها بالدموع وحال لونها ، ووضعت على فمها منديلاً تمنع به أسنانها من الاصطكاك .

وأخرج هتلر مسدسه من بيته ، وأخذ الدكتور يشرح لهما ما يجب أن يفعلا ، قال :

ـ يجب أن يقضم واحدكما هذا القمقم ، وفي الوقت نفسه يضع فوهة المسدس في حلقه ويضغط على زناده . وهذا هو الحل الوحيد !

ولكي يتأكد الفوهرر بأنه أدرك جيداً تفاصيل العملية ، أدخل فوهـــة المسدس بين فكيه تمثيلاً لما يجب عليه أن يعمل ، وقال للطبيب :

ـ هكذا ؟

ـ نعم .

ثم استدار ناحية ايفا يسألها :

ـ أفهمتِ ؟

ـ نعم ، نعم ، نعم ...

وسأل الطبيب الفوهرر :

- أ تريد مني أن أبقى هنا ؟

– لا ، يمكنك أن تذهب .

فضرب الطبيب الأرض بعقبيه ، وانحنى ، قائلاً :

– ماين فوهرر ... مدام هتلر ! ...

وخرج !

ومال هتلر على ايفا يداعب كتفها بعاطفة أبوية لم يعرفها في حياته إلا وهو على عتبة الموت .

وازدادت ساعة الموت اقتراباً . وليس الان في الملجأ من يبدي حركة أو يرفع صوتاً .

يقول الكابتن بولدت ، وهو أحد سكان الملجأ آنذاك :

« ... وفي الحقيقة ، كنا جميعاً ننتظر الساعة التي ينتحر فيها هتلر كي نتمكن نحن من مغادرة الملجأ . »

واخيراً ، اجتمع كل سكان الملجأ حول مائدة الطعام ، لآخر مرة . وكانت ايفا شاحبة الوجه شاردة النظر . أما هتلر فكان يرتدي ، كعادته ، بنطلوناً أسود وبلوزة غبراء ، وقد اصفر لونه وماتت الحياة في نظراته .

وطال الصمت الكئيب الخانق ، فليس بين المجتمعين من يعرف أي موضوع للحديث ... في مثل هذه الظروف !

وفي نهاية الطعام ، انتشرت رائحة مادة محرقة ، فنظر الحاضرون بعضهم إلى بعض . وعرفوا ان اليوم الذي هم فيه إنما هو اليوم الذي قرر هتلر أن ينتحر فيه ، وانه لا بد من وجود كمية كبيرة من المواد المحرقة كي تكفي لأن تحول جسم الانسان إلى رماد خالص .

وأخيراً ، نهض الجالسون جميعاً . وجعل هتلر يصافح آخر رفاقه واحداً واحداً ، متمتماً كلمات وعبارات غير مفهومة .

ووقفت ايفا وراءه تراقب ما يجرى ، ويداها منقبضتان ، فهي تريد أن تسرع في لقاء الموت دون ما هي فيه من آلام ! غير انه كان عليها أن تتحمل ما هو أقسى وأصعب . كان عليها أن تتحمل رؤية مدام غوبلز وهي تتخبط في

نوبة عصبية هائلة وتزعق : ماين فوهرر ! لا تفعل ذلك ! لا تنتحر ! فنحن بحاجة اليك ! ألمانيا بحاجة اليك ! ماين فوهرر ...

ثم كان عليها أن تنتظر ريثما ينتهي زوجها من إتلاف أوراقه .

وبعد ذلك كله ، كان عليها أن تصافح بدورها جميع الحاضرين وتخفي دموعها ولم تفتها القوة لأن تقول للآنسة « جنك » آخر من تستطيع أن تسر اليها بما في نفسها :« تحدثي في بافاريا عن حبي ... »

ثم عادت إلى زوجها الواقف أمام باب حجرته ، فانحرف قليلاً لكي تدخل الحجرة قبله . ثم دخل وراءها وأغلق الباب . ووقف الحارس « كينش » أمام المدخل بكامل سلاحه واستعداده . أما الحاضرون فعادوا جميعهم إلى حجراتهم !

ومرت دقائق ... دوت على أثرها طلقة نارية !

أما ايفا ، فلم تطلق على نفسها النار ، لأن وهن القوى والخوف اللذين ألمّا بها بعد أن تناولت السم ، كانا كافيين لأن يقضيا عليها في الحال دون أن تملك من القوة ما يجعلها قادرة على أن تضغط زنادالمسدس ....

في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٥ اذاع راديو برلين نبأ مصرع هتلر ....

انتحر الفوهرر بعد عشرة أيام من احتفاله بعيد ميلاده السادس والخمسين ... ومن غريب الصدف ان هتلر خطب بهذه المناسبة واعداً أمته بالنصر ، قائلاً ان العلماء كانوا يجرون تجاربهم في الشمال ليلاً نهاراً لانتاج القنبلة الذرية ....

اذاع الاميرال كارل روتز في أول حزيران معلناً نفسه الفوهرر الجديد لألمانيا ، قائلاً ان هتلر لقي حتفه في دار المستشارية بهذه الكلمات : « مات الفوهرر اميناً لمثله العليا بانقاذ الشعوب الاوروبية الألمانية من البلشفية ، ولقد عاش لذلك ومات ميتة الأبطال .....»

وقد اعلنت حكومة البرتغال الحداد رسمياً عليه لمدة يومين ، كما عم الوجوم المحافل الرسمية في مدريدو وطوكيو ، وتوجه ديفاليرا إلى السفارة الألمانية في دبلن مقدماً العزاء ....

وقال المارشال زوكوف . احد كبار القادة الروس . ان هتلر تزوج من ايفا براون قبل مصرعه بيوم واحد .... وهو يعتقد ان هتلر هرب بطائرة خاصة وتوارى عن الأنظار ....

*

بلغ وزن القنابل التي القيت على برلين حتى تاريخ ٢٤ آذار سنة ١٩٤٤ ٤٤٨٤٥ طناً .

بلغ مجموع ضحايا الحرب العالمية الثانية ٥٠ مليون قتيل و ٨٠ مليون جريح... وبلغت مجموع خسائر العالم ١٣٨٤ الف مليون دولار نفقات الحرب و ١٦٠ الف مليون دولار قيمة ما دمرته الحرب ....

*

تطوع هتلر في الجيش الألماني وحارب طوال اربع سنوات في صفوفه ونال وسام الصليب الحديدي من الدرجة الاولى .

كانت الصدمة القاسية على نفسه أن الذي قلده الوسام ضابط ألماني يهودي !!

*

كان هتلر يكره برلين ويفضل ان يتركها في أية مناسبة ، وقد بنى له منزلاً في قرية جنوب بافاريا تدعى اوبرختسجادن ، وقد شيد منزله على قمة جبل كان يمضي فيه أغلب ايامه في عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ مهملاً برلين لأسابيع طويلة ...
كانت الطريق المؤدية إلى قصره ذات ابواب من البرونز منحوتــــة في قلب الصخر ، وبداخل الجبل مصعد كهربائي خاص يرتفع الى علو اربعماية قدم حيث يوجد منزله المسمى « عش النسر »

*

حين كان جندياً بسيطاً في الجيش الألماني ، كُلف بحمـــل رسالة الى مقر الجيش ، وبينما كان يجتاز الطريق سمع أصواتاً تتحدث باللغــة الفرنسية ، وكان بمفرده ، ولم يكن مسلحاً إلا بمسدسه ، فأعمل ذهنه على الفور ومضى صائحـــاً كأنما هو يصدر امراً إلى كتيبة من الجنود . فارتبك الجنود الفرنسيين وكان عددهم سبعة ، ورفعوا أيديهم مستسلمين واستطاع هتلر أن يسلم الجنــود السبعة إلى القيادة مع الرسالة المكلف بتوصيلها .

*

بلغت عائدات هتلر من كتابه « كفاحي » حتى عام ١٩٤٤ مليون جنيـــه استرليني ،وقد طبع الكتاب ٤٩٤ طبعه لغاية سنة ١٩٤٠ . وكان يقرأ الكتاب بصفة إلزامية جميع الألمان .

*

كان هتلر قليل الأصدقاء ، وربما كان ألصق صديق له بعد موت روهم هـو رئيس حرسه الخاص بروكنر ، ومن أصدقائه القدامى أيضاً ماكس أمان الذي كان رئيسه برتبة سرجنت في الحرب العالمية الأولى . وفريتز ويدمان ضابطـه السابق في تلك الحرب هو من أصدقائه الخلصاء لفترة من الزمن وقد شغل منصب القنصل العام لألمانيا في سان فرنسيسكو بعد ولاية هتلر للحكم. أما أشد المقربين إليه سياسياً على وجه التأكيد– فهو الهرفون ريبنتروب وزير خارجيته ، وهو أحد الرجال القلائل الذين كان يسمح لهم بمقابلته في أي وقت دون سابق موعد. ومن بين المقربين الذين كانوا يقابلونه يومياً سكرتيره الصحفي ديتريش ، وهيس

أحد أقطاب حزبه، ولكن هيس لم يكن من أقرب المقربين وحتى غورنغ وغوبلز لم يكونا يقابلانه – كقاعدة – دون موعد سابق .

وكان هتلر – بوجه عام – انطوائياً ، وفي أحدى رحلاته بالطائرة ظل ساعات طويلة خلال الرحلة لا يحدث أحداً ، وظل صامتاً ، لا يتحرك ، بل لا يبتسم .

وكثيراً ما لجأ الى البكاء في حدة الخطابة . بل ويضرب بقبضته المائدة في عنف بالغ .

وكان هتلر يحاول إخفاء نقاط ضعفه . ولا يسر لأحد بدخائل نفسه ، وقد يراه اصدقاؤه كل يوم ، بل قد يتفانون بالولاء له حتى العبادة ، غير انهم لايصلون إلى أغواره .

لم يكن هتلر يلقي بالاً إلى الكتب .. أو الملابس إذ لم يكن يرتدي سوى بذلة عادية ذات قميص غامق ، أو سترة زرقاء ومعطف واقٍ من المطر ، وكان قليل الاختلاط بأصدقائه لا يهتم بالطعام ولا يتناول المشروبات الروحية ، ولم يكن يدخن أيضاً ولا يسمح لأحد بأن يدخن بالقرب منه .. وكان نباتياً ، وفي إحدى المآدب التي أقامها موسوليني له لم يتجاوز طعامه طبقاً من البيض المقلي . وكان يحتسي القهوة أحياناً ولكن ليس غالباً .. وكان يتوجه مرة أو مرتين كل اسبوع من دار المستشارية سيراً على الأقدام إلى فندق كايزرهوف الذي كان مقراً لاجتماع أقطاب حزبه قبل ارتقائه الحكم ، حيث يجلس بعض الوقت ويتناول شراب الشكولاتة .. ومع انه ظل يحيا حياة بسيطة بعيدة عن الترف ، الا ان منزله في برختسجادن كان يشتمل على آخر طراز في التأثيث .

★

كان هتلر يكره رجال المصارف وأصحاب المؤسسات التجارية – كما أشارت الى ذلك الكاتبة الأميركية دوروثي تومبسون – لأنهم يمثلون قوى مالية واقتصادية ذات طابع دولي وليست ألمانية ، وكان يبغض الاشتراكية الدولية والشيوعية باعتبارها أجهزة دولية غير نابعة من القومية الألمانية البحتة .. وفضلاً

عن ذلك فهو يحتقر دعاة السلام ، لأن أولئك هم دوليون في تفكيرهم . وكان يرى أن الفاتيكان يلعب دورين .. وأنه ينافسه وينازعه السلطان ، وفي بعض الفترات كاد يقطع علاقاته به .

★

كان الفيلد مارشال غورنغ يعمل طياراً تجارياً في السويد والدانمرك ، بعد الحرب العالمية الاولى وقبل انضمامه الى الحزب النازي ... وكان هملر رئيس الجستابو يعمل جاسوساً في الحرب الاولى ، ثم بعد الحرب عمل مزارعاً للدواجن... أما هيس سكرتير هتلر فقد كان عاطلاً عن العمل... وريبنتروب وزير خارجية المانيا في عصر هتلر ، فقد كان يعمل سمساراً للشمبانيا الفرنسية ...

*

في ٨ نوفمبر ١٩٢٣ هاجم هتلر مع فريق من معاونيه كبار الضباط والوزراء المجتمعين في بافاريا واطلق الرصاص من مسدسه . وتبادل اطلاق النار مع البوليس والقي القبض عليه وحكم بالسجن بضع سنوات .... ولكنه تمكن من الهرب بمعاونة وزير العدل .

*

كان هتلر في السابعة عشرة من عمره عندما رأى لأول مرة في حياته يهودياً ... فقد رأى يهودياً قادماً من بولندا في زي وطني اساء الى مشاعره الوطنية القومية .. فانفجر غاضباً وتساءل « أيمكن لهذا المخلوق ان يكون المانياً ؟ »

*

عندما اصبح هتلر مستشار المانيا لم يكن يسمح لنفسه قط ان يخاطب يهودياً حتى ولو عن طريق التلفون ... حتى انه لم يستقبل اللورد ريدنج في « براون هاوس » لأنه يهودي .

*

على عكس معظم الديكتاتوريين لم يكن لدى هتلر مقدرة على العمل بجهد ،

فكان مكتبه غاصاً بالقرارات والوثائق التي تحتاج الى توقيعه ، وكان دائماً يهملها ولا يبت بتلك القرارات ... وكانت معظم قراراته مبهمة ...

*

تمكن هتلر من أن يفضح اليهودية ، ويبين أدوارها الأثيمة التي لعبتها وأدت الى ما أصاب المانيا من الكوارث في الميدان السياسي والعسكري والاقتصادي.. ومن أجل هذا كان شعاره الدائم القضاء على اليهود اعتبار أنهم دوليون يسعون الى تمزيق القومية واشاعة الفساد والانحلال في صفوف الأمة وتحطيم اقتصادياتها والسيطرة على أجهزتها الأعلامية والاقتصادية .

*

امتازت شخصية هتلر بتلك القوة الكامنة المتأججة ، وتلـــك كانت أبرز صفاته ، وكان يبدو متناقضاً في أحوال كثيرة ، فقد يصمت فجأة ، ثم يعـــود متدفقاً في الكلام بحيث لا يترك فرصة للآخرين قاطعاً عليهم أفكارهم .

وكان عصبي المزاج ، أما عقيدته في نفسه فراسخة لا تلين ، كانت هـــذه العقيدة أن الألمان أسمى من غيرهم من الشعوب، كان شديد الكراهية والاحتقار والازدراء لليهود مؤمناً بانهم أساس كل نقيصة وفساد في العالم عامة وفي المانيا خاصة ،وان حياتهم القبلية وأساليبهم تستهدف تدمير الشعوب الاخرى والافراد بكل الوسائل حتى أحطها شأناً كي تتحقق لهم السيطرة واستنزاف الشعوب مادياً وأدبياً واشاعة الانحلال بينها .

*

كان هتلر يعتمد بمعظم قراراته على سرعة البديهة ، وقد خدمته هـــذه الموهبة أكثر من مرة « ففي ربيع عام ١٩٣٢ أشار عليه أحد كبار أعوانه وأقواهم «روهم» بأن يقوم بانقلاب يتولى به الحكم ولكنه رفض المشورة وانتابه الشعور أو البدعة التي يمتلكها بأنه سيصل الى السلطة بالوسيله الشرعية ، ومرة أخرى في خريف عام ١٩٣٢ بعد انخذل النازيون في انتخابات شهر تشرين الثاني،

كان هناك فريق قوي في حزبه بزعامة جريجور استر يحرضه على أن يصلح هذا الفشل بقبول الاشتراك في حكومة ائتلافية ولكنه رفض ايضاً . وفي خلال ثلاثة اشهر وصل الى الحكم والسلطة على نحو لم يكن أحد من معاونيه يتوقعه أبداً .

*

كانت تتخذ احتياطات غاية في الدقة والصرامة والذكاء لحراسة هتلر ضد الاغتيال . فهو عندما يبارح برلين يستقل سيارة « مرسيدس بنز » في حجم قاطرة ، وكان من المعتاد أن يرى الليتنونت بركتر كبير حراسه جالساً الى جوارة ومن حوله حرسه الخاص ببنادقهم سريعة الطلقات . فإذا كان الطريق الذي سيجتازه حافلاً بالمارة وحيث تحتشد الجماهير فإن صفوف الحرس الأسود « أصحاب القمصان السوداء » تكون على جانبيه مولية وجوهها الى الجمهور ومتجهة نحوه بالتبادل .

*

لم يكن لهتلر نزعة جنسية نحو النساء ، أي أنه لم يشغل بالهيام بامرأة ولا يوجد في شبابه لمحة من ذلك . وكان تفكيره في النساء باعتبارهن ربات بيوت وأمهات مثاليات لانجاب ابناء للحرب وكان يرى الا ينجرف الشباب الألماني بالغزل النسائي كيلا يحيد عن أهدافه السامية في الحياة ومعاركها . ولم يكن مع ذلك عدواً للمرأة ، ولكنه يتجنب فتنتها ، وسلوكه مع النساء لا يعدو — كأخلاق الفرسان — أن يقبل يد المرأة اعزازاً ومع ذلك يعجب بانوثة بعض النساء ، ومنهن فراو غوبلز . وكان أساس صلته بإيفا براون ، التي ارتبط بها في ختام حياته ايمانها المطلق به وتفانيها في الولاء له بل وعبادته .

*

كان هتلر قليل التفهم لنفسية النساء ، لا يميز فيهن بين ما هو طلاء وكلفة وبين ما هو طبيعي . ومن صفاته انه كان شديد التأثر بالجمال النسائي . غير انه ، في غمرة اندفاعه وحماسته ، كان ينسب الى فتنة المظهر صفات خلقية قلما صح

وجودها . فقد كان يرى في جمال بعض النساء دليلاً على مواهب لا وجود لها ، في الحقيقة ، الا في خياله ... »

*

« بعـــد ان استلم هتلر الحكم ، أثار موجة من شعور الاعجاب في صفوف النساء ساعة طرح على نفسه ، في اجتماع يضم عدداً عظيماً منهن ، هذا السؤال :

– « ماذا حملت النازية الى المرأة الألمانية ؟ »

ثم أجاب عن سؤاله بنفسه اذ قال :

– الرجل !

*

كان الارهاب والتخويف من أهم الأسلحة التي يلجأ اليها الفوهرر ، وكذلك التهديد ، وقد أثمرت هذه الخصائص في سياسته واسلوبه ، واستطاع ان يصل بها إلى مكاسب كثيرة وانتصارات في شتى الميادين ، وفي شهر آب عام ١٩٣٢ عندمـــا رأى هندنبرغ أن يعينه مستشاراً لألمانيـــا ، طلب مهـلة ثلاثة ايام ، وفي تلـــك الفترة مضى رجال النازي المتعصبون يمعنون تقتيـــلاً في الشوارع بكل مضاد للنازية .

*

ان اساس نظرية هتلر السياسية تتحدد في أن يكون السلطان كله للقيادة ، والطاعة كلها للقاعدة ، على نقيض النظرية الديمقراطية في الحكم . والألمان شعب يحب ان يقاد .. وهم يذكرون « اننا نبصق على الحرية » والألمـاني يحس بالعار إذا لم يكن في ثياب الجندية . وهو شعب مطبوع على الطاعة والتنظيم وقد استطاعت النازية أن تخلق منه شخصيات مصكوكة صكاً على أنها نماذج عـــن هتلر .. لتكون لها حقوق القيادات المساعدة ، وهي بدورها تحت إمرة الزعيم .

*



فهرست

صفحة

صفحة

